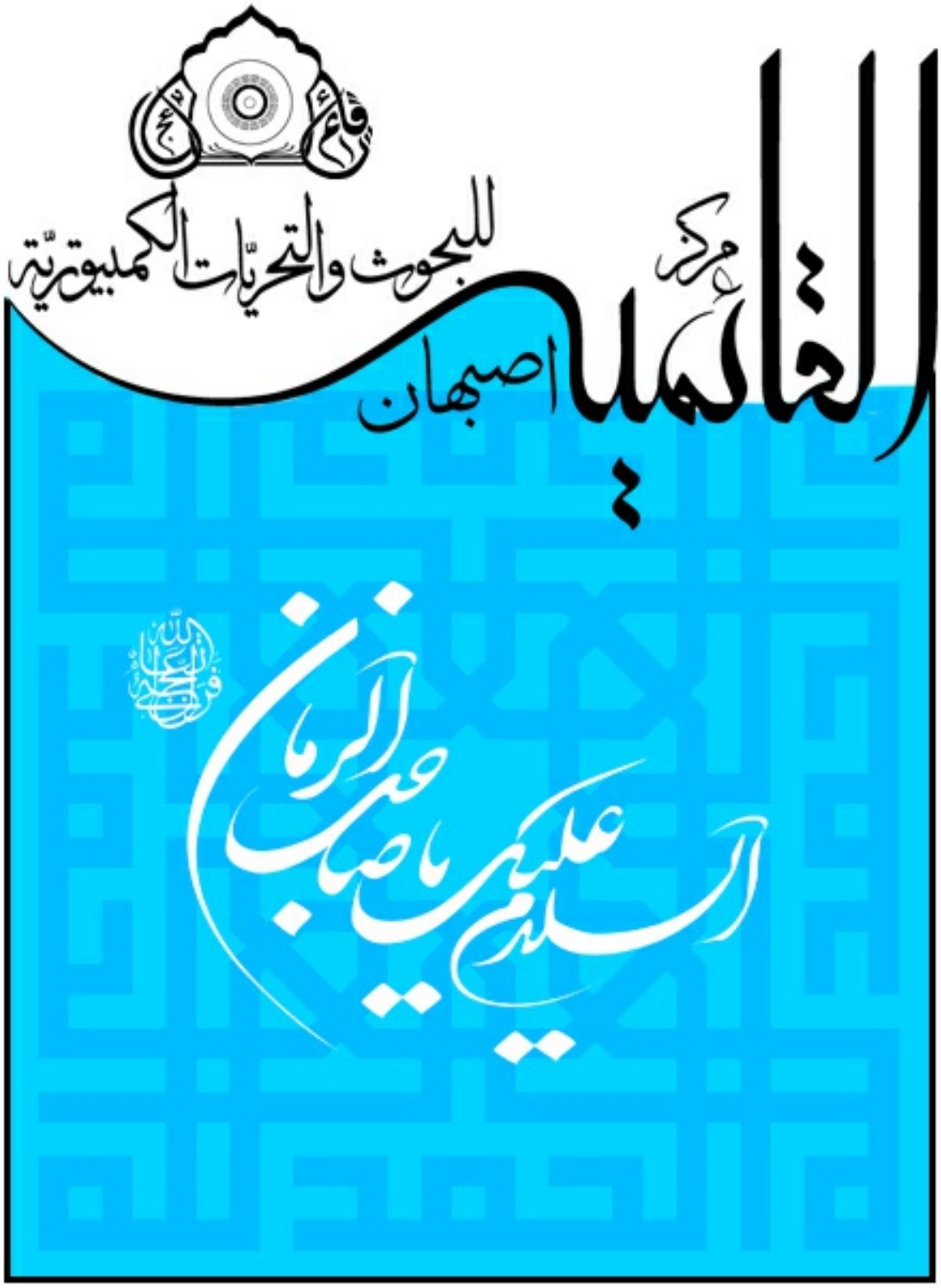

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سبيل الهدى إلى الحق
لسماحة آية الله الشيخ جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحیم

سبيل الهدى الى الحق

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

سبیل الهدی الی الحق ----- ۱۳

اشاره ----- ۱۳

اشاره ----- ۱۳

کلمه المعهد ----- ۱۴

مقدمه ----- ۱۵

الفصل الأول: تأریخ نشأه التشیع وانتشاره ----- ۱۶

۱- متی نشأ التشیّع؟ ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

المنهج العقلانی فی طریقه اختیار الخلیفه ----- ۱۷

اشاره ----- ۱۷

۱. الشیعه فی أحادیث رسول الله (ص) ----- ۱۹

۲. الإمامه فی أحادیث الرسول (ص) ----- ۱۹

اشاره ----- ۱۹

أ) حدیث یوم الدار (الامامه قرینه النبوه) ----- ۱۹

ب) حدیث المنزله ----- ۲۱

ج) حدیث الغدیر ----- ۲۱

نشأه التشیّع فی ظلّ وصایا النبی (ص) ----- ۲۳

الشیعه فی عصر الرساله ----- ۲۳

۲- أقلیّه أتباع مذهب أهل البیت (ع) وأکثریّه أتباع مذهب أهل السنّه ----- ۲۴

الفصل الثانی: عقائد الشیعه ----- ۲۶

۱- منزله أولیاء الله وقدراتهم الغیبیّه ----- ۲۶

اشاره ----- ۲۶

ما المقصود من مفهوم الکمال؟ ----- ۲۷

آثار العبودیّه والکمال النفسانی ---- ۲۸
القرآن وکرامات الأولیاء ---- ۲۸
اشاره ---- ۲۸
۱. تصرّف النبی یوسف (ع) فی إعاده بصر أبیه ---- ۲۸
۲. إظهار أعوان سلیمان لقدراتهم الفائقه ---- ۲۸
۳. النبی سلیمان (ع) وقدراته الفائقه ---- ۳۰
۴. أفعال المسیح الخارقه للعاده ---- ۳۱
الولایه التکوینیّه ومسأله الغلوّ ---- ۳۲
۲- التوسّل بأولیاء الله ---- ۳۳
اشاره ---- ۳۳
۱. أداء الفرائض ---- ۳۴
۲. التوسّل بأسماء الله تعالی وصفاته ---- ۳۴
۳. التوسّل بالقرآن الکریم ---- ۳۴
۴. التوسّل بدعاء المؤمن ---- ۳۵
۵. التوسّل بدعاء النبی (ص) فی حیاته ---- ۳۶
۶. التوسّل بدعاء النبی بعد رحیله ---- ۳۶
اشاره ---- ۳۶
أسئله حول التوسّل ---- ۳۸
اشاره ---- ۳۸
۱- هل الدعاء من المیّت عباده له؟ ---- ۳۸
۲- ألیس طلب الدعاء من المیت عدیم الفائده؟ ! ---- ۳۹
۳- هل هناک حاجز بیننا وبین من فارقت أرواحهم الحیاه؟ ---- ۳۹
۳- طلب الشفاعه من أولیاء الله ---- ۴۰
ما هی حقیقه طلب الشفاعه؟ ---- ۴۰
اشاره ---- ۴۱
۱. حدیث أنس بن مالک ---- ۴۱

٢. حديث سواد بن قارب ---- ٤١
٣. حديث أبى بكر ---- ٤٢
۴. حديث الإمام على (ع) ---- ٤٢
۵. حديث الغلام ---- ٤٢
۴. هل القسم بالله على الأولياء شركٌ؟ ---- ٤٣
۵. النَّذرُ لغير الله ---- ٤۴
۶. الاحتفال بمواليد أولياء الله وإقامه المآتم لهم ---- ٤۵
اشاره ---- ٤۵
إجلال الرسول (ص) أصلٌ من أصول الإسلام ---- ٤۶
٧. زياره قبور الأولياء ---- ٤٨
اشاره ---- ٤٨
زياره قبر الرسول (ص) ---- ٤٩
٨- زياره النِّساء للقبور (الإجابه على سؤالين) ---- ۵٠
٩- البناء على القبور ---- ۵۴
اشاره ---- ۵۴
١. سيره السلف الصالح فى حفظ قبور الأنبياء ---- ۵۴
٢. حفظ الآثار حفظ للأصاله ---- ۵۴
٣. رفع بيوت الأنبياء ---- ۵۵
۴. صيانه القبور تدلّ على الرأفه والمودّه ---- ۵٧
١٠. الصلاه عند قبور الأولياء ---- ۵٩
١١. إقامه المآتم للشهداء ---- ۶١
الفصل الثالث: منزله القرآن الكريم عند الشيعه ---- ۶٣
١. منزله القرآن الكريم عند الشيعه ---- ۶٣
٢. مصحف فاطمه الزهراء (س) ---- ۶۶
اشاره ---- ۶۶
المحدَّث فى الإسلام ---- ۶٨

فاطمه محدّثه ---- ۶۸
۳. مصحف علی (ع) ---- ۶۹
۴. شبهه الاهتمام بالدعاء أکثر من الاهتمام بالقرآن ---- ۷۱
الفصل الرابع: الإمامه عند الشیعه ---- ۷۲
۱. الإمامه فی القرآن ---- ۷۲
اشاره ---- ۷۲
۱. آیه الولایه ---- ۷۲
۲. آیه أولی الأمر ---- ۷۴
۳. آیه إکمال الدین ---- ۷۴
۲. أسماء الأئمّه فی القرآن الکریم ---- ۷۴
اشاره ---- ۷۴
۱. التعریف بالاسم ---- ۷۵
۲. التعریف بالعدد ---- ۷۵
۳. التعریف بالصفه ---- ۷۵
اشاره ---- ۷۵
التعریف بالاسم لا یُزیل الاختلاف ---- ۷۶
۳. زمان نشوء الاعتقاد بإمامه الأئمّه الإثنی عشر ---- ۷۷
۴. وصایه الإمام علی (ع) ---- ۷۸
اشاره ---- ۷۸
وصایه الإمام علی (ع) فی شعر الشعراء المعاصرین لعصر الرساله ---- ۷۹
۵. مَن هم أولو الأمر؟ ---- ۸۰
۶. أسطوره خان الأمین ---- ۸۳
۷- عصمه الأئمّه ---- ۸۳
۸. علم الائمّه: بالغیب ---- ۸۵
۹. الاخبار الغیبیّه عن الأنبیاء ---- ۸۷
اشاره ---- ۸۷

١. النبی نوح (ع) وإخباره بالغیب ---- ٨٧
٢. یعقوب ویوسف والإخبار بالغیب ---- ٨٧
٣. السیّد المسیح وإخباره بالغیب ---- ٨٨
۴. إخبار رسول الله (ص) بالغیب ---- ٨٨
١. الإخبار باستشهاد أمیر المؤمنین (ع) علی ید أشقی الأشقیاء ---- ٨٨
٢. الإخبار بوفاه أبی ذر وحیداً غریباً ---- ٨٩
۵. أمیرالمؤمنین (ع) وإخباراته بالغیب ---- ٨٩
اشاره ---- ٨٩
١. غرق مدینه البصره ---- ٨٩
٢. سیطره معاویه علی أرض العراق ---- ٩٠
٣. الإخبار بمصیر الخوارج فی حرب النهروان ---- ٩٠
الفصل الخامس: أهل البیت (علیهم السلام) ---- ٩١
١. من هُم أهل البیت حسب اعتقاد الشیعه؟ ---- ٩١
اشاره ---- ٩١
بیان مفهوم (أَهْلَ الْبَیْتِ) ---- ٩١
من هم المقصودون من أهل البیت فی آیه التطهیر؟ ---- ٩٢
اشاره ---- ٩٢
١. لفظ (البیت) یدلّ علی معنیً معیّنٍ ---- ٩٢
٢. استخدام ضمائر مذکّره ---- ٩٣
٣. أهل البیت فی أحادیث الرسول (ص) ---- ٩۴
٢. حدیث الملائکه مع فاطمه الزهراء ---- ٩۶
٣. کیفیّه الصلاه علی النبی (ص) ---- ٩٨
۴. الغلو فی أهل البیت (علیهم السلام) ---- ٩٩
اشاره ---- ٩٩
استثمار الأئمّه: الأسباب الطبیعیّه ---- ١٠١
الفصل السادس: المهدویه فی الإسلام ---- ١٠١

١. ولاده الإمام المهدى (عج) ---- ١٠٢
٢. سبب غيبه الإمام المهدى (عج) ---- ١٠٤
٣. انتفاع الناس من الإمام المهدى (عج) فى زمن غيبته ---- ١٠٥
اشاره ---- ١٠٥
أ) الحفاظ على دين الله ---- ١٠٦
ب) مهمّه الإمام فى إعداد النخبه الواعيه فى غيبته ---- ١٠٧
ج) . الهدايه التكوينيّه ---- ١٠٧
۴. الإمام المهدى والعمر الطويل ---- ١٠٨
اشاره ---- ١٠٨
١. تفسير غيبيّ ---- ١٠٨
٢. تفسير طبيعيّ ---- ١٠٩
۵. تأخّر ظهور الإمام المهدى (عج) ---- ١١٠
اشاره ---- ١١٠
١. الاستعداد النفسى ---- ١١٠
٢. تكامل علوم البشر وثقافاتهم ---- ١١١
٣. تكامل وسائل الاتّصال ---- ١١١
۴. تربيه الكوادر الكفوءه ---- ١١١
الفصل السابع: المسائل الفقهيه ---- ١١٢
١. طريقه غسل اليدين عند الوضوء ---- ١١٢
٢. مسح الرجلين بدلاً من غسلهما ---- ١١٣
اشاره ---- ١١٣
منشأ الاختلاف ---- ١١۴
اشاره ---- ١١۴
١. السلطات الحاكمه ---- ١١۴
٢. تقديم المصلحه الخاصّه على النصّ القرآنى ---- ١١۵
٣. (حىّ على خير العمل) فى الأذان ---- ١١٧

۴. الشهاده بولایه الإمام علی (ع) فی الأذان ---- ۱۲۱
۵. عدم تکتّف الشیعه فی الصلاه ---- ۱۲۳
اشاره ---- ۱۲۳
کیفیّه صلاه النبی (ص) ---- ۱۲۴
اشاره ---- ۱۲۴
أ) حدیث أبی حمید الساعدی ---- ۱۲۴
ب) حدیث حمّاد بن عیسی ---- ۱۲۵
ج) حدیث المسیء فی صلاته ---- ۱۲۶
رأی عن أئمّه أهل البیت (علیهم السلام) ---- ۱۲۶
۶. السجود علی الأرض ---- ۱۲۸
اشاره ---- ۱۲۸
المرحله الأولی: السجود علی الأرض ---- ۱۲۸
المرحله الثانیه: الترخیص فی السجود علی الخُمر والحُصر ---- ۱۲۸
المرحله الثالثه: الترخیص فی السجود علی الثیاب لعذر وضروره، مثل شدّه الحرّ، ولایجوز ذلک عند عدم الضروره ---- ۱۲۹
اشاره ---- ۱۲۹
الحکمه من السجود علی التراب فی الأحادیث النبویّه ---- ۱۲۹
السجود علی تربه الإمام الحسین (ع) ---- ۱۲۹
۷. الجمع بین الصلاتین فی زمانٍ واحدٍ ---- ۱۳۱
۸. الخمس فی غیر الغنائم الحربیّه ---- ۱۳۲
اشاره ---- ۱۳۲
الخمس فی المعادن ---- ۱۳۴
الخمس فی المکاسب ---- ۱۳۴
اشاره ---- ۱۳۴
۱. وفد (عبد القیس) ---- ۱۳۵
۲. ارسال النبی عمرو بن حزم إلی الیمن ---- ۱۳۶
الفصل الثامن: أحداث تأریخیه ---- ۱۳۷

اشاره ---------- ۱۳۷
۱. صلح الإمام الحسن (ع) ---------- ۱۳۷
۲. زواج أم كلثوم ---------- ۱۳۸
اشاره ---------- ۱۳۸
۱. رأى الشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ه) ---------- ۱۳۹
۲. ام كلثوم هى ربيبه الإمام على (ع) ---------- ۱۴۰
۳. ردود الفعل المختلفه إزاء خطبه عمر ---------- ۱۴۰
الفصل التاسع: الصحابه ---------- ۱۴۲
۱- روايات الصحابه ---------- ۱۴۲
۲. نقد الصحابه ---------- ۱۴۳
۳. الامام على (ع) وتأييده للخلفاء ---------- ۱۴۴
تعريف مركز ---------- ۱۴۷

سبیل الهدی الی الحق

اشاره

سرشناسه : سبحانی تبریزی ، جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور : سبیل الهدی الی الحق/ جعفر السبحانی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر ، ۱۴۳۴ ق. = ۱۳۹۲.

مشخصات ظاهری : ۲۱۱ ص.؛۲۱×۱۱س م.

شابک : ۳۸۵۰۰ریال : ۰-۴۲۲-۵۴۰-۹۶۴-۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی : فاپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : شیعه -- دفاعیه ها و ردیه ها

رده بندی کنگره : BP۲۱۲/۵ /س۲س۲ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱۷

شماره کتابشناسی ملی : ۳۰۴۳۱۶۶

ص: ۱

اشاره

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

كلمه المعهد

إنّ رسول الله (ص) قد أبلغ وحی السماء إلی مدّه ۲۳ عاماً، وأدّی ما أمره الله عزّ وجلّ علی أفضل وجهٍ، فهدی الناس إلی دین الحقّ وبیّن لهم تعالیمه ووضّح حقائقه خلال هذه المدّه بشکلٍ تدریجیٍّ. وفی الثامن عش-ر من شهر ذی الحجّه للسّنه العاشره بعد الهجره أکمل دین الله فی غدیر خُم قبل أن ینتقل إلی جوار ربّه، وذلک حینما صدع بولایه الإمام علیّ بن أبی طالب (ع) ونصبه للمسلمین إماماً بأمرٍ من الله جلّ شأنه.

ونبیّنا الکریم (ص) قبل أن یلتحق بالرفیق الأعلی استودع المسلمین ثقلین عظیمین، هما کتاب الله وعترته أهل بیته (ع) ، وأمرهم بالتمسّک بهما لیهتدوا إلی سواء السبیل ویبلغوا درجه الکمال المنشود لینجوا من الضلال؛ فقال بصریح العباره: (إِنِّی تارکٌ فیکُم الثَّقَلَینِ، کتابَ اللهِ وعترتی؛ ما إنْ تمسَّکتُم بهما لنْ تَضِّلوا بعدی) .

ولکن للأسف الشدید بعد رحلته صلوات الله علیه لم یعمل المسلمون بما أمرهم به وأعرضوا عن وصیّته، ففرّقوا بین القرآن والعتره لأسباب لا مجال إلی ذکرها هنا، وإثراً لذلک عانی المجتمع الإسلامیّ من مشاکل جمّه واتّسعت

ص: ۶

رقعه الخلافات الطائفیّه، واستغلّ أعداءُ الدین جهلَ الناس وزرعوا الفِتن بینهم وروّجوا الشبهات العقائدیّه فأوقعوا بین المسلمین ونهبوا ثروات البلاد الإسلامیّه، فساد الفقر والجهل بین أهلها.

وفی عصرنا الراهین وبعد مضیّ أکثر من ألف وأربعمائه عامٍ علی بزوغ شمس الحقیقه فی ربوع المعموره، أعادت القوی الانتهازیّه والاستعماریّه العالمیّه الکرّهَ تارهً أُخری وصالوا فی المیدان بنفس أُسلوب أسلافهم من أعداء الإسلام، فأراقوا دماء الرجال والنساء والأطفال الأبریاء وقطّعوهم إرباً إرباً دون رحمهٍ وبمنتهی القسوه فی بعض البلدان الإسلامیّه، مثل العراق وأفغانستان، مستخدمین شتّی أنواع الأسلحه المدمّره، راجین من ذلک الفوز بجنّه النعیم! وتارهً أُخری عاد الخوارج إلی المیدان وتجسّدت من جدید جرائمهم التی ارتکبوها فی عصر صدر الإسلام.

وبالطبع فإنّ العلماء والمفکّرین فی هذه الظروف الصعبه یتحمّلون مسؤولیّهً خطیرهً، فمن ناحیهٍ یجب علیهم بیان الحقائق للناس، ومن ناحیهٍ أُخری فهم مکلّفون بالتصدّی للشبهات المطروحه؛ إذ إنّهم من خلال ترویج المعارف الدینیّه سکونون قادرین علی اجتثاث هکذا أفکار زائفه من مجتمعنا الإسلامیّ، وبالتالی سیحفظون کیان المجتمع الإسلامی من التفرقه والتشرذم.

الکتاب الذی بین یدیک عزیزی القارئ یحمل هکذا رساله، وقد دوّنه الأُستاذ والفقیه والحکیم آیه الله الشیخ جعفر السبحانی (حفظه الله) ، راجین من الله تعالی أن یحفظه ویُطیل عمره. فقد بیّن فیه معتقدات أتباع مذهب أهل البیت (ع) بإیجازٍ، ودحض الشبهات الواهیه التی یتشبّث بها البعض

ص: ۷

لتحریف هذه المعتقدات الصحیحه.

نسأل البارئ عزّ وجلّ أن يكون هذا النتاج نبراساً يهتدى به طلاب الحقّ والحقيقه.

إنّه وليّ التوفيق

معهد الحجّ والزياره

قسم الكلام والمعارف

ص: ۸

ص: ۹

مقدمه

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاه والسلام على خاتم النبيين محمد وآله الطاهرين.

لا يشك ذو مسكه أنّ المسلمين فى هذا العصر بأمسّ الحاجه إلى توحيد الكلمه وتقريب الخطى من الأزمنه السابقه. إذ إنّنا نعيش فى وقت عصيب تحالفت فيه قوى الكفر والاستعمار على محق الإسلام ومحاصره المسلمين بمختلف الأساليب.

وهذا ما يدعو المسلمين إلى التآلف والتكاتف ونبذ عوامل التفرقه والتشتّت.

وقد حثّ سبحانه فى العديد من الآيات على التآزر والتلاحم والاعتصام بحبل الله؛ قال تعالى: (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً) (آل عمران: ۱۰۳) .

كما حذّر سبحانه من التفرّق والتشتّت مخاطباً نبيّه الكريم بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ) (الانعام: ۱۵۹) .

وانطلاقاً من هذه الآيات يجب على كلّ مثقف وكاتب مسلم أن يسلك فى

ص: ۱۰

محاضراته ومقالاته وكتاباته سبيل الوحده، ويتحرّز عمّا يوجب العداء والبغضاء.

إنّ عناصر الوحده - ولله الحمد - بين الشيعه وسائر الفرق الإسلاميه كثيره لا تحص-ى. ولذا يجدر بنا جميعاً التمسّك بالأُصول المتّفق عليها والإغماض عن عناصر الفرقه، غير أنّ هذا الإغماض لا يعنى أبداً إيقاف البحث الموضوعى والدراسه المنطقيه فى هذه المجالات، فإنّ ممارستهما على ضوء الكتاب والسنّه والعقل وبأسلوب لا يخلّ بنظام الوحده، أمر مهمٌ فى تجليه الحقائق وتنميه الوعى لدى المسلمين.

وتحقيقاً لهذه الأهداف قمنا بتأليف هذا الكتاب على ضوء المصادر الصحيحه فى المسائل الّتى اتّفق فيها المسلمون (كما فى مباحث التوحيد والنبوه والمعاد) وما اختلفوا فيه من المسائل الفرعيه العمليه.

ومن يطالع هذا الكتاب يجد أنّ الغايه منه إنّما هى توضيح الحق وإبرازه، وإماطه اللثام عن وجه الحقيقه، دون أن يرافق ذلك هدف أو غايه أُخرى.

والله من وراء القصد

جعفر السبحانى

الفصل الأول: تأريخ نشأه التشيع وانتشاره

١- متى نشأ التشيّع؟

اشاره

السؤال: هناك نظريات عديده قد طرحت حول نشأه التشيّع، نرجوأن تبيّنوا متى نشأ التشيّع؟

الجواب: العاده أن تطرح هذه الأسئله حول النحل الكلاميه والفرق المذهبيه التى ظهرت بعد وفاه النبىّ (ص) ، فيقال مثلاً: متى وكيف نشأ المذهب الأشعرى؟

فيقال فى الجواب: إنّ المذهب الأشعرىّ هو مذهبٌ كلاميٌّ، وقد أسّسه أبوالحسن الأشعرىّ (١)فى أوائل القرن الرابع الهجرىّ.

يُذكر أنّ هذا المذهب قد نشأ مقابل مذهب المعتزله الذى هو مذهبٌ كلاميٌّ أيضاً، حيث أسّسه واصل بن عطاء (٢)تلميذ الحسن البصرىّ (٣)ففى مثل هكذا موارد، يمكن تعيين تأريخٍ محدّدٍ.

١- ابوالحسن الأشعرىّ، تأريخ الولاده (٢٦٠ه) ، تأريخ الوفاه (٣٢٤ه) .
٢- واصل بن عطاء، تأريخ الولاده (٨٠ه) ، تأريخ الوفاه (١٣٠ه) .
٣- الحسن البصرىّ، تأريخ الوفاه (١١٠ه) . .

وكذا هو الحال بالنسبه الى المذاهب الفقهيه.

فالمذهب الحنفىّ على سبيل المثال، قد أسّسه أبو حنيفه (١)، والمذهب الشافعىّ قد أسّسه محمدبن إدريس الشافعىّ (٢)، وكذا هو الحال لسائر المذاهب الاسلاميّه، إذ لكلّ مذهبٍ تأريخ تأسيس محدّد، أمّا التشيّع فليس من المذاهب الكلاميّه أو الفقهيّه

حتی یُقال إنّه نشأ بعد وفاه رسول الله (ص) .

تأریخ التشیّع فی الواقع هو تأریخ الإسلام، والتشیّع فی الحقیقه هو نفس الإسلام الذی جاء به رسول الله (ص) ومن أهمّ تعالیمه استمرار القیاده والإمامه عن طریق شخص یعیّنه الله تعالی ویُعرّفه رسول الله (ص) للأمّه. وهذا الأصل البنّاء هو الذی یضمن بقاء الإسلام، ویبیّن واقع التشیّع. وقددعا رسول الله (ص) أیام حیاته إلی هذا الأصل فآمن به بعض الصحابه وأقرّوا به بعد وفاته.

وهؤلاء هم روّاد الشیعه فی عص-ر النبیّ (ص) وبعد وفاته، ولکنّ بعض الصحابه لم یُذعنوا الی هذا الاصل بعد التحاق رسول الله (ص) بالرفیق الاعلی وأوکلوا قیاده الأمّه الی شخص آخر.

إذن، تأریخ ظهور التشیّع بهذا المعنی هو نفس تأریخ ظهور الاسلام، وتعالیمه هی نفس تعالیم الاسلام، والأصل الذی یعتمد علیه الشیعه فی تعیین إمام المسلمین بعد رسول الله (ص) والذی یؤمنون به کأصلٍ أقرّه الله تعالی، هو فی الحقیقه أصلٌ ثابت من الأصول الاسلامیّه التی جاء بها نبیّنا الکریم (ص) وصدع بها فی حیاته.

۱- أبوحنیفه، تأریخ الولاده (۸۰ه) ، تأریخ الوفاه (۱۵۰ه) .
۲- محمّدبن إدریس الشافعی؛ تأریخ الولاده (۱۵۰ه) ، تأریخ الوفاه (۲۰۴ه) . .

المنهج العقلانی فی طریقه اختیار الخلیفه

اشاره

قبل تصفّح کتب الحدیث الش-ریف ومصادر التأریخ من الض-روریّ أن نتحدّث عن خلافه النبی (ص) من الناحیه الاجتماعیه وأن نتعرّف علی الظروف التی کانت تحیط بالمنطقه أواخر حیاته، وخلاصه الکلام هل عیّن الرسول (ص) شخصاً لولایه الأمر وإداره شؤون الأمّه من بعده أم ترک الأمر للمهاجرین والأنصار والتحق بالرفیق الأعلی؟

وتکشف الاستقراءات الاجتماعیه بوضوح أنّه (ص) عیّن شخصاً لولایه الأمر من بعده، وأنّه (ص) کان مقدَّماً بأمر الله (اختیار الله) علی (اختیار الأمّه) ؛ لأنّ الأمّه الإسلامیه کانت زمان رحیله (ص) مهدّده من قبل ثلاثه تیارات معادیه وقویّه، وهی المجوس عَبَده النار من الشرق، والروم المسیحیون من الغرب، والطابور الخامس المتجسّد بحرکه النفاق فی صمیم المجتمع الإسلامی، وکانت هذه حرکه قویّه جدّاً ومتغلغله فی صمیم المجتمع بشهاده الآیات القرآنیه الکثیره التی نزلت بشأن المنافقین فی مختلف السور القرآنیه.

فکانت مصلحه المجتمع الإسلامی أنذاک تقتض-ی - دون شکّ - أن یعیّن النبی (ص) شخصاً قویّاً، عالماً، واعیاً، زاهداً، تقیّا لخلافه الأمّه من بعده، ویبذل غایه جهده للحفاظ علی کیان الأُمّه الإسلامیّه ومواجهه التیّارات الخطیره الثلاثه. ولا شکّ فی أنّ غضّ الطرف من قبل النبی (ص) إزاء أمر الخلافه کان سیؤدّی إلی نشوء تیّار خطیر آخر - إضافه إلی التیّارات الثلاثه - وهو تیّار

الصراع بين المسلمين حول الخلافه، وقد يؤدّى هذا التيّار إلى نشوب حرب داخليه تقضى على المجتمع الإسلامى من الداخل. فهذه الحقائق التأريخيّه تكشف لنا ضروره تقديم تدخّل الأمر الإلهى فى تحديد من يتولّى الأمر بعد

ص: ۱۴

الرسول (ص) على إيكال الأمر للناس ليختاروا الخليفه بأنفسهم فى ظلّ تلك الظروف العسيره.

وبعباره أخرى، فإنّ الأمر لا يتعدّى نظريتى (النصّ) أى: اختيار الخليفه بواسطه النبى بأمر الله، و (الشورى) أى: إيكال الأمر إلى اختيار المهاجرين والأنصار. ونودّ هنا تسليط الضوء على موقف النبى (ص) فى هذا المجال؛ لأنّ المسأله تتمحور حول ثلاث نظريّات، هى:

۱. لم يتحدّث النبىّ (ص) قطُّ حول من يتولّى الأمر من بعده.

۲. أعلن النبى (ص) موقفه من الخلافه من بعده، وأوكلها إلى الشورى.

۳. اختار - بأمر من الله - شخصاً صالحاً لقياده الأمّه الإسلاميّه ونصّبه لخلافته، وأخبر الناس بذلك.

أمّا النظريّه الأولى، فهى لا تنسجم مع كمال الدين واستمراره إلى يوم القيامه؛ لأنّ الاسلام دين اجتماعى ولا تقتصر تعاليمه على العبادات الشخصيّه والمناجات الفرديّه، بل هو أطروحه شامله تُغنى البشريّه من جميع النواحى، وتلبّى احتياجاتها إلى يوم القيامه، ولا يمكن القول: بأنّ من جاء بهذا الدين أهمل مسأله الحكم، وهى مسأله تضمن بقاء الدين ولم يكن له أىّ موقف فى هذا المجال.

أمّا النظريّه الثانيه، فهى نظريّه يمكن الإذعان بها إلى حدٍّ ما؛ لأنّها تكشف أنّ الرسول (ص) لم يهمل أمر الخلافه من بعده. ولكن هذه النظريّه تبقى مبتوره؛ لأنّ خلافه النبىّ (ص) لو كانت قائمه على الشورى، فكان يجدر برسول الله (ص) أن يبيّن ضوابطها وشروطها بدقّه، وأن يمارسها على الصعيد العملىّ خلال حياته ليتعلّم المسلمون كيفيّتها ولكى لا يتحيّروا أو يضلّوا بعد وفاته.

ص: ۱۵

ولكن كتب الحديث والسيره لم تبيّن نصّاً واحداً يكشف بأنّ نظام الحكومه فى الإسلام هو نظام قائم على الشورى، بل حتّى الطريقه التى تمّ اتّباعها بعد الخليفه الأوّل لم تكن قائمه على الشورى، حيث قائمه على تعيين الخليفه اللاحق من قبل الخليفه السابق. والحكومه فى الإسلام ليست أمراً بسيطاً ليتمّ تحديد إطارها بعباره واحده، وهى قوله تعالى: (وأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ) (الشورى: ۳۸) ، بل الحكومه تشمل نطاقاً واسعاً من الأحكام والأمور التى تستدعى من الرسول (ص) بيان تفاصيلها وشروطها.

أمّا النظريّه الثالثه، فهى أرجح من النظريّتين الأولى والثانيه، حيث يمكن اثبات صحّتها من أحاديث رسول الله (ص) وسيرته المباركه.

وبعد هذا التحليل الاجتماعیّ، سوف نتطرّق الی الجواب عن السؤال الذی طرحناه استناداً إلی الحدیث والتأریخ.

۱. الشیعه فی أحادیث رسول الله (ص)

یعود تأریخ تسمیه أتباع الإمام علی (ع) بالشیعه إلی زمان حیاه رسول الله (ص) ، وهناک الکثیر من الأحادیث التی تثبت هذه الحقیقه، وتبیّن بأنّ الرسول (ص) هو الذی أطلق هذا الإسم علی أتباع الإمام علی (ع) ، وقد نقل المحدّثون والمفسّرون بأنّه عندما أنزل الله قوله تعالی: (إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِ) (البیّنه: ۷) التفت النبی (ص) إلی علیّ، وقال له:

«هو أنت وشیعتک یوم القیامه راضین مرضیّین» .

وقال (ص) فی حدیث آخر:

«أنت وشیعتک، موعدی وموعدکم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلین»

ص: ۱۶

والأحادیث التی تثبت نزول هذه الآیه بشأن شیعه الإمام علی (ع) وتؤکّد علی أن رسول الله (ص) هو الذی سمّاهم (شیعه) ، کثیرهٌ وقد رُویت فی مختلف المصادر. (۱)

إذن، الرسول (ص) هو الذی سمّی أتباع الإمام علی (ع) بالشیعه، وهذا الأمر بحدّ ذاته یعدّ مؤشراً علی تعیین الخلیفه بعد رسول الله (ص) .

۲. الإمامه فی أحادیث الرسول (ص)

اشاره

لا شکّ فی أنّ مقام الإمامه یختلف عن مقام النبوّه، فالنبیّ هوالذی یتلقّی الوحی وهو المؤسّس للدین، لکنّ الإمام لا یتلقّی الوحی ولا یعدّ موسّساً للدین، وانّما مهمّته بعد النبی (ص) هی أداء الوظائف التی کان النبی یقوم بها فی مجال بیان الأحکام وتنفیذها. فالإمام هو المرجع لبیان الأحکام والعقائد الإسلامیه وإداره شؤون الأمه.

إنّ الأدلّه علی خلافه الإمام علی (ع) بعد الرسول (ص) کثیره جدّاً، ولکنّنا نکتفی فی هذا المقام بثلاثه أدلّه، وهی: حدیث (یوم الدار) الذی یعود تأریخه الی بدایه الدعوه الإسلامیه، وحدیث (المنزله) الذی یعود تأریخه الی مرحله متقدّمه من الدعوه الاسلامیه، وحدیث (الغدیر) الذی یعود تأریخه الی آخر أیّام حیاه الرسول (ص) .

أ) حدیث یوم الدار (الامامه قرینه النبوه)

حسب الأحاديث الشريفه نجد أنّ النبیّ (ص) عندما أعلن نبوّته فی یوم الدار لبنی هاشم، أعلن فی نفس الوقت خلافه الإمام علی (ع) من بعده، وهذا

۱- المصادر التی تشیر إلی هذه الحقیقه کثیرهٌ، منها الدرالمنثور، ج ۶، ص ۵۸۹؛ الصواعق المحرقه، ص۱۶۱؛ نهایه ابن اثیر، ج ۴، ص ۱۰۴؛ مناقب ابن المغازلی، ص ۲۹۳.

ما یکشف بأنّ النبوّه مقرونه تماماً بالإمامه وأنّهما منصبان من قبل الله تعالی. وقد رُویت قضیّه یوم الدار فی المصادر التأریخیه کما یلی:

بعد مضی ثلاث سنوات من بعثه الرسول ودعوته سرّاً، خاطبه الله تعالی بقوله: (وأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ) (الشعراء: ۲۱۴) ، فدعی الرسول (ص) أکثر من أربعین شخصاً من أقربائه وکانوا کلّهم من وجوه بنی هاشم، وأعدّ لهم ولیمه، فلمّا أنهوا تناولهم للطعام، قال لهم:

یا بنی عبدالمطلب، إنّی - والله - ما أعلم شابّاً فی العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتکم به، إنّی قد جئتکم بخیر الدنیا والآخره، وقد أمرنی الله تعالی أن أدعوکم إلیه، فأیّکم یوازرنی علی هذا الأمر یکون أخی ووصیّی ووزیری فیکم؟

ثمّ أمهلهم الرسول لیجد من یوافق دعوته، فهیمن الصمت والاستغراب والحیره علی أهل المجلس وأطرق الجمیع برؤوسهم إلی الأرض.

فکسر علی بن أبی طالب (ع) حاجز الصمت ونهض من مکانه وکان له من العمر أقل من ۱۵ عاماً، وقال: «

أنا یا نبی الله، أکون وزیرک علیه » ، ثمّ مدّ یده لیبایع الرسول (ص) ، فأمره الرسول بالجلوس، ثمّ کرّر (ص) دعوته ثانیه، فلم یقم إلّا علی (ع) ، وفی هذه المرّه أیضاً أمره الرسول (ص) بالجلوس، وکرّر الرسول دعوته ثالثه، وفی هذه المرّه أیضاً أحجم القوم عن تلبیه دعوته، ولم یقم إلّا علی لیعلن استعداده لمؤازره النبی (ص) والدفاع عن أهدافه المقدّسه. فعند ذلک أخذ الرسول بید علی (ع) قال مقولته المشهوره فی مجلس کبار بنی هاشم وهی قوله (ص) :

«إنّ هذا أخی ووصیّی وخلیفتی فیکم، فاسمعوا له وأطیعوا» . (۱)

۱- تاریخ الطبری، ج۲، صص ۳۱۹ - ۳۲۱؛ الکامل فی التاریخ لابن الأثیر، ج۲، صص ۶۲ و۶۳؛ السیره الحلبیّه، ج۷۱، ص ۳۱۱؛ تاریخ ابن عساکر، ج۱، ص ۶۵؛ تفسیر خازن، ج۳، ص۳۷۱، وغیر ذلک من المصادر المتوفّره. .

ویکشف هذا الحدیث بوضوح بأنّ تأریخ التشیّع هو تأریخ الإسلام نفسُهُ، والنبوّه قُرنت بالإمامه من الیوم الأوّل لإعلان الدعوه

الاسلاميّه.

والحقيقه أنّ هـذه الحادثه هى ليست الموقف الوحيـد الـذى عيّن فيه الرسول (ص) وصـيّه والخليفه من بعده للمسـلمين، بل أكّد على هذا الأمر بعدها فى العديد من المناسبات وسنشير إلى هذه الموارد بإيجاز.

ب) حديث المنزله

حديث المنزله هو أحد الأحاديث المعروفه التى رواها المحدّثون و أصـحاب السير فى كتبهم. وفحوى الحديث أنّ الرسول (ص) عنـدما خرج إلى غزوه تبوك لم يأخـذ معه على بن أبى طـالب (ع) ؛ لأـن الضـروره اقتضت بقاءه فى المـدينه من أجل التصـدّى لفتنه المنافقين، ولكن الأعـداء قاموا ببث الإشاعات وادّعوا وجود بعض الاختلافات بينه وبين رسول الله (ص) وأنها السـبب الذى دعـا رسول الله (ص) الى عـدم اصـطحابه لتبوك لـذلك ذهب الإمـام على (ع) إلى الرسول (ص) وأخـبره بمـا يقوله المنـافقون، فأجابه:

كذبوا، ولكنّى خلفتك لما تركت ورائى، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك، أفلا ترضى - يا على - أن تكون منّى بمنزله هارون من موسى؟ إلّا أنّه لا نبىّ بعدى. (١)

ويكشف هـذا الحديث بوضوح بأنّ الإمام على (ع) يحظى بكلّ ما كان لهارون (ع) من منصبٍ وسـلطهٍ باسـتثناء النبوّه، ومن أبرز هذه المناصب هى: الوزاره؛ لأنّ هارون كان وزيراً لموسى (ع) ، وذلك كما قال تعالى:

١- صحيح البخارى، ج۶، ص ٣؛ صحيح مسلم، ج٧، ص ١٢٠؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥٥؛ سيره ابن هشام، ج ٢، صص ٥١٩ و ٥٢٠. .

(واجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى * هارُونَ أَخِى) (طه: ٢٩ و ٣٠)

واسـتثناء النبوّه فى كلام الرسول (ص) يثبت امتلاـك الامـام على (ع) جميع منـاصب هـارون (ع) ما عـدى النبوّه. والخلافه التى ذكرت فى هـذا الحـديث غير مختصّه بغزوه تبوك، بل حقيقه عامّه، وغزوه تبوك هى إحـدى مصاديقها. وإذا كان المقصود من الحديث أن الإمام على (ع) هو خليفه الرسول (ص) فى هذه الغزوه فقط، لم يكن هناك أىّ داعٍ ليبيّن (ص) هذه القاعده بصوره عامّه مع استثناء النبوّه.

ج) حديث الغدير

خلاصه قضيّه الغـدير التى كانت فى أواخر أيّام الرساله، والتى أكّد فيها الرسول (ص) على خلافه الإمام على (ع) من بعده، هى:

توجّه الرسول (ص) فی السنه العاشره للهجره إلی مکّه المکرّمه لأداء فریضه الحجّ وتعلیم مناسکها للمسلمین، ورافقه فی هذا السفر ما یقارب عشره آلاف شخصٍ، وقد ألقی خطباً قیّمهً فی عرفه ومنی.

وعندما انتهت مناسک الحجّ، ترک المسلمون مکّه المکرّمه عائدین إلی أوطانهم، ولمّا اقتربت القوافل من غدیر یُدعی (غدیر خم) نزل الوحی علی الرسول (ص) وأمره بالتوقّف، فأنزل الله علی الرسول (ص) : (یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ) (المائده:۶۷) .

وفی هذه الأثناء ارتفع صوت الأذان فی تلک الصحراء، ثمّ ألقی الرسول (ص) خطبهً جاء فیها:

الحمد لله نستعینه ونؤمن به، ونتوکّل علیه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سیئات أعمالنا الذی لا هادی لمن ضلّ، ولا مضلّ هدی، وأشهد أن لاإله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله أیّها الناس. . .

ص: ۲۰

إنّی أوشک أن أُدعی فأجیب، وإنّی مسؤول وأنتم مسؤولون. . . فمن کنت مولاه فعلی مولاه» .

قالها ثلث مرّات.

ثمّ قال:

اللّهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حیث دار، ألا فلیبلّغ الشاهد الغائب.

ثمّ لم یتفرّقوا حتّی نزل أمین وحی الله بقوله:

(الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی ورَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً) (المائده: ۳) .

وحدیث الغدیر من الأحادیث المتواتره، ویکفینا فی ذلک أنّ رواه هذا الحدیث عن رسول الله (ص) هم: ۱۲۰ راویاً من الصحابه، وراویاً من التابعین. وقد رواه علی مرّ ۱۴ قرناً ۳۶۰ شخصاً من علماء أهل السنّه.

وإذا أضفنا رواه وعلماء الشیعه إلی هؤلاء فسیبلغ الحدیث الحدّ الأعلی من التواتر. (۱)

نکتفی فی هذا المقام بهذه الأحادیث الشریفه الثلاثه.

۱- صحیح الترمذی، ج۵، ص ۲۹۷؛ سنن ابن ماجه، ج ۱، ص ۴۵؛ المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری، ج۳، ص۱۱۰؛ مسند احمد بن حنبل، ج۱، ص ۸۸ و ج۲، ص۶۷۲؛ الخصائص للنسائی، صص ۵۰، ۹۴، ۹۵؛ المصنف لابن أبی شیبه، ج۱۲، ص۷۸؛ مشکاه المصابیح، ج۳، ص۲۴۶؛ الریاض النضره لمحب الدین الطبری، ج ۲، ص ۱۶۹. و نحن نکتفی بهذا المقدار

من ذكرِ المصادر، و كل من يرغب أن يطّلع على المزيد من هذه المصادر فبامكانه مراجعه الكتب المؤلّفه حول حديث الغدير، و نقترح فى هذا المجال كتابى: الف: عبقات الأنوار، تأليف مير حامد حسين الهندى ۱۳۰۶ه. ب: الغدير، تأليف العلاّمه عبد الحسين الأمينى ۱۳۲۰-۱۳۹۰ه. .

ص: ۲۱

نشأه التشيّع فى ظلّ وصايا النبى (ص)

وقد أدّت هذه الأحاديث وما شابهها إلى أن يلتف بعض الصحابه حول الإمام على (ع) ، وأن يصبحوا من شيعته وأتباعه.

وكتب المحقّق المعروف محمّد كرد على فى كتابه (خطط الشام) مايلى:

عُرف جماعه من كبار الصحابه بموالاه على فى عص-ر رسول الله (ص) مثل سلمان الفارسى القائل: بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلى بن أبى طالب والموالاه له.

ومثل أبى سعيد الخدرى الذى يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحده، ولما سئل عن الأربع، قال: «الصلاه، والزكاه، وصوم شهر رمضان، والحجّ» .

قيل: فما الواحده التى تركوها؟

قال: «ولايه على بن أبى طالب» .

قيل له: وإنّها لمفروضه معهن؟

قال: «نعم هى مفروضه معهنّ» .

ومثل أبى ذر الغفارى، وعمّار بن ياسر، وحُذيفه بن اليمان وذى الشهادتين خزيمه بن ثابت، وأبى أيّوب الأنصارى، وخالد بن سعيد، وقيس بن سعد بن عباده. (۱)

الشيعه فى عصر الرساله

إنّ مصادر الحديث تزخر بالأحاديث التى أكّد فيها رسول الله (ص) مراراً على إمامه علىّ بن ابى طالب (ع) وخلافته له، وقد اكتفينا بذكر ثلاثهً منها

۱- خطط الشام، ج ۵، ص ۲۵۱. .

ص: ۲۲

فحسب. وهذه الأحاديث قد أدّت إلى ظهور التشيّع فى بلاد المسلمين منذعهد الرسول (ص) . وآمن بعض الصحابه فى عص-ر الرساله بولايه الإمام على (ع) وعُرفوا بشيعه علىٍّ، ثمّ تمسّك هؤلاء بما عاهدوا الله عليه بعد رحيل الرسول (ص) ، وحافظوا على بيعتهم للإمام على والتى يعود تأريخها الى عهد رسول الله (ص) ، فأسّسوا نواه التشيّع فى صدر الإسلام، وبالتدريج شقّ التشيّع طريقه وبدأ الشيعه ببيان المكانه الصحيحه للإمامه ووصايه الإمام على (ع) بعد رسول الله (ص) .

فالتشيّع نشأ فى الحجاز، وعندما نقل الإمام على (ع) مقرّ خلافته إلى العراق بدأ التشيّع ينتشر أكثر فأكثر فى مختلف أنحاء العالم.

٢- أقليّه أتباع مذهب أهل البيت (ع) وأكثريّه أتباع مذهب أهل السنّه

سؤال: إذا كان الشيعه أتباع مذهب الحقّ، فلماذا عددهم أقلّ من أتباع مذهب أهل السنّه؟

الجواب: الأكثريه ليست دليلاً على الحقّانيّه مطلقاً، كما أنّ الأقليّه أيضاً ليست دليلاً على عدَم ذلك، فالمؤمنون كانوا على مرّ التأريخ منذ زمان النبى نوح (ع) حتّى زمان خاتم الأنبياء (ص) أقليةً بالنسبه إلى غيرهم، وقد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقه فى العديد من الآيات عند إشارته إلى دعوه الأنبياء للناس، فقال تعالى عن النبى نوح (ع) الذى لبث فى قومه ألف سنه إلّا خمسين عاماً: (١)

(وما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (هود: ۴۰) .

وقال تعالى فى آيه أخرى:

١- قال تعالى: (لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَهٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً) (العنكبوت: ١۴) . .

وقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (سبأ: ١٣) .

وقد حذّر الله تعالى الرسول (ص) من اتّباع الاكثريّه، فقال له:

(إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) (الأنعام: ١١۶) .

وخاطب تعالى أيضاً رسول (ص) قائلاً:

(وما أَكْثَرُ النَّاسِ ولَوحَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف: ١٠٣) .

ولوتأمّلنا فى العالم، فإنّنا نجد أكبر دوله من ناحيه عدد السكّان هى الصين حيث إنّ عدد سكّانها يقارب مليار وثلاثمائه مليون نسمه، بعدها الهند التى يقارب عدد سكّانها مليار نسمه، وأكثر هؤلاء غير مسلمين ومعظمهم يعبدون الأصنام. وإذا كان عدد المسلمين فى العالم يقارب مليار وثلاثمائه مليون نسمه، فهو قليلٌ بالنسبه الى عدد سائر غير المسلمين من سكّان العالم البالغ

عددهم ستّ مليارات نسمه.

وقد أشار الإمام على (ع) إلى هذه الحقيقه فى حرب الجمل، حيث سأله أحد الأشخاص: أترى أنّ طلحه والزبير وعائشه اجتمعوا على الباطل؟

فقال على (ع) : «

يا حارث، أنت ملبوس عليك! إنّ الحقّ والباطل لايعرفان باقتدار الرجال، وبإعمال الظنّ، اعرف الحقّ تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله » . (۱)

أضف إلى ذلك فإنّ الشيعه على الرغم من قلّه عددهم بالنسبه إلى عدد سكّان العالم، ولكنّه - فى حدّ ذاته - كبير جدّاً؛ ولهذا نجد لهم حضورٌ فعّالٌ فى أغلب أنحاء العالم. وأضافه إلى ايران والعراق وأذربيجان والبحرين ولبنان حيث يشكّل الشيعه الأكثريّه فيها، فإنّ الشيعه فى جميع البلدان الاسلاميه هم

۱- بحارالأنوار، ج ۲۲، ص ۱۰۵. .

أقليات عددها ملفت للنظر، ولهم مساجد ومؤسسات، ومدارس وبرامج ثقافيّه.

ومن الجدير بالذكر أنّ الشيعه كانوا يعرفون بحاله الرفض للسلطه السياسيه الحاكمه؛ ولهذا أطلقت هذه السلطات عليهم لقب (الروافض) وذلك ليُبرّروا قمعهم واجتثاثهم. مثلاً- نجد السلطان محمود الغزنوى بعد هيمنته على شرق خراسان بادر إلى قمع الشيعه والمعتزله، فدمّر آثارهم العلميّه وأتلف مكتباتهم ليمحو أثر التشيّع والاعتزال. وكان يدعم باستمرار أهل الحديث والكراميّه، وكان يرى أنّ الشيعه والمعتزله هم ألدّ أعدائه. (۱)

كما أنّ صلاح الدين الأيوبى قام بإباده الشيعه والقضاء عليهم، وسفك دماء الكثير منهم بعد خيانته للفاطميّين. (۲)

وفى العهد العثمانى إبّان حكومه السلطان سليم، أصدر أحد فقهاء الحنفيه المعروف ب-(نوح) ، فتوى ذُبح على أثرها ۴۰/۰۰۰ شيعى فى تركيا. (۳)

وخلال فتره حكومه الجزّار فى لبنان، سفكت دماءالكثير من الشيعه فى جبل عامل، وبادرت الحكومه إلى إباده الشيعه، بحيث تمّ استخدام كتبهم بدل الحطب فى أفران المخابز لفتره طويله. (۴)

۱- أحد أبناء خراسان يُدعى: عبد الله بن كرّام، و كان يتظاهر بالزهد خدع الكثير من الناس و أدخلهم فى مذهبه، و كان السلطان محمود من جمله أتباعه، فلمّا بلغ السلطه أطاح بالشيعه و أهل الكلام. مذكرات القزوينى، الحواشى ج ۷، ص ۶۰، نقلاً عن لغت نامه دهخدا.

۲- انظر: أعیان الشیعه، ج ۳، ص ۳۰؛ تاریخ الشیعه للمظفر، ص ۱۹۲.

۳- انظر: البلاد العربیه و الدوله العثمانیه للحصری، ص ۴۰؛ أعیان الشیعه، ج ۱، صص ۳۰ و ۳۱. و ذکر صاحب الأعیان عدد القتلی ۷۰۰۰۰ بدل ۴۰۰۰۰؛ الفصول المهمّه لشرف الدین العاملی، ص ۱۴۰.

۴- انظر: دائره المعارف اللبنانیه لفواد البستانی، ترجمه إبراهیم یحیی. .

ص: ۲۵

نظراً هذه الإبادات الجماعیّه للشیعه، یمکن القول بأنّ بقاء الشیعه فی العالم کان معجزهً إلهیّهً.

والملفت للنظر أنّهم تمکّنوا علی الرغم من الظروف الصعبه التی مرّوا بها أن یکوّنوا ثقافه رصینه وشامله، ونبغ بینهم علماء بارزون فی مختلف التخصّصات الإسلامیه والعلمیه، وإلی یومنا هذا (القرن الخامس عشر) بقی التشیّع فی ظلّ العنایه الإلهیه محافظاً علی الإسلام الأصیل المحمّدیّ ونوره یسطع یوماً بعد آخر فی جمیع أرجاء العالم، فیهتدی به کلّ یوم المزید من أبناء البشریه إلی الصراط المستقیم لیُطهّر التأریخ من حجب الجهل والتعصّب.

ص: ۲۶

ص: ۲۷

الفصل الثانی: عقائد الشیعه

۱- منزله أولیاء الله وقدراتهم الغیبیّه

اشاره

سؤال: هل أنّ انبیاء الله تعالی واولیاءه قادرون علی الإتیان بأفعال خارقه للعاده إضافه إلی قدراتهم الطبیعیّه؟

الجواب: إنّ نظام الکون هو نظام الأسباب والمسبّبات، ونظام العِلل والمعلولات، وکلّ شخص قادر علی القیام بفعلٍ ما، فهو یستمدّ قدرته من قدره الله تعالی، وبمجرّد أن ینقطع هذا المدد، سوف یفقد کلّ إنسان قدرته، ویکون عاجزاً عن القیام بأیّ فعل.

لذا، إنْ صدرت من أولیاء الله أعمال خارقه للعاده، فإنّهم لا یقومون بذلک إثر قدرتهم الذاتیّه، وإنّما یفعلون ذلک بإذن الله واستمداداً من قدرته الأزلیّه، وإذا سلب الله القدره منهم، فإنّهم سیفقدون القدره علی إنجاز أیّ فعل سواء کان فعلاً طبیعیّاً أم فعلاً خارقاً للعاده.

إنّ ولیّ الله یمتلک قدره القیام بالأفعال الخارقه للعاده نتیجه تکامله الروحی، فیصل من خلال عبادته وعمله بالتعالیم الإسلامیّه واجتیاز

ص: ۲۸

الصراط المستقيم إلى هذا المقام. (۱)

والإنسان فی ظلّ عبودیّته لله وإخلاصه فی العباده یصل الی درجه التکامل الذاتی الذی لا صله له بالحیاه الفردیّه والاجتماعیّه، وهذا التکامل خارج عن نطاق الجسم والمادّه، وکلّ من یسلک هذا الطریق یبلغ درجاتٍ یلمس آثارها فی حیاته الدنیا وفی حیاته الأُخری، ولکلّ ولی درجته حسب مستواه.

ما المقصود من مفهوم الکمال؟

عندما نقول: الله تعالی هو الکمال المطلق أو الکمال اللامتناهی، فالمقصود من هذا الکمال هو صفات الله الجمالیّه نفسها، من قبیل العلم والقدره، والحیاه والإراده. والعبد ینال الکمال بمقدار عبودیّته لله تعالی.

والمقصود من نیل الکمال هو نیل المزید من العلم والقدره، والتأثیر فی الإراده والحیاه الأبدیّه. ومن هذا المنطلق تکون منزله العبد أعلی من منزله الملائکه نتیجه نیله المزید من الکمال.

ودأب البشریّه الهیمنه علی العالم والقیام بما یعجز الإنسان عنه فی الحاله الطبیعیّه، ومثال ذلک نجد أنّ بعض المرتاضین یسلکون الطرق المحرّمه والمؤذیه لأنفسهم لتقویه أرواحهم ومن أجل نیل المزید من القوی الخارقه للعاده.

ولکنّ الطریق الصحیح الذی یصل من خلاله الإنسان إلی سعاده الدارین هو طریق العبودیّه والخضوع لله ربّ العالمین، والالتزام بطاعته تعالی. وهذا ما یوصل العبد إلی مقامات تمکّنه من نیل قدره التصرّف فی عالم

۱- تنویه: یمکّن للإنسان القیام بالأفعال الخارقه للعاده عن طریق: الریاضه، ولکن هذا طریق محرّم من الناحیه الشرعیّه. .

التکوین.

وقد أشار رسول الله فی حدیث إلی المنازل الرفیعه التی ینالها سالکو طریق الحقّ من خلال عبادتهم الله تعالی حیث ذکر (ص) حدیثاً قدسیّاً جاء فیه:

وما تقرّب إلیّ عبد بشیء أحبّ إلیّ ممّا افترضت علیه، وإنّه لیتقرّب إلیّ بالنافله حتّی أحبّه، فإذا أحببته کنتُ سمعه الذی یسمع به، وبص-ره الذی یبصر به، ولسانه الذی ینطق به، ویدیه التی یبطش بها، إن دعانی أجبته، وإن سألنی أعطیتهُ. (۱)

والتأمل فی هذا الحدیث القدسی یرشدنا إلی معرفه عظمه الکمال الذی یناله الإنسان من خلال أداء الفرائض والنوافل، وتزداد فی هذه الحاله قدره الإنسان الباطنیّه، بحیث یصل إلی مرحله یکون فیها قادراً بإذن الله تعالی من سماع ما لا تسمعه الآذان فی الأوضاع الطبیعیّه، ویری ما لا تراه الأعین فی الحاله الطبیعیّه، فیصل إلی کلّ مایبتغیه، ویصبح من أحباء الله وینصبّ عمله فی دائره مرضاه الله تعالی.

ولا شكّ فی أنّ المقصود من الحدیث الذی ذکرناه آنفا أنّه تعالی یوسّع بقدرته دائره رؤیه هذا العبد، ودائره سمعه ویزید من قدرته.

آثار العبودیّه والکمال النفسانی

من آثار کمال النفس، قدره التصرّف فی العالم -بإذن الله- وبیان ذلک أنّ الإنسان یغدو فی ظلّ قدرته التی یکتسبها من التقرّب الی الله تعالی قادراً علی التصرّف فی العالم بإرادته کما یتصرّف فی سلوکه وأفعاله الاختیاریّه، ومن هنا

۱- الکافی، ج ۲، ص ۳۵۲. .

یمتلک هذا العبد القدره علی القیام بالأعمال الخارقه للعاده؛ أی أنّه یمتلک قدره التصرّف فی عالم التکوین.

القرآن وکرامات الأولیاء

اشاره

بیّن القرآن الکریم بعض الکرامات لأنبیاء الله تعالی، وهی کرامات تمکّنوا عن طریقها من التصرّف بعالم التکوین بإذن الله عزّوجلّ ونتیجهً لکمالهم الفنسیّ وسنُشیر فیمایلی إلی بعض هذه الکرامات بصوره موجزه:

۱. تصرّف النبی یوسف (ع) فی إعاده بصر أبیه

بکی النبی یعقوب (ع) طیله سنوات إثر مفارقته ولده یوسف (ع) ، ففقد بسبب هذا البکاء بصره. وبعد سنوات أرسل یوسف (ع) مبعوثاً إلی کنعان لیُلقی رداءه علی وجه أبیه یعقوب (ع) لیرتدّ بصیراً: (فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِیرُ أَلْقاهُ عَلی وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِیراً) (یوسف: (ص)۶) .

ولا شکّ فی أنّ المؤثّر الحقیقی فی هذا المقام هو الله تعالی، لکنّه تعالی جعل إراده یوسف سبباً لارتداد بصر أبیه، ومکّن النبی یوسف من تحقیق إرادته متی ما شاء.

وتمکّن یوسف من إعاده البصر لأبیه عن طریق سبب بسیط، وهو إلقاء الرداء علی وجهه. ونستوحی من ذلک أنّ معجزات وکرامات الأنبیاء تتحقّق عبر أمور بسیطه؛ لئلّا یتصوّر الناس بأنّ الأنبیاء تصدر منهم المعاجز بتوسیط الأمور العلمیّه.

۲. إظهار أعوان سلیمان لقدراتهم الفائقه

لا یخفی علی أحد بأنّ النبی سلیمان (ع) استدعی ملکه سبأ، فقال لمن

ص: ۳۱

حوله فی مجلسه قبل وصول ملکه سبأ إلیه:

(قالَ یا أَیُّهَا الْمَلَؤُا أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ * قالَ عِفْرِیتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِکَ وإِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ) (النمل:۳۸و۳۹) .

و قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ ، وهو حسب قول المفسّرین آصف بن برخیا وزیر سلیمان وابن أخته:

(أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی) (النمل: ۴۰) .

ینبغی علینا التأمّل فی مضامین هذه الآیات بحثاً عن السبب الذی مکّن هؤلاء من القیام بهذا الأمر الخارق للعاده، وهو جلب عرش بلقیس الذی یبعُد مسافات إلی مجلس سلیمان. فهل أنّ الله تعالی کان هو السبب المباشر لإنجاز هذا الأمر الخارق للعاده؟ وهل هو الذی أحدث هذه الطفره فی الطبیعه وأن العفریت من الجنّ وآصف بن برخیا، مجرّد مظاهر لیس لها أیّ تاثیر فی هذا المجال؟

أو أنّ سبب هذا الأمر والتأثیر یعود إلی الشخص نفسه، کما تنجز الخلائق أفعالها بتأثیر منها ولکن باذن الله وبالقدره التی مکّنها الله منها؟

والفرق بین الذین یقومون بالأمور الخارقه للعاده عن غیرهم أنّهم یمتلکون قدرهً أکثر من غیرهم نتیجه قربهم إلی الله تعالی وأنّهم یقومون بهذه الأمور الخارقه للعاده بإرادتهم، کما یقوم سائر الناس بالافعال الارادیه بمحض إرادتهم. ویبدوأنّ الآیات الثلاثه التی مرّ ذکرها تؤیّد الرأی الثانی، ودلیل ذلک:

أوّلاً : النبی سلیمان (ع) طلب من أتباعه القیام بهذا العمل، وهم کانوا

ص: ۳۲

قادرین علی ذلک.

ثانیاً : الذی قال بأنّه یجلب عرش الملکه بلقیس قبل أن یقوم سلیمان من مقامه، قال بعدها: (وإِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ) ، فإذا لم تکن إراده الشخص هی المؤثّره فی أداء هذا العمل، ما کان له أن یقول هذه العباره.

ثالثاً : قال آصف بن برخیا: (أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ) ، فنسب هذا العمل الخارق للعاده إلی نفسه بقوله: (أَنَا آتِیکَ بِهِ) .

إذن، بیّن القرآن الکریم مسأله صدور الأمور الخارقهللعاده فی هذه الآیات، وأکّد علی أنّ إراده أولیاء الله تعالی لها تأثیر مباشر علی صدور الأمور الخارقه للعاده، وغیرها من المعاجز والکرامات.

رابعاً: بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ سبب قدره آصف بن برخيا على القيام بالعمل الخارق للعاده هو العلم الذى لايتمكن أىّ إنسانٍ من اكتسابه، بل يختصّ به المقرّبون من عباد الله، ولا يكتسبه العبد إلّا بمقدار قربه من الله تعالى.

٣. النبى سليمان (ع) وقدراته الفائقه

صرّح القرآن الكريم بأنّ الريح كانت تجرى بأمر سليمان، وبما أنّ الريح جزء من نظام الكون؛ فعندما بأمر سليمان يكون ذلك دليلاً على تأثير إراده سليمان فى التصرّف فى الكون.

قال تعالى: (ولِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِى بارَكْنا فِيها وكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عالِمِينَ) (الأنبياء:٨١) .

والجدير بالذكر أنّ هذه الآيه تبيّن بص-راحه أنّ جَرَيان الريح وتحديد مسارها كان معلولاً لأمر سليمان وإرادته النافذه، وهذا ما يشير إليه بوضوح

ص: ٣٣

قوله تعالى: (تَجْرِى بِأَمْرِهِ) .

ونقرأ فى آيه أخرى:

(ولِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ ورَواحُها شَهْرٌ) (سبأ: ١٢) .

وهذا يدلّ على قدره سليمان بأن يجتاز خلال يوم واحد، ما تجتازه الدوابّ أنذاك خلال شهرين، ولا يخفى أنّ الله تعالى سخّر الريح له، ولكن عباره: (تَجْرِى بِأَمْرِهِ) ، تكشف بوضوح تأثير أمر سليمان وإرادته فى استثمار هذه الظاهره الطبيعيّه من قبيل تعيين زمان حركه الريح واتّجاهها وزمان توقّفها.

ويستفاد أيضاً من الآيات المرتبطه بالنبى سليمان (ع) بأنّ الله تعالى مكّنه من السيطره على الكثير من الظواهر الطبيعه المتمرّده وسخّرها له، فكان (ع) يسيّرها كما يشاء بإذن الله، منها ما جاء فى قوله تعالى: (وأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) (سباء: ١٢) .

والمقصود من (عين القطر) هنا (النحاس) الذى هو من المعادن الصّلبه، لكنّ الله تعالى جعله ليّناً له كى يصنع منه ما يشاء.

ومنها تعامله (ع) مع الجنّ، وهى كائنات لا ترى بالعين الطبيعيّه، فمكّنه الله من السيطره عليهم وتوظيفهم كيفما يشاء.

قال تعالى: (ومِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ . . . * يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ. . . .) (سبأ: ١٢و١٣) .

ويفهم من الآيات المذكوره أنّ قدره سليمان على تسخير الريح كانت كقدرته على تسخير الظواهر الطبيعيّه الأخرى، وإذن الله فى هذا المجال لايعنى تدخّل إراده الله فقط فى تحقّق هذا الأمر، بل إنّ الله عزّ وجلّ جعل لإراده النبى سليمان الدور فى تسخير هذه الظواهر. وكان سليمان بإرادته يجرى الرياح، وبإرادته يسيل القطر، وبإرادته يُسخّر الجنّ؛ ولكنّ هذا كلّه

كان فی ظلّ إذن الله عزّ وجلّ.

وجمیع هـذه التصـرّفات دلیـل علی الولاـیه التکوینیّه، وفحوی هـذه الولایه أنّ قرب النبی من الله تعالی یمنحه منزله، بحیث تکون جمیع الأمور الطبیعیّه، وحتی الکائنات غیر المرئیه -مثل الجن - تحت أمره وسیطرته بإذن الله تعالی.

۴. أفعال المسیح الخارقه للعاده

نسب القرآن الکریم بعض التصـرّفات الخـارقه للعاده للسـیّد المسـیح (ع) ، وأشار إلی أنّ جمیع هـذه التصـرّفات ناشـئه من القوّه الباطنیّه للسیّد المسیح وإرادته المباشره، فقال تعالی علی لسان حاله:

(. . . أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَهِ الطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللهِ وأُبْرِئُ الْأَکْمَهَ والْأَبْرَصَ وأُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللهِ. . .) (آل عمران:۴۹) .

وفی الآیات التالیه نسب السیّد المسیح لنفسه القدره علی القیام بالأعمال التالیّه:

۱- خلق هیئه الطیر من الطین.

۲- النفخ فی الهیئه المخلوقه من الطین فتکون طیراً حیّاً.

۳- إبراء الأکمه.

۴- إبراء الأبرص.

۵- إحیاء الموتی.

وینسب السیّد المسـیح هـذه الأفعـال إلی نفسه، ویری أنّه الفاعـل لهـا، لاـ أنّه یطلب من الله فیسـتجیب الله دعـاءه ویقوم الله بهـذه الأمور، بل إنّ السیّد المسیح هو الذی یقوم بهذه الأمور، ولکن بإذن الله؛ ولهذا یقول: إنّی أخلق. . . أنفخ. . . أبرئ. . . أحیی. . . بإذن الله.

ویا تُری هل هذا الإذن لفظی؟

الجواب: لا شکّ فی هـذا الإذن لیس لفظیاً، بل هو إذنٌ باطنیٌّ أی: أنّه تعالی یمنح عبده من الکمال والقوّه بحیث یمتلک القدره علی إنجاز أمور خارقه للعاده.

والشاهد على ذلك أنّ البشريّه كافه تحتاج فى تحقّق جميع أمورها إلى إذن الله تعالى، ولا يمكنها القيام بأىّ تص-رّف إلّا فى رحاب هذا الإذن، وإذن الله عباره عن أنّه تعالى يمكّن الفاعل من القيام بأمور خارقه للعاده بقدرته ورحمه.

وإذا كان السيّد المسيح فى هذه الآيه ينسب هذه الأفعال الخارقه للعاده إلى نفسه، فإنّ الله تعالى أيضاً ينسبها إليه فى آيه أخرى، حيث قال:

(وإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى وتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِى) (المائده: ١١٠) .

ويرجى المزيد من التأمل فى مضمون هذه الآيه؛ ليّتضح من هو الفاعل لهذه الأمور.

فالله عزّوجلّ لم يقل: أنا أخلق، أنا أبرىء، أو أنا أخرج الموتى، بل قال تعالى: (إِذْ تَخْلُقُ) ، (وتُبْرِئُ) و (إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى) ، أى: أنت أيّها المسيح تخلق وتبرىء وتُخرج الموتى، وهل هناك تصريحٌ أفصح من هذا الكلام؟ !

ولكن مع ذلك، فالقرآن الكريم يصرّح بعدم استقلال الإنسان فى القيام بأعماله، ويؤكّد على بطلان عقائد المعتزله والثنويّه الذين يزعمون أنّ الإنسان لا يحتاج فى أفعاله إلى الله، ويقولون إنّه يقوم بأفعاله وتصرّفاته بنحو مستقلٍّ ولا حاجه له إلى الله؛ ولهذا نجد السيّد المسيح يقيّد جميع أفعاله بإذن الله، ويراعى فى هذا المقام التوحيد فى الأفعال.

الولايه التكوينيّه ومسأله الغلوّ

يتصوّر البعض بأنّ الاعتقاد بالولايه التكوينيّه سببٌ للغلوّ فى مقام الأنبياء والأوصياء؛ ولكن هذه العقيده لا صله لها بالغلو أبداً.

المغالى هو من يدّعى أنّ لعباد الله مقاماً أرفع من مقام العبوديّه، وينسب إليهم صفات الله تعالى وأفعاله؛ فيقول مثلاً إنّ تدبير نظام الخلقه بأيديهم، كما لو ادّعى شخصٌ أن الإمام هو الخالق وهو الرازق وهو المحيى وهو المميت، أى له اختيارٌ مطلقٌ فى ذلك. فهذا هو الغلوّ الذى يستتبع الكفر بالله عزّ وجلّ.

فالواقع أنّ الغلو يعنى الاعتقاد بألُوهيّه غير الله تعالى أو الاعتقاد بأن عباده هم مبدأ أفعاله. (١)

وهذا ما لا نجده فى الاعتقاد بالولايه التكوينيّه لبعض العباد، فمن يمتلك الولايه التكوينيّه لا يكون إلهاً عن طريق امتلاكه لهذه الولايه، بل يبقى عبداً لله تعالى، وإنّما يكون ممّن مكّنه الله للقيام ببعض الت-صرّفات الخارقه للعاده بإذنه. ومن يمتلك الولايه التكوينيّه لا نعتقد بأنّه يقوم بهذه الأفعال على نحوالاستقلال، وإنّما يقوم بها بإذن الله.

فمن يعتقد بولايتهم التكوينيّه لا يعتقد أنّهم آلهه ولا يعتقد أنّهم يعملون بهذه الولايه على نحوالاستقلال ومن دون إذن الله، بل يؤمن بأنّهم عباد مكرّمون تمكّنوا فى ظلّ تقرّبهم إلى الله أن ينالوا منه القدره التى تتيح لهم -بإذن الله - التصرّف فى الكون من أجل الإرشاد والإصلاح.

وبين الاعتقاد بالولايه التكوينيّه لبعض العباد بإذن الله وبين الغلوّ بون

١- أفعال الله تعالى تعنى أنه مستقلٌّ فى فعلها ولا يحتاج إلى غيره فى القيام بها، سواءٌ أكان هذا الفعل طبيعيّاً أم خارقاً للعاده. .

ص: ٣٧

شاسع ومسافه كبيره ولا يوجد أىّ تشابه بينهما؛ وإذا مكّن الله أحد عباده من القيام ببعض التصرّفات الخارقه للعاده من أجل إرشاد الناس، فهذا لا يعنى أنّه تعالى فَقَدَ شيئاً من قدرته، أو أنّ ذلك العبد خطا خطوه تجاوز فيها مقام العبوديّه.

وما يمتلكه الإنسان الكامل من الله يشبه ما يمتلكه الابن من أبيه، حينما يعمل فى متجره، أو كالوكيل الذى يعمل برأس مال موكله.

وقدره الإنسان الذى يمكّنه الله من الولايه التكوينيّه هى من الله، ولايقوم صاحب هذه الولايه بأىّ فعلٍ إلّا بإذن الله.

فأين يكون الشرك فى هذا المقام؟ !

وهل فيه ماينا فى التوحيد؟ !

بل هذا عين التوحيد. ألم يمكّن الله الملائكه من إنزال العذاب على بعض الأُمم؟ !

فهل الاعتقاد بتمكّن الملائكه من إنزال هذا العذاب يستلزم الش-رك بالله تعالى؟ !

إذن، إذا مكّن الله أحد عباده من الولايه التكوينيّه، فإنّ هذا التمكين لايوجب أبداً شيئاً من النقص لله عزّ وجلّ، ولا يوجب قَطُّ خروج الله تعالى من سلطانه، فلا توجد أيّه صله بين الاعتقاد بهذا التمكين الذى هو من الله عزّ وجلّ وبين الشرك أبداً.

٢- التوسّل بأولياء الله

اشاره

هل أنّ التوسّل بأولياء الله جائزٌ؟ وهل هناك ما يؤيّده فى الكتاب والسنّه؟

للإجابه على ما ذكر نقول: إنّ التوسّل بأولياء الله يعدّ نوعاً من أنواع

ص: ٣٨

التمسك بالوسيله التى دعا إليها القرآن الكريم، وقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يبتغوا إليه الوسيله، فقال تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَه وابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَهَ وجاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائده: ٣٥) .

والجدير بالاهتمام فی هذا المقام هو معرفه المقصود من ابتغاء الوسیله، وکلّ من یتدبّر فی هذه الآیه، فإنّه یجد بأنّ المقصود هو البحث عن الأسباب التی تقرّب العبد إلی الله تعالی، والأسباب فی هذا الصعید مختلفه، منها:

۱. أداء الفرائض

أداء الفرائض یعدّ أحد الأسباب التی تقرّب الإنسان إلی الله تعالی، وقد قال أمیرالمؤمنین (ع) :

إنّ أفضل ما توسَّل به المتوسِّلون إلی الله سبحانه وتعالی، الإیمان به وبرسوله، والجهاد فی سبیله. . . وإقام الصلاه فانّها الملّه وإیتاء الزکاه. . . . (۱)

۲. التوسّل بأسماء الله تعالی وصفاته

من التوسّل أن یدعو الإنسان ربّه بأسمائه الحسنی وصفاته، وهذا النمط من التوسّل واضح جدّاً فی الأحادیث الش-ریفه، ولا سیّما فی أدعیّه أهل البیت (علیهم السلام) .

ونکتفی فی هذا المقام بالإشاره إلی حدیثین:

ألف) نقل الترمذی فی سننه، عن عبدالله بن بریده الأسلمی، قال: سمع النبی (ص) رجلاً یدعو وهو یقول: اللّهم، إنّی أسألک بأنّی أشهد أنّک أنت الله

۱- نهج البلاغه، خطبه ۱۱۰. .

لا إله إلا أنت الأحد الصّمد الّذی لم یلد ولم یولد، ولم یکن له کفواً أحد. . . .

فقال (ص) :

«لقد سأل الله باسمه الأعظم الذی إذا دُعی به أجاب، وإذا سُئل به أعطی» . (۱)

ب) ورد فی الدعاء المروی عن الإمام الباقر والإمام الصادق (ع) المعروف ب-: دعاء السمات:

اللهم، إنّی أسألک باسمک العظیم الأعظم الأعزّ الأجل الأکرم، الذی إذا دُعیت به علی مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمه انفتحت، وإذا دُعیت به علی مضائق أبواب الأرض للفرج انفرجت، وإذا دعیت به علی الع-سر للیسر تیسّرت. . . . (۲)

ویعدّ دعاء الجوشن الکبیر النموذج البارز لهذا النوع من التوسّل، وهو دعاء نقرؤه فی لیالی القدر.

۳. التوسّل بالقرآن الکریم

من طرق التوسّل أن يقرأ الإنسان القرآن، ويطلب بوسيلته حاجاته من الله تعالى، وهذا النمط من التوسّل فى الواقع هو التوسّل بفعل الله؛ لأنّ القرآن كلام الله الذى أنزله على قلب الرسول (ص) .

وقد نقل أحمد بن حنبل عن عمران بن حصين بأنّ الرسول (ص) قال:

«اقرؤوا القرآن وسلوا الله تبارك وتعالى به من قبل أن يجيءَ قوم يسألون الناس به» . (٣)

١- سنن الترمذى، ج ٥، ص ٥١٥.
٢- مصباح المتهجّد، الشيخ الطوسى، ص ٣٧۴.
٣- مسند أحمد، ج ۴، ص ۴۴۵. .

ص: ۴۰

والتأمّل فى هذا الحديث يكشف لنا جواز التوسل بأىّ شىء له منزله وكرامه عند الله تعالى، ولهذا يُستحبُّ فى ليالى القدر أن يفتح الإنسان القرآن ويقرأ هذا الدعاء:

«اللهم، إنّى اسألك بكتابك المنزل وما فيه، وفيه اسمك الأعظم الأكبر وأسماؤك الحسنى» . (١)

۴. التوسّل بدعاء المؤمن

من أسباب التوسّل ونيل مغفره الله أن يطلب الإنسان من أخيه المؤمن أن يدعوله، وهذا النمط من التوسّل قد اتّفق على جوازه جميع موحّدى العالم، ويكفينا فى هذا المجال العلم بأنّ حمله العرش: (يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) (الغافر: ٧) .

ولا يقتصر هذا الاستغفار على الملائكه، بل المؤمنون أيضاً يستغفرون لمن سبقوهم بالايمان: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ولِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ) (الحشر: ١٠) .

وقد طلب رسول الله من أمّته أن تدعو له، فقال (ص) :

«اسألوا الله لى الوسيله، فإنّها درجه فى أعلى الجنّه لا ينالها إلّا رجل، وأرجوا أن أكون أنا» . (٢)

وقال (ص) أيضاً:

«سلوا الله لى الوسيله المنزله العليه، فإنّه لا يسألها لى عبد مسلم فى الدنيا إلّا كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامه» . (٣)

١- الإقبال الأعمال، ابن طاووس، ص ۴١.
٢- مسند أحمد، ج ٢، ص ٣۶۵.
٣- فيض القدير، ج ۴، ص ١١۴؛ مستدرك بحار الأنوار، ج ۴، ص ۶١. .

۵. التوسّل بدعاء النبی (ص) فی حیاته

إنّ رسول الله (ص) هو أشرف الخلق وأكرمهم عند الله، وقد أشار القرآن الكريم إلى منزلته الرفيعه، ولا يسعنا المقام هنا ذكر الآيات التى وردت فى هذا الصدد.

ويكفينا لمعرفه منزله الرسول (ص) أن نعلم بأنّ الله تعالى جعله وقايه للناس من نزول العذاب عليهم وهو (ص) فيهم، فقال تعالى:

(وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ وما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال: ۳۳) .

وما يدلّ على عظمه نبيّنا الكريم أنّ الله تعالى قَرَن اسمه باسمه وجعل طاعته طاعةً له، فقال:

(ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً) (الأحزاب: ۷۱) .

فهاتان الآيتان والآيات الأخرى تحكى عن عظمه رسول الله (ص) وعُلوّ مكانه عند الله تعالى، وهذه المكانه لا نظير لها فى الكون لذلك فإنّه تعالى لايردّ دعاءه، ولهذا أمر الله عزّ وجلّ المذنبين أن يقصدوا الرسول (ص) ويطلبوا منه أن يستغفر لهم، فقال:

(ولَوأَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً) (النساء: ۶۴) .

بل أكثر من ذلك، فقد أكّد الله عزّوجلّ على أنّ الاستنكاف عن طلب الاستغفار من الرسول من علامات النفاق، فقال:

(وإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (المنافقون: ۵) .

ويُستفاد من بعض الآيات القرآنيه بأنّ دأب الأمم السابقه أيضاً كان اللجوء إلى الأنبياء وطلب الاستغفار منهم، كما فعل أبناء يعقوب، حيث قصدوه وطلبوا منه أن يستغفر لهم، فقالوا له:

(يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ * قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هو الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (يوسف: ۹۷ و ۹۸) .

ولا يوجد أىّ مجال للاعتراض على هذا النمط من التوسّل، ولم نجد أيضاً أىّ مخالف فى هذا الصعيد.

الأمر الذى يحوز أهميّةً فى هذا المقام هو أنّ المكانه المقدّسه التى يمتلكها الأنبياء هى الوسيله التى تجعل دعاءهم أقرب للاستجابه، وهذا الأمر هو الذى يحفّز الآخرين على طلب الدعاء منهم.

۶. التوسّل بدعاء النبی بعد رحيله

اشاره

تثبت الأدلّه بأنّ الإنسان الصّالح حیّ عند الله فی حیاته البرزخیّه، ویمکن الاتّصال به ولا یوجد فرق فی طلب الدعاء من هکذا شخص سواء فی حیاته الدنیویّه أم فی حیاته البرزخیّه.

ومن هذا المنطلق فإنّ طلب الاستغفار من الرسول مع لحاظ قوله تعالی: (ولَوأَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَه واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَه تَوَّاباً رَحِیماً) (النساء: ۶۴) ، شاملٌ لطلب الاستغفار من الرسول فی حیاته وبعد رحیله.

ولا شکّ فإنّ دعاء الرسول (ص) أقرب للاستجابه من دعاء غیره وذلک لنقاء روحه و طهاره نفسه ولقربه (ص) من الله عزّ وجلّ.

وکما یجوز للعباد طلب الدعاء من الرسول فی حیاته، کذلک یجوز لهم

طلب ذلک بعد رحیله؛ لأنّ الرسول بعد وفاته أیضاً حیّ عند ربّه ولا یوجد فرق بین حیاته الدنیویّه وحیاته البرزخیّه.

والشاهد علی أنّ هذه الآیه لا تختصّ بحیاه الرسول الدنیویّه، هو أنّ سیره المسلمین منذ عصر الصحابه والتابعین وإلی یومنا هذا هی الالتجاء إلی قبر الرسول (ص) مع الاعتقاد بأنّ هذا القبر هو باب رحمه الله المفتوح. إذ یقصده الزّوار ویؤدّون التحیه له ویصلّون علیه، ثمّ یتلون هذه الآیه ویطلبون منه أن یستغفر لهم، فکل من یقصد قبر الرسول (ص) یجدّ زوّار قبره علی هذه الحاله.

ومن أقوال کبار أهل السنّه حول هذه الآیه وطلب الدعاء من الرسول والتوسّل به بعد رحیله مایلی:

۱- محیی الدین النووی، وهو من کبار محدّثی أهل السنّه وهو الشارح لصحیح مسلم، کتب مایلی:

. . . ثمّ یرجع الزائر إلی موقفه الأوّل قباله وجه رسول الله (ص) ویتوسّل به فی حقّ نفسه أو یستشفع به إلی ربّه سبحانه وتعالی، ومِنْ أحسن ما یقول الزائر ما حکاه الماوردی والقاضی أبوالطیب وسائر أصحابنا عن العتبی مستحسنین له. (۱)

وقال العتبی إنَّه کان عند قبر الرسول (ص) ذات یوم فجاء زائر ووقف أمام القبر، وقال: «السلام علیک یا رسول الله، سمعت الله یقول: (إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَه واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَه تَوَّاباً رَحِیماً) ، وقد جئتک مستغفراً من ذنبی مستشفعاً بک إلی ربّی» . (۲)

۲- وذکر ابن قدامه صاحب کتاب المغنی فی موضوع آداب زیاره

۱- المجموع، شرح مهذّب الشیرازی و شرح صحیح مسلم، لمحیی الدین النووی، ج ۸، ص ۲۵۶.
۲- المصدر نفسه. .

الرسول (ص) مسأله استحباب زیاره قبر الرسول (ص) ونقل عنه أنّه قال:

«ما من أحد يسلّم عليَّ. . . حتّى أرد عليه السلام» . ثمّ أشار إلى القصه التى ذكرها العتبى وأوردها النووى فى كتابه المجموع، وكان هدفه من نقل هذه القصّه بيان استحباب زياره الرسول (ص) بهذه الطريقه.

٣- أشار الغزالى ٥٠٥ه، فى القسم الخاصّ بفضيله زياره المدينه وكيفيّه زيارته (ص) ، فقال فى آداب زياره قبر الرسول (ص) :

يقف عند الرأس مستقبل القبله. . . وليحمد الله عزّ وجلّ وليسجده، وليكثر من الصلاه على رسول الله (ص) ، ثمّ يقول: (ولَوأَنَّهُمْ. . .) .

اللّهم، إنّا سمعنا قولك، وأطعنا أمرك وقصدنا نبيّك، مستشفعين به إليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا. (١)

وهناك الكثير من علماء السنّه يؤيّدون قول من تقدّم ذكرهم، وفيهم من أكّد على جواز ذلك ولكنّنا لم نذكر أقوالهم مراعاةً للاختصار.

أسئله حول التوسّل

اشاره

من الأعمال التى يؤدّيها المسلمون و ينتقدها الوهابيّون عند قبر الرسول أو فى أماكن أخرى، هى التوسّل. ويعترض الوهابيّون على المسلمين إزاء هذا الأمر، وهذا ما سنتطرّق الى بيانه فى هذا المقام.

١- هل الدعاء من الميّت عباده له؟

يعتقد الوهابيون بجواز طلب الدعاء ممّن كان حيّاً وقادراً على إنجاز ما يُطلب منه، ولا يعتقدون بأنّ هذا التوسّل عباده له، ولكنهّم يعتدون بأنّ

١- إحياء العلوم، ج ١، ص ٢٥٩. .

طلب الدعاء من الميت الذى لا يمتلك القدره على إنجاز ما يُطلب منه أو طلب أىّ شىء منه يعدّ نوع من أنواع العباده له، ويكون المتوسّل أو صاحب الطلب مشركاً.

الجواب: أوّلاً : إنّ الحياه والممات لا يعتبران معياراً للعباده أو التوحيد والشرك، ويا ترى كيف يكون التوسّل بدعاء الحىّ عين التوحيد؟ ولكنّه يكون من الشخص بعد وفاته عين الشرك؟ ! فى حين أنّ حقيقه هذا العمل واحده، ولا فرق فى أنّ التوسّل بالدعاء فى الحاله الأولى يكون موجّهاً إلى شخص على قيد الحياه، والتوسّل بالدعاء فى الحاله الثانيه يكون موجّهاً إلى شخص

فارق الحياه.

ولا يوجد موحّد قطُّ يعدّ الحياه والممات معياراً للتوحيد والش-رك، نعم، الحياه والممات يمكن أن يكونا معياراً لتحقّق الفائده من التوسّل بالدعاء أو عدم وجود الفائده من ذلك، ولكن هذا الأمر لا صله له بمسأله التوحيد والشرك.

ثانياً : أساس استدلال الذين يعتقدون بأنّ طلب الدعاءمن الميّت شركٌ، هو اعتقادهم بأنّ موت الأنبياء والأولياء نهايه لحياتهم، حيث لا يعتقدون بوجود الحياه البرزخيّه بعد الموت. ولكن لا يخفى على أحد بأنّ الأنبياء والأولياء والشهداء، وحتّى المجرمين أحياء عند ربّهم بعد مفارقه أرواحهم الدنيا.

ثالثاً : إنّما الدعاء أو الطلب يكون شركاً عندما يعتقد الداعى بنوع من الألوهيّه أو الربوبيّته، أو التفويض لمن يتوجّه إليه بالدعاء، وفى هذه الحاله يمكن اعتبار هذا الدعاء والطلب نوع من أنواع العباده للحى أو الميت.

ص: ۴۶

ولكن التوسّل بالدعاء من الغير، مع الاعتقاد بأنّه من عباداللّه المقرّبين، وأنّه تعالى يستجيب له، لا صله له بالشرك أبداً، وجميع المسلمين يعتقدون بأنّ الرسول (ص) عبدٌ للّه تعالى، ولا يعتقد أحد عندما يطلب من الرسول شيئاً، أنّه إله، أو ربّ، أو أنّه يستجيب لدعاء الناس من دون إذن اللّه تعالى.

۲- أليس طلب الدعاء من الميت عديم الفائده؟ !

يعتقد البعض بأنّ الميّت عاجز عن تلبيه طلب من يتوسّل به، ولهذا يكون طلب الدعاء من هكذا شخص عملاً عبثياً ولا فائده فيه.

الجواب : هذا السؤال يعكس الرؤيه الماديه التى يؤمن أتباعها بأنّ موت الأولياء نهايه لحياتهم، ولا حياه برزخيّه لهم.

ولكن الواقع ليس كذلك، فأولياء اللّه أحياء عند ربّهم فى عالم البرزخ، وهم يسمعون كلامنا ولا تنقطع صلتهم بنا، ولهذا يكون التوسّل بدعائهم أمراً عقلائياً وليس لغواً أو عبثاً؛ ولكن هل يلبّى هؤلاء طلبنا أو لا؟

فهذه مسأله ترتبط بحاله مقدّم الطلب وموضوع الطلب.

۳- هل هناك حاجز بيننا وبين من فارقت أرواحهم الحياه؟

يعتقد البعض بوجود حاجز بيننا وبين من فارقت أرواحهم الحياه الدنيا، وهذا الحاجز يمنعنا من الاتّصال بهم، بدليل قوله تعالى:

(ومِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: ۱۰۰) .

الجواب : البرزخ فى اللغه العربيّه، يعنى الحائل والمانع.

ولكنّ هـذا الحائل يرتبط بعوده الأموات مرّه أخرى إلى الحياه الـدنيا مباشـره بعد وفاتهم. فالبرزخ لا يعنى وجود مانعٍ يحول دون ارتباط الأحياء

ص: ۴۷

بأرواح الأموات، ودليل ذلك قوله تعالى:

(حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّى أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هو قائِلُها) (المؤمنون: ۹۹ و ۱۰۰) .

أمّا بالنسبه إلى عوده المذنبين بعد وفاتهم إلى الحياه الدنيا لتدارك ما فات، قال تعالى:

(ومِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) .

إذن: الحائل يعنى المنع من العوده إلى الدنيا، ولا يعنى المنع من ارتباط الأحياء بالأموات أو الاطلاع على أحوالهم.

۳- طلب الشفاعه من أولياء الله

السؤال الذى يُطرح هنا هو : ألا يعدّ طلب الشفاعه من الأولياء عبادةً لهم وشركاً بالله تعالى؟

الجواب : الاعتقاد بشـفاعه أولياء الله فى يوم القيامه يعتبر أصـلاً من أصول العقيـده الإسـلاميّه التى لا يشكّ أحدٌ بها، أتباع جميع المذاهب الاسـلاميّه يعتقدون بشـفاعه الأنبياء فى يوم القيامه، ولا سيّما خاتم الأنبياء (ص) . والاختلاف الوحيد الذى نشأ بعد ابن تيميّه فى القرن الثامن، وبعـد محمّد بن عبدالوهاب فى منتصف القرن الثانى عشـر، هو أنّه هل يصحّ فى هذه الدنيا طلب الشـفاعه ممّن ثبت فى القرآن والسـنّه القطعيّه صـحّه شـفاعتهم يوم القيامه؟ وهل يصـحّ مخاطبه كلّ واحـد منهم بقولنا: يا وجيها عنـد الله، اشفع لنا عند الله؟

وقـد اتفقت آراء جميع علماء الـدين على صـحّه طلب الشـفاعه من أصـحابها، ما عدا ابن تيميّه وابن عبدالوهاب، حيث ذهبا إلى بطلان طلب

ص: ۴۸

الشفاعه من أهلها، وادّعيا أنّ الجائز فقط هو قولنا: اللهمّ اجعل النبىّ شفيعاً لى.

وسنعرض هذه المسأله على كتاب الله وسنّه الرسول من أجل اكتشاف الحقيقه، كما يلى:

ما هى حقيقه طلب الشفاعه؟

اشاره

شفاعه الرسول (ص) وغیره من الشفعاء الصالحین فی یوم القیامه لا تعنی سوی طلب المغفره من الله للمذنبین من العباد، وطلب الشفاعه من أهلها -وِفْق هذا المعنی - یعنی طلب الدعاء منهم. ودعاء هؤلاء یکون حسب قربهم من الله ووجاهتهم عنده، فیستجیب لهم ویغفر للمذنبین.

ومن جهه أخری، فلا ضَیر أبداً من طلب الإنسان الدعاء من أخیه المؤمن، بل من الرسول الأعظم فیتسطیع أن یخاطب رسول الله (ص) قائلاً: «یا وجیهاً عند الله، اشفع لنا عند الله» أی: یا وجیهاً عند الله، أُدع الله لنا لیغفر ذنوبنا ویکفّر عن سیئاتنا، أو یلبّی طلبنا.

و (الاستشفاع) فی الواقع یعنی طلب الشفاعه، ویعنی - کما ورد فی کتب الحدیث والتفسیر - طلب الدعاء، فقد خصّص البخاری فی صحیحه باباً تحت عنوان: باب إذا استشفعوا إلی الامام لیستسقی لهم لم یردّهم. (۱)

إذن، طلب الشفاعه فی الواقع، یعنی طلب الدعاء، ولا ینبغی الشکّ والترید فی هذا المجال. ولا یخفی حسن طلب المؤمن الدعاء من أخیه المؤمن، فکیف بطلب المؤمن الدعاء من الأنبیاء والأولیاء؟ !

۱- صحیح البخاری، ص ۲، باب: الاستشفاع. .

أضف إلی ذلک، فإنّ العدید من الصحابه طلبوا الشفاعه من الرسول فی زمان حیاته وبعد رحیله أیضاً، ولإثبات ذلک نذکر الأمثله التالیه:

۱. حدیث أنس بن مالک

نقل الترمذی - وهو أحد مؤلّفی السنن الأربعه - عن أنس بن مالک قوله: سألت النبیّ أن یشفع لی یوم القیامه؟ فقال: «أنا فاعل» . قلت: یا رسول الله، فأنّی أطلبک؟ فقال:

«اطلبنی أوّل ما تطلبنی علی الصراط» . (۱)

فأنس یعلم من منطلق فطرته بأنّ طلب الشفاعه لا تعنی سوی طلب الدعاء، ولهذا یطلب من الرسول (ص) الشفاعه، ولا یخطر بباله أنّ طلب الشفاعه شرک، کما أنّ الرسول أیضاً لم ینهاه عمّا طلب.

۲. حدیث سواد بن قارب

سواد هو أحد أصحاب النبیّ (ص) ، وقد أنشد ذات یوم شعراً حول النبی (ص) وطالباً منه الشفاعه، وقال:

وكُن لی شفیعاً یوم لا ذوشفاعه

بمغن فتیلًا عن سواد بن قاربِ (۲)

۳. حدیث أبی بکر

عندما توفّی النبی (ص) أقبل أبوبکر فکشف عن وجهه، ثمّ أکبّ علیه فقبّله، وقال:

«بأبی أنت وأمی! طبت حیّاً ومیّتاً، اذکرنا یا محمّد، عند ربّک، ولنکن من بالک» . (۳)

فعباره:

«إذکرنا عند ربّک» لا تعنی: إلّا طلب الشفاعه.

۱- سنن الترمذی، ج ۴، ص ۶۲۱.
۲- الإصابه لابن حجر، ج ۲، ص ۹۵، و قد نقل هذا الطلب بطرقه السّته.
۳- السیره الحلبیه، ج ۳، ص ۴۷۴. .

۴. حدیث الإمام علی (ع)

رُوی أنّ علیّاً (ع) عندما ولی غسل رسول الله (ص) قال:

«بأبی أنت وأمی أذکرنا عند ربّک واجعلنا من بالک» . (۱)

۵. حدیث الغلام

رُوی عن مصعب الأسلمی أنّه قال: انطلق غلام منّا، وقال لرسول الله (ص) : إنّی سائلک سؤالاً.

قال رسول الله (ص) : «وما هو؟» .

قال: أسئلک أن تجعلنی ممّن تشفع له یوم القیامه؟

قال رسول الله (ص) : «من أمرک هذا؟» أو «من علّمک هذا؟» . أو «من دلّک علی هذا» .

قال: ما أمرنی به أحد إلّا نفسی.

قال رسول الله (ص) : «فانّک ممّن أشفع له یوم القیامه» . (۲)

والشواهد من هذا القبیل کثیره، ولکنّنا نکتفی بهذا المقدار اجتناباً للإطاله.

۴. هل القسم بالله علی الأولیاء شرکٌ؟

عندما یدعو بعض الناس الله تعالی فإنهم یذکرون مقام الانبیاء والاولیاء ثمّ یقسمون علیه بحقّهم ویسألون حوائجهم، فیقولون مثلاً: اللّهم، بحقّ الرسول الأعظم (ص) اشف مرضانا. فی حین لیس لأحد حقّ علی الله بتاتاً

۱- مجالس المفید، المجلس ۱۲؛ نهج البلاغه، خطبه ۲۳۵.
۲- مجمع الزوائد، ج ۱۰، ص ۳۶۹. و قد نقل قضایا کثیره مشابهه لهذه القضیّه. .

لیقسم علیه به.

لتوضیح ذلک نقول : المقصود من الحقّ هنا المنزله العلیا التی یمتلکها الأنبیاء والأولیاء عند الله تعالی، وإذا کانت هذه المنزله حقّاً، فقد منحه الله تعالی لهم، وهذا القول هو عین التوحید؛ لأنّ الله تعالی بیّن فی القرآن الکریم بأنّ له علی بعض عباده حقّاً ألزم نفسه القیام به، منها قوله: (وکانَ حَقًّا عَلَیْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِینَ) (الروم: ۴۷) .

وورد فی الحدیث عن رسول الله (ص) أنّه قال:

«حقّ علی الله عون من نکح التماس العفاف عمّا حرم الله» . (۱)

ولو راجعنا الآیات القرآنیّه والأحادیث الش-ریفه، فسنلاحظ أنّ مسأله وجود حقوق للعباد علی الله أمر شائع فیها.

وعندما نقول لیس لأحد حقّ علی الله تعالی، فالمقصود لیس لأحد حقّ بالذات علیه، ولکن هذا الأمر لا یمنع من أن یتفضّل علی العباد ویجعل علی نفسه حقّاً لهم، بل قد یصل الأمر إلی أنّه تعالی یملّکهم، ثمّ یستقرض منهم، کقوله تعالی:

(مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً) (الحدید: ۱۱) .

وقد علّمنا الرسول (ص) أن نتوسّل إلی الله به، ونقول: «اللّهم. إنّی أسألک وأتوجّه إلیک بنبیّک محمّد (ص) نبی الرحمه. . .» ، وکلمه «بنبیک» جار ومجرور متعلقه بفعل «أسألک» ، وفعل «أتوجّه إلیک» ، ومعنی العباره التوسّل إلی الله بمنزله الرسول (ص) وبالحقّ الذی جعله الله علی نفسه لرسوله (ص) .

وقد قال الرسول (ص) عند دفن فاطمه بنت أسد:

١- الجامع الصغير للسيوطى، ص ٣٣. .

«اللّهم. . . ، اغفر لامّى فاطمه بنت أسد. . . وأوسع عليها مدخلها، بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلى» . (١)

وقد ورد هذا النوع من القَسم على الله بحقّ الأولياء فى الصحيفه السجاديّه والأدعيه الأخرى المرويّه عن أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) . وللاطّلاع أكثر، يمكن مراجعه هذه المصادر والتعرّف على هذه النصوص.

٥. النَّذرُ لغير الله

إنّ الشيعه وغيرهم من المسلمين ينذرون لأولياء الله ويقولون على سبيل المثال:

ننذر هذه الشاه لرسول الله (ص) ، أو للإمام الحسين (ع) ، فى حين أنّ النذر لغير الله غير جائز.

لبيان ذلك نقول : النذر لغير الله على قسمين، كمايلى:

أ) النذر لعباد الله من أجل التقرّب اليهم ونيل رضاهم من دون الالتفات إلى رضا الله عزّ وجل.

لاشكّ فى أنّ هذا التصرّف نوع من أنواع الش-ركّ، وهو بمثابه عباده الأصنام.

ب) النذر لأولياء الله من أجل التقرّب بهذا العمل إلى الله تعالى ونيل رضاه، فيصرف هذا النذر فى موارد يرتضيها الله، ويكون ثواب هذا العمل هديه لأحد أولياء الله.

ولا شكّ فى أنّ النذر بهذا القصد وبهذه النيّه الطاهره أمر حسن وممدوح.

١- مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٠٨؛ حليه الأولياء، ج ٣، ص ١٢١؛ الاستيعاب فى حاشيه الإصابه، ج ٤، ص٣٨٢. .

ويسَبّب فى حدوث التباسٍ فى هذا المجال هو تشابه التعبيرين المذكورين فى مقام النذر.

وبما أنّ النذر أمر عبادىّ، لذا يجب أن يكون من أجل التقرّب إلى الله تعالى، وعلى (الناذر) أن يكون قصده على سبيل المثال: أتعهّد من أجل نيل رضا الله والتقرّب إليه تعالى أن أذبح شاه وأطعمها للفقراء، وأبعث ثواب ذلك للرسول (ص) فيما لوتحقّقت حاجتى.

وهذه هی الصیغه الصحیحه للنذر.

ولکن الطریقه عند معظم الناس غیر واضحه، أوأنّهم یُجرون صیغه النذر مراعاه للاختصار بقولهم: هذا للنبیّ، أو نذرت هذا للنبیّ (ص) .

وعموماً فإن مضمون السؤال هو کون النذر لغیر الله باطلاً، ویجب أن یکون النذر لله فقط.

والجواب هو أنّ (اللام) فی عباره (لله علیّ) للتقرّب کما ورد فی القرآن الکریم: (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنی وفُرادی) (سبأ: ۴۶) .

ولکن اللام فی (للنبیّ) لام (الانتفاع) ، کما ورد فی القرآن الکریم: (إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والْمَساکِینِ) (التوبه: ۶۰) .

ومن هنا یتّضح وجود الفرق الجوهری بین عمل الموحّدین وعمل المشرکین، فالمشرکون یقدمون قرابینهم باسم الأصنام ومن أجل التقرّب إلیها، وقد ورد فی القرآن فی هذا المجال: (وما ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ وأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِکُمْ فِسْقٌ) (المائده: ۵) .

ولکن الموحّدین ینذرون لله ویذکرون اسمه، وإنّما یهدون ثواب عملهم الحسن هذا إلی الأولیاء ویتقرّبون بهذه الطریقه إلی الله عزّ وجلّ.

رُوی أنّ شخصاً سأل النبیّ (ص) قائلاً: یا نبی الله، إنّ امّی قد اُفتُلِتَتْ،

وأعلم أنّها لوعاشت لتصدّقت، أفإن تصدّقت عنها أینفعها ذلک؟ قال: «نعم» .

فسأل النبیَّ (ص) : أیّ الصدقه أنفع یا رسول الله؟ قال (ص) : «الماء» .

فحفر بئراً، وقال: هذه لأمّ سعد.

فهذه اللّام هی الداخله علی الجهه التی وجّهت إلیها الصدقه لا علی المعبود المتقرّب إلیه. (۱)

فاللّام هنا هی لام الانتفاع، ولیست لام التقرّب.

وأصل النذر هو ذبح شاه - علی سبیل المثال - وإهداء ثواب ذلک إلی الرسول (ص) ، والتقرّب إلی الله بهذه الهدیه التی یقدّمها الناذر للرسول (ص) والرجاء منه تعالی أن یجازیه إزاءها بشفاء المریض الذی نذر لشفائه.

۶. الاحتفال بمواليد أولياء الله وإقامه المآتم لهم

اشاره

السؤال الذى يُطرح هنا هو : الاحتفال بمواليد أولياء الله أمر مستحدث ولم يكن متعارفاً فى عصر الصحابه، فما هو المسوّغ الشرعى لإقامه لذلك؟

الجواب : التأريخ يشهد بأنّ السلف من المسلمين كانوا يحتفلون فى يوم ولاده الرسول (ص) فى كلّ عام، وكان الخطباء يقرؤون المدائح للرسول، ومبدأ هذه الاحتفالات غير واضح بصوره دقيقه، ولكن المتيقّن أنّها تعود لمئآت السنين، حيث كانت سائده فى البلاد الإسلاميّه.

قال أحمد بن محمّد المعروف بالقسطلانى ٩٢٠ه، وهو من العلماء المشهورين فى القرن التاسع، حول الاحتفالات التى تقام أيّام ولاده الرسول (ص) :

١- فرقان القرآن، ص ١٣٣. .

ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده (ص) ، يعملون الولائم، ويتصدّقون فى لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون الس-رور ويزيدون المبرّات، ويعتنون بقراءه مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كلّ فضل عميم. . . فرحم الله امرءاً اتّخذ ليالى شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشدّ علّه على من فى قلبه مرض وأعياه داء. (١)

وقال الحسين بن محمّد بن الحسن المعروف بالديار بكرى فى ٩٦٠ه، وهو من قضاه مكّه:

لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ويتصدّقون فى لياله بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور ويزيدون فى المبرّات ويعتنون بقراءه مولده الشريف، ويظهر عليهم من كراماته كلّ فضل عظيم. (٢)

وهاذان النصّان الذان يعود تأريخهما إلى القرن العاشر يثبتان أنّ الاحتفال فى يوم ولاده أولياء الله له جذورٌ عريقهٌ فى تأريخ الإسلام، وكان علماء المسلمين يؤيّدونها، وكان الاحتفال بيوم ولاده الرسول (ص) عندهم مصداقاً لإظهار محبّتهم ومودّتهم له وأما الدليل الشرعى لهذه الاحتفالات، فهو مايلى:

إجلال الرسول (ص) أصلٌ من أصول الإسلام

أمرنا القرآن الكريم بمودّه الرسول (ص) ، وهذا ما لا يمكن إنكاره أو التشكيك فى صحّته، وليس الاحتفال بمولد الرسول (ص) إلّا مصداقاً لتجسيد هذه المودّه. ونكتفى هنا بذكر آيتين فى هذا المقام، كما يلى:

١- (قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وأَبْناؤُكُمْ وإِخْوانُكُمْ وأَزْواجُكُمْ وعَشِيرَتُكُمْ

١- المواهب اللدنيّه، ج ١، ص ٢٧.

٢- تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٢٣. .

ص: ۵۶

وأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها ومَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ وجِهادٍ فِی سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّی يَأْتِیَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ) (التوبه: ۲۴) .

وتثبت هـذه الآيه بوضوح أنّ محبّه الله ومحبّه الرسول هما شـیءٌ واحدٌ، وهما من الواجبات الإلهيّه. فهذه المحبّه هی تمهيد للعمل بشريعه الرسول وأحكام دينه، أی أنّ العمل بالشريعه يكون فی ضوء محبّه النبیّ (ص) .

۲. وصـف الله تعـالی المـؤمنين فی آيه أخری بقوله: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وعَزَّرُوهُ ونَصَرُوهُ واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف: ۱۵۷) .

وتتضمّن هذه الآيه أربعه أوامر للمسلمين، هی:

۱. آمنوا به.

۲. عزّروه.

۳. نصروه.

۴. اتبعوا النور الذی أنزل معه.

ومع لحـاظ هـاتين الآيتين اللتين ورد فيهما الأمر بمحبّه الرسول (ص) وإجلاله واعتُبر ذلك من الفرائض، يطرح هـذه السؤال: ألا يكون إجتماع المسلمين فی يوم ولاده الرسول (ص) مصداقاً للعمل بهاتين الآيتين؟ !

لا شكّ فی أنّ الجواب: نعم.

وكـلّ من يزور هـذه المجـالس يجـد فيهـا التجسـيد الواضـح لإظهار المودّه والمحبّه والاجلال والتعظيم للرسول (ص) . ومن هنا نستنتج بأنّ لعمل المسلمين هذا جذوراً قرآنيّهً، وهو بعيد كلّ البعد عن البدعه، وإذا كان مستحدثاً، فليس كلّ مستحدث بدعه.

ص: ۵۷

وكيف يكون هـذا العمل بدعه وهو يسـتمدّ، مش-روعيّته من القرآن والسـنّه؟ ! وقد قال تعالی فی سوره الانشـراح حول الرسول (ص) : (ورَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ) (الانشراح: ۴) .

وهـذا مـا يكشـف بـأنّ من نِعَم الله علی رسوله أنّه تعـالی رفع ذكره، ومن مصـاديق رفع ذكر الرسول (ص) هو الاحتفـال بمولـده وإقـامه المجالس المعبّره عن الفرح والسـرور والبعيـده عن اللهو والمعاصـی. والإجتماع فی يوم مولـده من أجل رفع ذكره (ص) والتذكير بالمبادئ والقيم التی دعا الناس إليها.

وقد جعل السيّد المسيح اليوم الذى أنزل الله عليه وأصحابه مائده من السماء عيداً لاتباعه كافه، وقال: (رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وآخِرِنا وآيَةً مِنْكَ وارْزُقْنا وأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (المائده: ۱۱۴) .

وإذا كان يوم نزول المائده، وهى نعمه محدوده وعابره، يستحقّ أن يكون عيداً فى كلّ عام لأتباع السيّد المسيح؛ فكيف لا يكون مولد الرسول (ص) أو يوم المبعث، وهو نعمه عظمى وخالده من الله للبشريه، مستحقّاً ليكون يوم عيد وسرور للمسلمين فى كلّ عام؟ !

إذن، مبادره المسلمين بعقد مجالس ذكر فضائل ومناقب الرسول (ص) فى كلّ يوم وليله، وفى كلّ شهر وسنه، وتلاوه الآيات النازله فى حقّ الرسول، وقراءه الأشعار الوارده فى مدحه، هى تلبيه لأوامر الله فى مودّه الرسول (ص) وإجلاله ورفع ذكره.

والسبب فى تخصيص عقد مثل هذه المجالس فى يوم ولادته (ص) هو أنّها نعمه عظمى أكرم الله بها البش-ريّه كافه؛ ولهذا يجدر بالبش-ريه كلّها أن تعظّم هذا اليوم وتعقد الاحتفالات المعبّره عن شكرهم لله إزاء هذه

ص: ۵۸

النعمه العظمى، دون أن ينسبوا ذلك إلى حكمٍ شرعيٍّ معيّنٍ، إذ إنّ تخصيص ذلك للاحتفال بولاده نبيّهم قد كان بإرادتهم واختيارهم، وليس لشرع دخلٌ فيه.

۷. زياره قبور الأولياء

اشاره

السؤال الذى يُطرح هنا، هو : هل أنّ زياره قبور الأولياء مستحبّةٌ؟

الجواب : إنّ زياره قبور الأولياء فى كلّ مدينه وقريه تنطوى على آثار بنّاءه، منها: إنّ زياره القبور بصوره عامّه تبيّن للزائر العجز الذاتى للإنسان وزوال القدرات الماديّه، وإنّ الإنسان الواعى يُدرك عند زياره القبور مدى هشاشه الحياه الدنيويّه، فيبحث عن الحلّ، ويتحرّى لمعرفه هدف الحياه الدنيا، فيتحرّر بهذه الطريقه من الغفله والأنانيّه، ويتفرّغ إلى التفكير فى السعاده الأخرويّه والحياه الأبديّه.

وقد أشار رسول الله (ص) إلى هذا الأمر التربوى، حين قال:

«زوروا القبور؛ فانّها تذكّركم بالآخره» . (۱)

وقال (ص) فى حديث آخر حول زياره القبور:

«. . . فزوروها؛ فإنّ لكم فيها عبره» . (۲)

وهذا النمط من زياره القبور يرتبط بزياره قبور عامّه الناس، والأفضل من ذلك هو زياره قبور الشهداء، لأنّها زياره الذين جاهدوا بأنفسهم وقدّموا دماءهم فی سبيل الله والدفاع عن القيم الإنسانيه.

۱- سنن ابن ماجه، ج ۱، ص ۵۰۰.

۲- كنز العمال، ج ۱۵، ص ۶۴۷. .

ولزياره قبور الشهداء فی سبيل الله آثار تربويّه رفيعه جدّاً، وهی عهد بيننا وبينهم، حيث يعلن الزائر بزيارته هذه وفاءه لهم ولمبادئهم المقدّسه.

ومن أجل بيان هذا الأمر نذكر فيمايلی مثالاً حيّاً يرتبط بهذا المجال:

إنّ زائر بيت الله الحرام يستلم (الحجر الأسود) قبل الطواف ويعلن بهذا الاستلام بيعته للنبیّ إبراهيم (ع) وهو صاحب التوحيد الراسخ، والذی بذل غايه جهده لإعلاء كلمه الله فی الأرض، وحيث لا تصل يد الزائر إلی بطل التوحيد فإنّه يضع يده علی الأثر الباقی منه ويبايعه بهذه الطريقه.

وقد ورد فی الأحاديث الش-ريفه أنّ الحاجّ يقول عند استلامه الحجرالأسود:

«اللّهم، أمانتی أدّيتها، وميثاقی تعاهدته، لتشهد لی بالموافاه» . (۱)

و ينطبق هذا الهدف نفسه علی زياره قبور شهداء بدر وأحد وكربلاء وغيرهم من الشهداء أيضاً.

ويصلّی الزائر لهذه المشاهد أو الأضرحه والقبور علی الأرواح الطاهره لأصحابها ويعلن بيعته لهم، ويعلن مواصلته طريقهم.

وبعباره أخری، فإنّ زياره قبر الشهيد هی تكريم واحترام له، وبما أنّ الشهيد قد قتل دفاعاً عن المبادئ والقيم، فكلّ من ليحترمه، فإنّه يحترم هذه المبادئ والقيم المقدّسه التی قتل من أجلها.

زياره قبر الرسول (ص)

إنّ زياره قبر الرسول (ص) وزياره قبور أوصيائه الأطهار: تعبّر عن تقدير الزائر لتضحيّاتهم فی سبيل هدايه العباد، وهی فی الواقع إقرارٌ بالبيعه

۱- وسائل الشيعه، ج ۱۰، ص ۴۰۰. .

لهم، وقد قال الإمام على بن موسى الرضا (ع) حول زياره قبور الأئمّه المعصومين: «إنّ لكلّ إمام عهداً فى عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد زياره قبورهم» . (۱)

فالزائر لقبر الرسول (ص) وقبور الأئمّه فى الواقع يبايعهم ويعاهدهم على اتّباع نهجهم فى حياته، ولسان حاله هو:

يا رسول الله (ص) ، إن بايعك المهاجرون والأنصار فى الحديبيّه ليدافعوا عن رسالتك السماويّه (۲)، وإن بايعتك المؤمنات فى مكّه على أن لا يش-ركن بالله (۳)، وإذ أمر الله الذين ظلموا أنفسهم أن يأتوك فيستغفروا الله وتستغفر لهم (۴)؛ فأنا أيضاً أتيتك يا رسول الله (ص) ، ويا شفيع الأمّه، كى أبايعك وأُعلن دفاعى عن المبادىء التى جئت بها وأعاهدك على الابتعاد عن الش-رك وسائر المعاصى، وأطلب منك أن تسأل الله لى الغفران وكفّاره الذنوب.

وبما أنّ زياره القبور أمرٌ مستحبٌّ باتّفاق جميع المذاهب الفقهيّه؛ لذلك لم ننقل الأحاديث الشريفه الوارده فى هذا المجال، ونكتفى بهذا الحديث، وهو أنّ الرسول (ص) كان يزور البقيع أحياناً ويخاطب أهل القبور قائلاً:

«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غداً مؤجّلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون» . (۵)

۱- وسائل الشيعه، ج ۱۰، ص ۳۴۶.
۲- (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَهِ. . .) (الفتح: ۱۸) .
۳- (إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ) (الممتحنه: ۱۲) .
۴- (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً) (النساء: ۶۴) .
۵- صحيح مسلم، ج ۳، ص ۶۳. .

۸- زياره النِّساء للقبور (الإجابه على سؤالين)

السؤال الذى يطرح هنا هو : هل يوجد محذور من زياره النساء للقبور؟

الجواب : حكم الرجال والنساء بالنسبه إلى زياره قبور أعزائهم أو زياره قبور أولياء الله سواء؛ لأنّ الأحكام الش-رعيّه للرجال والنساء سواء، إلّا فى الحالات التى ذكر فيها الحكم الخاصّ بالرجال أو النساء.

فلا يوجد دليل لتخصيص الحكم بالرجال دون النساء، بل الدليل قائم على أنّهم فى الحكم سواء.

وقال رسول الله مخاطباً المسلمين كافه:

«زوروا القبور؛ فإنّها تذكركم الآخره» . (۱)

وقال (ص) فی حدیث آخر حول زیاره القبور:

«فزوروها، فإنّ لکم فیها عبره» . (۲)

وبیان هـذا الخطاب بصـیغه المـذکر لا تعنی اختصاص الخطاب للرجال فقط، لأنّنا نعلم بأنّ جمیع خطابات القرآن والسـنه وردت بصـیغه المذکر وهی تشـمل الرجال والنساء، الّا مع وجود دلیلٍ أو قرینهٍ علی عدم الاشتراک، ولهذا نجد الآیات التی تدعو الناس إلی الصـلاه والزکاه وردت بصـیغه المـذکر ولکنّها تشـمل النساء أیضاً، کما قال تعالی: (وأَقِیمُوا الصَّلاهَ وآتُوا الزَّکاهَ وما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ مِنْ خَیْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ) (البقره: ۱۱۰) .

فالخطاب فی هذه الآیات وفق القواعد العربیّه موجّه للرجال، ولکن نتیجه الحکم تشمل الرجال والنساء.

۱- سنن ابن ماجه، ج ۱، ص ۵۰۰.
۲- کنز العمال، ج ۱۵، ص ۶۴۷. .

إذن، نستنتج بأنّ الخطاب فی الحدیث: «زوروا القبور» یشمل الرجال والنساء.

وإضافه إلی هذا الحدیث توجد أحادیث أخری تدلّ علی جواز زیاره القبور للنساء نذکر منها مایلی:

أ) ورد فی صحیح مسلم عن رسول الله (ص) أنّه قال:

«فإنّ جبریل أتانی. . . ، فقال: إنّ ربّک یأمرک أن تأتی أهل البقیع فتستغفر لهم» .

قـالت عـائشه: لما کانت لیلتی التی کان النبیّ فیها عنـدی، انقلب فوضع رداءه. . . ثمّ انطلقت علی إثره حتّی جاء البقیع. . . قالت: قلتُ کیف أقول لهم یا رسول الله؟

قال:

«قولی السلام علی أهل الدیار من المؤمنین والمسلمین، ویرحم الله المستقدمین منّا والمستأخرین» . (۱)

ومحور الاسـتدلال هو أنّ الرسول علّم عـائشه کیفیّه زیـاره القبور. فـإذا کـانت زیـاره القبور محرّمه علی النّـاس، فلم علّم الرسول زوجته کیفیّه زیاره القبور؟ !

أضف إلی ذلـک، عنـدما کـانت عـائشه تنقل هـذه الواقعه للنساء فإنهنّ علمن بجواز زیارتهن للقبور، وأنّ تکلیف زوجه الرسول (ص) وسائر النساء فی هذا المجال واحد، دون تمییزٍ.

ب) كانت فاطمه الزهراء بنت رسول الله (ص) ، وهى من أهل الكساء: تقصد قبر حمزه فى أَحد بعد وفاه أبيها رسول الله (ص) وتصلّى ركعتين عند قبره، وتبكى عليه.

ويقول الحاكم النيسابورى بعد نقله لهذا الحديث الشريف: «هذا الحديث

١- صحيح مسلم، ج ٣، ص ۶۴. .

رواته عن آخرهم ثقات» . (١)

فلا يوجد فرق بين رواه هذا الحديث، ورواه الحديث المذكور فى صحيح البخارى وفى صحيح مسلم.

ج) ينقل الترمذى عن عبد الله بن أبى مليلَه، قال: توفّى عبدالرحمن بن أبى بكر فى (الحبشى) . قال: فحمل إلى مكّه فدفن فيها. فلمّا قدمت عائشه، أتت قبر عبدالرحمن بن أبى بكر: فقالت: . . . . (٢)

د) قال البخارى: مرّ النبى بامرأه عند قبر، وهى تبكى، فقال: «اتّقى الله واصبرى» . (٣)

ولم ينقل البخارى تتمّه الحديث، إلا أنّ أبى داود ذكرها فى سننه فقال: «أتى نبىّ الله على امرأه تبكى على صبىّ لها، فأتته، فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك. فقال: «إنّما الصبر عند الصدمه الأولى» . (۴)

فاذا كانت زيارهالقبور محرّمه على النساء، لِمَ أمر الرسول (ص) هذه المرأه بالصبر، وكان عليه أن ينهاها عن زياره القبور بدلاً من أمرها بالصبر على المصيبه؟ !

الإجابه على سؤالين:

حرّم البعض زياره القبور على النساء واستدلّوا بالحديثين التاليين:

أ)

«لعن رسول الله زائرات القبور!» . (۵)

١- مستدرك الحاكم، ج ١، ص ٣٧٧.
٢- سنن الترمذى، ج ٣، ص ٣٧١.
٣- صحيح البخارى، ج ٢، ص ٩٣.
۴- سنن ابى داود، ج ٣، ص ١٩٢.
۵- سنن ابن ماجه، ج ١، ص ۵٠٣؛ سنن أبى داود، ج ٣، ص ٢١٨، و ورد فى الحديث الثانى عباره (زوارات) بدل (زائرات) . .

الجواب :

یفتقر هـذا الحدیث إلی الشـرط اللازم للاسـتدلال؛ لأنّه مع لحاظ الأدلّه السابقه محکوم بالنسخ. والملفت للنظر أنّ بعض محدّثی أهل السـنّه ذهبوا إلی نسـخ هـذا الحـدیث، من قبیل الترمـذی ناقل هـذا الحـدیث، حیث قال: «انّ هـذا کان قبل أن یرخّص النبی (ص) فی زیاره القبور، فلمّا رخّص دخل فی رخصته الرجال والنساء» . (۱)

وقـال القرطبی: هـذا اللعن إنّمـا هو للمکثرات من الزیـاره لمـا تقتضـیه الصـفه من المبالغه، ولعلّ السـبب ما یفضـی إلیه ذلک من تضییع حقّ الزوج والتبرج وما ینشأ منهن من الصیاح، ونحو ذلک. (۲)

ثمّ بیّن بأنّ الرسول (ص) اسـتخدم فی الحدیث عباره «زوّارات» أی صیغه المبالغه، وهذا ما یکشف أنّه قصد المکثرات من زیاره القبور.

ب) نقل ابن ماجه عن علیّ أنّه قال:

خرج رسول الله، فـإذا نسوه جلوس. فقـال: مـا یجلسـکنَّ؟ قلن: ننتظر الجنازه. قال: هل تغسـلن؟ قلن: لا. قال: هل تحملنَ؟ قلن: لا. قال: هل تُدْلین فیمن یُدْلی؟ قلن: لا. قال: فارجعن مأزوراتٍ، غیر مأجوراتٍ. (۳)

الجواب :

هـذا الحـدیث غیر معتبر من نـاحیه السـند والـدلاله؛ لأـنّ السـند فیه (دینـار بن عمرو) ، وهو برأی أهـل الحـدیث من أهـل السـنّه مجهول، کذّاب، متروک ومخطئ.

۱- سنن الترمذی، ج ۳، ص ۳۷۱.
۲- فتح الباری، ج ۳، ص ۱۴۹.
۳- سنن ابن ماجه، ج ۱، ص ۵۰۲. .

فیا تری هل یمکن الاستشهاد بحدیث ینقله راوٍ یبلغ درجهً من الضعف إلی هذا المستوی؟

کمـا أنّ مضـمون الحـدیث - لوسـلّمنا بصـحّه سـنده - لاـ صـله له بزیاره القبور؛ لأنّ ذمّ النبی (ص) موجّهٌ للنساء اللاتی لم یکن قدومهنّ إلی القبور لأداء فریضه أو عمل مستحب.

والجدیر بالذکر أنّ الإسلام هو دین الفطره ودین التسامح، وقد قال رسول الله (ص) :

«إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق» . (۱)

فالأم المؤمنه التى فقدت ابنها الأكبر وقد دفن تحت التراب، لا يسكن ألم فراق ولدها الّا بزياره قبره، فيا تُرى هل يعدّ منع الأمّ من زياره قبر ولدها عملاً عقلائيّاً؟

ويا تُرى هل يعقل للشريعه الإسلاميّه، وهى الشريعه المتساهله والمتسامحه أن يصدر منها هذا النهى؟

ولاـريب فى أنّ زياره القبور فيها دروس وعبر وتـذكير بالآخره، وهى مقرونه بقراءه القرآن وسوره الفاتحه، فكيف يمكن حرمان المرأه من هذه الأجواء المعنويّه؟

وبعبـاره أخرى : فـإنّ الحكمه من زيارهـالقبور عباره عن التـذكير بالاخره وتلقّى الـدروس والعبر، وهى أمور لا تختصّ بأمر دون غيره.

ومع ذلـك ينبغى أن تكون زيـاره القبور منزّهه من أىّ شـىء لاـ يرتضـيه الله، ولوسـلّمنا بوجود نهى عن زيـاره النساء للقبور، فقد يكون هذا النهى موجّهاً فى ذلك الزمان للنساء اللاتى لا يراعين الأمور الشرعيّه عند زيارتهن للقبور.

۱- مسند احمد، ج ۳، ص ۱۹۹. .

۹- البناء على القبور

اشاره

السؤال الذى يُطرح هنا، هو: هل يجوز البناء على القبور؟

الجواب : يمكن إثبات مشروعيّه البناء على القبور من طرق مختلفه، منها ما يلى:

۱. سيره السلف الصالح فى حفظ قبور الأنبياء

يشـهد التأريخ بأنّ بناء قبور الأولياء وصـيانتها سـنّهٌ بش-ريّهٌ قديمهٌ كانت قبل ظهور الإسلام، حيث كانت قبور أنبياء بنى إسرائيل مشـيّده وعامره، وعنـدما فتح فيه المسـلمون الشام وفلسـطين والأردن، فإنّهم حاولوا الحفاظ على هذه القبور، وهى باقيه إلى يومنا هذا، ولم يلحق المسلمون بها أىّ ضررٍ، بل قاموا بإعمارها وإعاده بناء البعض منها، وجعلوا لها خَدَمهً من أجل المحافظه عليها.

۲. حفظ الآثار حفظ للأصاله

إنّ حفظ الآثار، ولا سـيما الآثار المرتبطه بالرسول (ص) من قبيل قبره الشـريف وقبور زوجاته وأبنائه وأصحابه والبيت الذى كان

يعيش فيه والمساجد التى كان يصلّى فيها، له فوائد عظيمه سنُشير إلى بعضها بعد بيان مقدّمه.

اليوم وبعد مرور عشرين قرناً من ميلاد المسيح، تحوّل المسيح (ع) وأمّه وكتابه الإنجيل وحواريه فى الغرب إلى أسطوره، وقد شكّك بعض المستشرقين بصّحه وجود شخص باسم السيّد المسيح له أم تُدعى مريم وله كتاب اسمه إنجيل، واعتبروه أسطورةً مثل اسطوره قيس وليلى العامريّه.

ص: ۶۷

وذهبوا إلى أنّ هذه الحكايات وليده الخيال البش-رى. لماذا؟ طبعاً لأنّهم لايمتلكون اليوم أثراً واقعيّاً وملموساً من السيّد المسيح، مثلاً- ليست لديهم معلومات دقيقه حول البقعه التى وُلد فيها والبيت الذى كان يعيش فيه والمكان الذى دُفن فيه كما يعتقد النصارى، كما أنّ الكتاب السماوى الذى جاء به قد حُرّف، فالأناجيل الأربعه مدوّنه بأيدى من كتبوها بعد السيّد المسيح، وكلّها تحكى فى نهايتها كيفيّه قتل السيّد المسيح ودفنه، ولا صله مباشره لها بالسيّد المسيح.

ولهذا فإنّ الكثير من المحقّقين اعتبروا الأناجيل من النصوص الأدبيّه المرتبطه بالقرن الثانى بعد الميلاد، ولكن لوكانت جميع الآثار المرتبطه بالسيّد المسيح محفوظه، لَدلّت بوضوح على حقيقه وجوده، ولم تبقِ لمن يزعم بأنّ السيّد المسيح أسطوره أيّه ذريعه للتشكيك وإلقاء الشبهات حول أصل وجوده.

ولكن المسلمين يخاطبون جميع شعوب العالم بعزم راسخ قائلين: إنّ النبىّ محمّد (ص) قد بُعث قبل ألف وأربعمائه سنه فى أرض الحجاز لهدايه البش-ريّه، وقد نال نجاحاً عظيماً فى رسالته وجميع خصائص حياته محفوظه ولا يوجد شكّ فى أصل وجوده أبداً، وحتّى البيت الذى عاش فيه موجود، وأثر وجوده فى جبل حراء الذى نزل عليه الوحى فيه موجود، ومسجده الذى كان يصلّى فيه موجود، ومكان دفنه فى بيته موجود، وكذلك بيوت زوجاته وأهل بيته، وقبور أوصيائه وخلفائه.

فلوكانت هذه الآثار غير موجوده، لأصبح ذلك ذريعه لإنكار أصل وجوده (ص) .

ص: ۶۸

إذن، نستنتج بأنّ تخريب آثار الرساله والآثار المرتبطه بأهل البيت (عليهم السلام) إضافه إلى كونها هتكاً لحرمتهم وتجاسراً عليهم؛ فإنّها تعدّ محاربه لمظاهر أصاله الإسلام وأصاله رساله النبى (ص) .

فالدين الإسلامى دين خالد، وقد جاء لهدايه البش-ريّه إلى يوم القيامه، والأجيال التى تأتى بعد آلاف السنين يجب عليها الإذعان لأصاله هذا الدين، ولهذا يجب من أجل الحفاظ على هذا الهدف، السعى لحفظ جميع آثار وعلائم صاحب الرساله. وهذا الأمر سببٌ لحفظ أصاله الدين للاجيال اللاحقه، ويجب علينا أن لا نفعل من شأنه أن يؤدّى الى المصير الذى آلت إليه الديانه النصرانيّه ومؤسسها حيث توجه إليه اليوم أصابع الاتّهام بأنّه مجرّد وهم نسجه الخيال البشرى، وأنّه لم يكن له وجود على أرض الواقع.

۳. رفع بيوت الأنبياء

لقد وصف الله تعالى نوره فى الآيه المعروفه بآيه النور، وشبّهه بمشكاةٍ فيها بمصباح، والمصباح فى زجاجه، والزجاجه كأنّها كوكب درّى، ثمّ أشار فى الآيه التاليه إلى أنّ مكان هذه المشكاه بيوتٌ مرفوعةٌ، فقال: (فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُووالْآصالِ) (نور: ۳۶) .

وما يهمّنا فى هذا المقام معرفه المقصود من تلك البيوت. ولا شكّ فى أنّ البيت غير المسجد؛ لأنّ البيت مشتقّ من البيتوته بمعنى قضاء الليل فى ذلك المكان، كما يقال: مسكن؛ أى المكان الذى يسكن فيه الإنسان.

والمصطلح الذى قد استعمله القرآن الكريم حول مكان العباده أو المكان الذى يجتمع فيه المسلمون لعباده ربّهم هو مصطلح (مسجد) وجمعه (مساجد) ، وقد جاءت هذه الكلمه فى القرآن ۲۸ مرّه بصيغتى الجمع

ص: ۶۹

والمفرد.

لكننا نجد بأنّ القرآن عندما يتحدّث عن (المسكن) و (المأوى) فإنّه يستخدم مصطلح (البيت) بصيغتى الجمع والمفرد، وقد جاء هذا المصطلح ۶۶ مرّه فى القرآن. ومن هنا نستنتج بأنّ مصداق البيت غير مصداق المسجد، واعتبار أنّ البيت نفس المسجد هو إدّعاءٌ بلا دليلٍ.

ولا شكّ فى أنّ المقصود من البيوت فى هذه الآيه هى بيوت الأنبياء والأولياء والمتّقين الذين يذكرون الله ليلاً ونهاراً، وقد نقل جلال الدين السيوطى عن أنس بن مالك مايلى:

قال: قرأ رسول الله هذه الآيه: (فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) ، فقام إليه رجل، فقال: أىّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال (ص) : «بيوت الأنبياء» . فقام إليه أبوبكر، فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها؟ -مشيراً إلى بيت على وفاطمه - قال (ص) : «نعم، من أفاضلها» . (۱)

إذن، اتّضح لنا أنّ المقصود من البيوت هو بيوت الأنبياء، لا المساجد.

وبقى لنا أن نعرف المقصود من الرفع.

ويوجد هنا احتمالان:

۱. المقصود من الرفع هو الرفع الحسّى.

۲. المقصود من الرفع هو الرفع المعنوى.

وعلى ضوء الاحتمال الأوّل، يكون المقصود من الرفع هو رفع الجدران وسمكها، كما ورد فى قوله تعالى: (رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها) (النازعات: ۲۸) .

ولكن حيث يتحدّث القرآن الكريم حول بيوت لها جدران ولها سقوف،

١- الدر المنثور، ج ۶، ص ٢٠٣. .

فلا شك سيكون المقصود من (الرفع) هو الرفع المعنوى، أى رفعه هذه البيوت وعلوّ شأنها، ومن مظاهر هذا الرفع تطهيرها وصيانتها من التلف.

وهذا الرفع والإجلال هو فى الحقيقه لعظمه شأن اهلها الذين قطنوها وما انفكوا يذكرون الله فيها بالغدووالآصال، ولم تمنعهم تجاره أو لهو من إقامه الصلاه وأداء الزكاه، لذا رفع الله شأنها وطهّرها وحفظها من التلف.

وكلّنا نعلم بأنّ الرسول (ص) دفن فى بيته -أىّ دفن فى البقعه التى كان يذكر الله فيها- فعلى ضوء هذه الآيه يكون بيته محترماً وذا قداسه؛ لهذا فإنّ تخريب هذا المكان يعتبر مخالفةً صريحةً للأمر القرآنى ومخالفه للمتوقّع فى خصوص التعامل مع هذا المكان.

وبعض بيوت المدينه هى فى الواقع مرقد لشخصيّاتٍ عظيمهٍ، فالزهراء (س) - حسب روايه (١)-دفنت فى بيتها، وهو موجود حالياً، والإمام الهادى والامام العسكرى (ع) أيضاً دُفنا فى البيت الذى كان يذكران الله فيه. إذن، نستنتج بأنّ هذه البيوت - حسب صريح هذه الآيه - أذِنَ الله لها أن ترفع، وتخريبها مخالفه واضحه لقول الله سبحانه وتعالى.

وفى محلّه بنى هاشم كانت هناك آثارٌ لبيت الحسنين ومدرسه الإمام الصادق (ع) ، وأنا شخصياً زرت هذه الأماكن عام ١٣٩۴ه، ولكنّها - مع الأسف الشديد - قد أُزيلت حالياً بذريعه توسعه المسجد النبوى، فى حين كان يمكن توسيعه مع حفظ هذه الآثار، ولا يوجد تنافى بين هذين الأمرين.

١- الكافى، ج ١، ص ۴۶١. .

۴. صيانه القبور تدلّ على الرأفه والمودّه

إنّ لزوم محبّه الرسول (ص) وأهل بيته من أصول الإسلام التى تمّ التأكّيد عليها كثيراً فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفه، حيث قد قال الرسول (ص) :

«ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوه الإيمان وطعمه أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما. . .» . (١)

ومحبّه رسول الله (ص) تتجسّد فى أُطُر عديده، منها: نش-ر أحاديثه وحفظ وصيانه آثاره وبناء قبره. وقد نقل الترمذى فى سننه:

إنّ النبیّ [(ص)] أخذ بید حسن وحسین [(ع)]، قال:

«من أحبّنی وأحبّ هذین وأباهما وأمّهما، کان معی فی درجتی یوم القیامه» . (۲)

وکلّنا نعلم بأنّ السبط الأکبر للنبیّ (ص) مدفون فی البقیع والسبط الأصغر مدفون فی کربلاء، ومرقد کل واحد منهما کان ولا یزال وسیبقی ملجأ الزوّار المسلمین، وأیّ بناء علی مرقدیهما للحفاظ علیهما إنّما هو تعبیر عن المحبّه لهما، فهما سبطی رسول الله (ص) ، وسیکون أجر هذا العمل هو الأجر الذی ورد فی الحدیث الشریف الذی ذکرناه آنفاً.

والیوم تحاول شعوب العالم أن تحیی - بشتّی الوسائل - ذکری شخصیّاتها الوطنیّه والمذهبیّه والسیاسیّه والعسکریه ومصلحیها علی الصعید الثقافی؛ ولهذا نجدهم یشیّعون جثامین کبار شخصیاتهم بتعظیم ویدفنونهم فی مبانی مجلّله، ویحاولون إحیاء ذکراهم بین الحین والآخر؛ لیکون هؤلاء أسوه لأجیال المستقبل.

۱- جامع الأصول، ج ۱، ص ۳۷؛ صحیح البخاری، ج ۱، ص ۱۰ و ج ۸، ص ۵۶.
۲- جامع الأصول، ج ۹، ص ۱۵۷؛ سنن الترمذی، ج ۵، ص ۳۰۵. .

ونحن المسلمون أیضاً ینبغی علینا أن نکرّم شخصیّاتنا الرفیعه، وهی شخصیات لا مثیل لها، وذلک بأسالیب مختلفه، من قبیل البناء علی قبورهم وتشیید نُصُب تذکاری لهم، وغیر ذلک من الأمور التی تعبّر عن اهتمامنا بإحیاء ذکراهم.

ومع لحاظ هذه الأدلّه:

ألف) سیره السلف الصالح فی الحفاظ علی قبور الأنبیاء.

ب) صیانه الآثار، صیانهٌ للاصاله.

ج) حفظ المبانی المرتبطه بالأولیاء هو رفعٌ لبیوتهم.

د) حفظ آثار الأولیاء دلیلٌ علی الرأفه والمودّه.

لا یبقی أدنی مجالٍ للشکّ فی مسأله بناء القبور، بل هی أدلّهٌ علی کون هذا الامر مطلوباً ومرغوباً.

وفی حدیث عن الإمام الصادق (ع) حول تشیید قبور الأولیاء: قال أبوعبدالله جعفر بن محمّد:

حدّثنی أبی عن أبیه، عن جدّه الحسین بن علی (ع) عن علی (ع) : إنّ رسول الله (ص) قال له: والله لتُقتلنّ بأرض العراق وتُدفن بها. قلت: یا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟

فقال لی: یا أباالحسن، إنّ الله تعالی جعل قبرک وقبر ولدک بقاعاً من بقاع الجنّه، وعرصه من عرصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوه من عباده تحن إلیکم وتحتمل المذله والأذی فیعمّرون قبورکم ویکثرون زیارتها تقرّباً منهم إلی الله ومودّه منهم لرسوله. (۱)

۱- تهذیب الأحکام للشیخ الطوسی، ج ۶، ص ۲۲؛ وسائل الشیعه، ج ۱۰، من أبواب المزار، ب ۲۶، ح ۱، یرجی مطالعه تکمله الحدیث. .

۱۰. الصلاه عند قبور الأولیاء

السؤال الذی یطرح هنا، هو : هل تصحّ الصلاه عند قبور الأنبیاء والأولیاء؟ وهل یجوز الدعاء عندها؟

الجواب : من الأمور التی ینهی عنها الوهّابیّون هی مسأله الدعاء وأداء الصلاه عند قبور الأولیاء، وقد کان هؤلاء فی بادی الأمر یعتقدون بکراهیه الدعاء والصلاه عند هذه القبور، ثمّ تحوّلت هذه العقیده عندهم من الکراهیّه إلی المنع، ثمّ ادّعوا أنّ هذا الدعاء وهذه الصلاه شرک بالله.

وسنعرض هذه المسأله علی القرآن الکریم وسیره المسلمین لتتّضح بشکلٍ جلیٍ ـ وکما یلی:

۱. أمر الله تعالی حجّاج بیته الحرام أن یؤدّوا الصلاه فی مقام إبراهیم، فقال: (وإِذْ جَعَلْنَا الْبَیْتَ مَثابَهً لِلنَّاسِ وأَمْناً واتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَلًّی) (البقره: ۱۲۵) .

ویطرح فی هذا المقام هذا السؤال: عندما أمر الله المسلمین أن یتّخذوا من مقام إبراهیم (ع) مصلّی لهم، هل توجد حکمه أخری سوی تشجیع المسلمین علی التبرّک بمقام إبراهیم (ع) ؟ ! وهل یوجد اختلاف بین مقام إبراهیم (ع) ومقام نبیّنا محمّد (ص) ؟ ! وهل یوجد فرق بین مقام الأنبیاء، وبین قبورهم التی تضمّ جثامینهم الطاهره؟ !

۲. ورد فی الأحادیث الشریفه المرتبطه بلیله معراج الرسول (ص) :

إنّ النبی نزل فی المدینه وطور سیناء وبیت لحم وصلّی فیها، وقال جبرئیل: صلّیت فی طیبه، وإلیها مهاجرتک، وصلّیت فی طور سیناء، حیث کلّم الله موسی، وصلیت فی بیت لحم، حیث ولد المسیح. (۱)

۱- الخصائص الکبری، ج ۱، ص ۱۵۴. .

مع لحاظ هذا الحديث، فهل يمكن ادّعاء وجود اختلافٍ بين مكان الولاده ومكان الدفن؟ !

وهـذا الحـديث فى الواقع يشير إلى معيار عامّ واحـد، وهو أنّ الأرض التى عليها أثر من آثار رجال التوحيـد وأهل التقوى، فإنّها أرض مبـاركه، ويجـدر بالإنسـان اختيـار هـذه البقـاع محلّاً للعبـاده، وأنّ عبـاده الله تعالى فى هـذه الأماكن لا تعتبر عباده للأنبياء والأولياء، وإنّما هى عباده لله فى أماكن مباركه.

أحياناً نجد أنّ امرأةً مؤمنةً بكرامتها وصبرها تجعل بقعةً ما محلاً لعباده الله تعالى وطاعته مثل موضع قدم هاجر أمّ إسـماعيل، فهى صبرت وتحمّلت المصاعب فى سبيل الله، فاختار الله موضع قـدمها وجعله محلّاً لعبادته، فأمر الحجّاج بالسـعى بين الصـفا والمروه، كما سـعت هاجر. فإذا كان صبر هـذه المرأه العظيمه سـبباً لأن يصـبح موضع قـدمها مباركاً ومحلّاً لعباده الحجّاج، فلماذا لايكون موضع جثمـان الرسول (ص) موضـعاً مباركـاً ومقـدّساً فى حين المصـاعب التى تحمّلتهـا هـاجر، لاتُقارن بالمصاعب التى تحملّها الرسول الأعظم (ص) ؟ !

والطريف أنّ ابن القيّم وتلميـذه ابن تيميّه يعترفون بهـذه الحقيقه من حيث لا يعلمون، وفقـد قال ابن القيّم: «وإنّ عاقبه صبر هاجر وابنها على البعـد والوحـده والغربه، والتسـليم إلى ذبـح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسـك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامه وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه» . (۱)

۳. عبـد المسـلمون الله عزّوجلّ من جميع أنحاء العالم مـدّه أربعه عش-ر قرناً بجوار مرقد الرسول (ص) ، فإذا كانت الصـلاه عند قبور الأنبياء أمراً مكروهاً

۱- زاد المعاد لابن القيم، ج ۱، ص ۱۷. .

أو محرّماً أوسبباً لبطلان الصلاه، فلماذا لم يعترض أحد الصحابه أو التابعين والعلماء على هذا الأمر؟ !

أضف إلى ذلك، إذا وقف شـخصٌ فى ناحيه الصـفّه وصـلّى، سـيكون قبر النبى (ص) أمامه، فهل يمكن القول بأنّ هـذه الصـلاه باطله أو مكروهه؟ !

۴. كلّنا نعرف منزله ابنه رسول الله (ص) ، وهى سيّده نساء العالمين التى قال عنها الرسول (ص) :

«فاطمه بضعه منّى، فمن أغضبها أغضبنى» . (۱)

وهذه السيّده الزهراء (س) كانت تذهب فى أيّام الجمعه إلى زياره قبر عمّها حمزه، وتبكى وتصلّى عند قبره. (۲)

۵. بقيت عائشه بعـد وفاه رسول الله (ص) سـنوات متماديه فى حجرته التى دُفن فيها، وكانت تصـلّى عنـد قبره، ولم يعترض عليها أحد.

وذكر السمهودى: «إنّ عائشه قضت حياتها فى بيتها وصلّت فيه تمام عمرها، ولم يكن بينها وبين القبر أىّ جدار إلى أن دفن عمر، فبنى جدار حال بينها وبين القبور الثلاثه» . (۳)

وهذا الحديث يثبت أنّ زوجه النبى صلّت ما يقارب خمسه عشر عاماً عند قبره، ولم يرد فى التأريخ أىّ نصّ يُشير إلى أنّها كانت تخرج للصلاه إلى مكان آخر غير حجرتها.

۶. لا يخفى على أحد بأنّ (حجر إسماعيل (ع) يتضمّن قبر هاجر وابنها إسماعيل (ع) ، ولم يفتِ أحد ببطلان أو كراهيّه الصلاه عند هذا الحجر.

ولم يحرّم هؤلاء الصلاه عند قبور الشهداء فقط، بل ذهبوا إلى لزوم عدم

۱- صحيح البخارى، ج ۵، باب مناقب قرابه رسول الله، ح ۳۷۱۴.
۲- انظر: السنن الكبرى للبيهقى، ج ۴، ص ۷۸؛ مستدرك الصحيحين، ج ۱، ص ۳۷۷.
۳- وفاء الوفاء للسمهودىّ، ج ۲، ص ۵۴۴. .

ص: ۷۶

النظر إلى حجره الرسول (ص) عند الدعاء، وأوجبوا الاتّجاه عند الدعاء نحوالقبله، فى حين سأل أبوجعفر المنصور فقيه المدينه مالك بن أنس، وهما فى حرم الرسول (ص) : أستقبل القبله وأدعوا، أم أستقبل رسول الله (ص) ؟

فأجابه مالك: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيله أبيك آدم إلى الله يوم القيامه؟

بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله. (۱)

فهذه الأدّله السّته تكشف بوضوح جواز الصلاه عند قبور الأنبياء والأولياء، فيا تُرى هل يعقل أن تكون الأراضى البائره أفضل للصلاه من مشاهد الأنبياء والأولياء؟

۱۱. إقامه المآتم للشهداء

السؤال الذى يطرح هنا، هو : ما الحكمه من إقامه المآتم لمن استشهد فى سبيل الله؟

الجواب : الحكمه من إقامه هذه المآتم ليست سوى إجلالهم وحفظ مبادئهم القائمه على أساس التضحيه من أجل الدين وعدم الخضوع للذلّ والهوان تحت شعار (هيهات منا الذلّه) ، وشعار (الموت بعزّه أفضل من الحياه بذلّه) . فهؤلاء قدّموا أرواحهم من أجل إعلاء كلمه الحقّ وعزّه المؤمنين، وتكريمهم هو تكريم لمبادئهم وقيمهم وسيرتهم الجهاديّه التى ينبغى للجميع تلقّى الدروس والعبر منها.

فالشهداء بمثابه الشمعه التی تحترق لتضیء الطریق للآخرین، والشهید

۱- انظر: وفاء الوفاء للسمهودیّ، ج ۴، ص ۱۳۷۶. .

هو الذی یقدّم حیاته من أجل تحریر المجتمع من قیود العبودیّه وظلم الحکومات الجائره. فهل أنّ تکریم هکذا أشخاص یتنافی مع العقل السلیم؟ !

فالرسول قد بکی عند موت أشخاص عادیّین، فهل یعقل تقبیح البکاء علی الشهداء وإقامه المآتم لهم؟ !

وأکثر مجالس العزاء التی یقیمها المسلمون لشهدائهم، هی مجالس العزاء باسم الإمام الحسین (ع) ؛ لأنّه سید الشهداء، وهو الذی علّمنا أکثر من غیره کیف نعیش أحراراً ولا- نخضع للظلم والطغیان، وهو الذی علّمنا بأن یقطّعنا الأعداء بسیوفهم إرباً إرباً ونستشهد أعزاء أفضل من نحیا حیاه ذلٍّ وخنوع.

وقد اختار الإمام الحسین (ع) هذا الطریق واستشهد فی هذا السبیل، وقدّم کلّ ما یمتلک وضحّی بکلّ ما لدیه من أجل اعلاء کلمه الحقّ.

وقد قال ابن أبی الحدید حول الإمام الحسین (ع) مایلی:

سیّد أهل الإباء، الذی علّم الناس الحمیّه والموت تحت ظلال السیوف اختیاراً له علی الدنیّه، أبوعبد الله الحسین بن علی بن أبی طالب، عرض علیه الأمان فانف من الذّل، وخاف من ابن زیاد أن یناله بنوع من الهوان -إن لم یقتله- فاختار الموت علی ذلک. (۱)

ومن هذا المنطلق نحصل علی أجابه سؤالین آخرین:

۱. هل أنّ مذهب الشیعه هو مذهب حزن وبکاء؟

۲. لماذا نقیم مجالس العزاء والمآتم علی مصائب الإمام الحسین (ع) ، فی حین أنّ مصیره (ع) الجنّه؟ فما هی ثمره البکاء علی أهل الجنّه؟

۱- شرح نهج البلاغه، ج ۳، ص ۲۴۹. .

أمّا جواب السؤال الأوّل : مذهب الشیعه هو مذهب یدعو إلی الحقّ والعدل والجهاد فی سبیل الله، وهو مذهب یقتدی برسول الله الذی کان یذرف الدموع لفقد أعزائه ویحزن قلبه إزاء ذلک.

وبعباره أخرى : فإنّ قراءه المراثى للإمام الحسين (ع) وشهداء الطف والبكاء على مصائبهم، أمر طبيعى يدلّ على الصله العاطفيه بين الشيعى وأهل البيت (عليهم السلام) ، وهو ترسيخٌ لأُسس مذهب قائم على أساس التضحيّه فى سبيل الله والترفّع عن الذلّه، وإذا لم تعقد هذه المجالس ولم تُحيى ذكرى الشهداء فى كلّ عام فسوف يُنسى مبدأ الإيثار والشهاده، فالشيعه يحيون المبادىء التى ثار من أجلها الإمام الحسين (ع) بإحيائهم ذكراه فى شهرى محرّم وصفر.

وأمّا الجواب على السؤال الثانى : فإنّنا لا نبكى على الإمام الحسين (ع) ؛ لأنّه الآن فى الجنّه، بل يسرّنا نيل الإمام الحسين (ع) درجه عند الله باستشهاده فى سبيله؛ وإنّما نبكى للمصائب التى تجرّعها سبط الرسول، حيث قتلوه عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، لا ناصر له ولا معين، وسفكوا دماء أهل بيته وأنصاره وهم عطاشى. فالحمزه أيضاً استشهد وذهب إلى الجنّه، ولكن مع ذلك بكى عليه رسول الله (ص) ، بكى؛ لأنّ حمزه استشهد مظلوماً، ومثّلت هند زوجه أبوسفيان بجسده وأخرجت كبده ولاكته بأسنانها.

وعموماً فالحديث حول الحكمه من استشهاد الامام الحسين (ع) طويل، ونحن نكتفى بهذا المقدار، ونوكل الحديث عنه إلى مناسبهٍ أُخرى.

ص: ٧٩

الفصل الثالث: منزله القرآن الكريم عند الشيعه

١. منزله القرآن الكريم عند الشيعه

السؤال الذى يُطرح هنا، هو : هل يصحّ القول بأنّ الشيعه يعتقدون بتحريف القرآن الكريم؟

الجواب : يعتقد الشيعه أنّ القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى لم يحرّف، ولا يوجد عند المسلمين كتاب أصحّ منه، وجميع الكتب الأخرى غير القرآن عُرضهٌ للنقد والمناقشه.

فالقرآن هو سند العقيده والشريعه، لذا ينبغى للمسلمين أن يرجعوا فى معتقداتهم وأحكامهم إليه، وهو الحَكَم عند الاختلاف فى أيّه مسأله.

ولم يكن بأيدى الشيعه على مرّ العصور قرآن يختلف عن القرآن الموجود بين أيدينا اليوم.

وأمّا ادّعاء تحريف القرآن المنسوب إلى الشيعه، فهو افتراء وبهتان من قبل بعض الأعداء أو المغفلين. وقد تمسّك هؤلاء ببعض الأحاديث الموجوده فى المصادر الروائيه الشيعيّه، والتى توهم بتحريف القرآن؛ فى حين أنّها لا قيمه لها عند الشيعه، وذلك لتعارضها مع القرآن الكريم.

ص: ٨٠

وإذا كان مجرّد وجود بعض الأحاديث فى مصادر الشيعه التى تدلّ ظواهرها على تحريف القرآن يُتخذ ذريعهً لاتّهام الشيعه بهذه العقيده، فما بال مصادر الحديث عند المذاهب الأخرى التى تزخر بالأحاديث الدالّه بظاهرها على هذا التحريف؟ ! فلماذا لا

يتّهمهم أحد بأنّهم يذهبون إلى تحريف القرآن؟ !

وكما قلنا مراراً، ليس كلّ ما يرد فى الأحاديث التى ينقلها أصحاب مذهب معيّن يمكن اعتباره دليلاً على معتقداتهم، وذلك لأنّ الأحاديث بحاجه إلى غربله، وإنّما العقيده تستنبط من الآيات القرآنيه المحكمه والأحاديث الشريفه الصحيحه والأدلّه العقليّه القطعيّه الواضحه.

وسنذكر فى هذا المقام ما أشار إليه كبار علماء الشيعه حول نفى تحريف القرآن، لكن نودّ قبل ذلك أن نثبت أصل عدم تحريفه، كمايلى: إنّ معظم الذين يحاولون ترويج شبهه تحريف القرآن هم من المسيحيين واليهود؛ لأنّ كتبهم السماويّه محرّفه ولا اعتبارلها، ولهذا يحاولون الإطاحه بالقرآن الكريم والتقليل من قيمته.

ولكنّ التأريخ يشهد بض-رسٍ قاطع على أنّ نسخ التورات قد فقدت صراراً على مرّ العصور، ولا سيّما عندما غزا بخت نصّر بيت المقدّس، ثم كتبه بعض علماء اليهود بأقلامهم.

ويشهد التأريخ أيضاً بأنّ الأناجيل الأربعه دوّنت بعد سنوات من حياه السيّد المسيح، وأمّا الإنجيل الذى نزل من الله على السيّد المسيح، فلا أثر له ولا وجود له فى الواقع الخارجى. (۱)

۱- راجع كتب: قاموس كتاب المقدس؛ الهدى إلى دين المصطفى. .

فالذين أسّسوا جميع أصولهم العقائديّه ومعارفهم الدينيّه على أمثال هذه الكتب التى لا صله لها بالسماء، يدّعون بأنّ القرآن الكريم أيضاً لاقى نفس مصير التوراه والإنجيل؛ ولهذا يزعمون تحريفه.

فى حين جميع الطُّرق التى جُمع فيها القرآن فى جميع مراحل التأريخ الإسلامى غير قابله للقياس مع تأريخ التوراه والإنجيل فى العهود اليهوديّه والمسيحيّه ومختلفه عنها اختلافاً جذريّاً.

ونستلهم من التأريخ بأنّ القرآن الكريم لم يواجه المصير الذى حلّ بالتوراه والإنجيل من إبهام وتعقيد، ويجدر بنا فى هذا المقام الإشاره إلى أمرين يتكفّلان الإجابه عن الكثير من الأسئله والإشكالات المطروحه بشأن القرآن:

۱. القرآن الكريم كتاب غيّر جميع شؤون حياه المسلمين الاجتماعيّه، والقرآن قضى على الحياه الجاهليّه وقدّم للبش-ريّه حياه جديده مبتنيه على أساس الإيمان والأصول الإنسانيّه.

إذن، القرآن كتاب له صله بشؤون حياه المسلمين الأساسيّه، وكان المسلمون يستلهمون منه ما ينفعهم فى شؤونهم السياسيّه والاقتصاديّه، والقوانين الأخلاقيه، وحتى الآداب والتقاليد العائليّه، فصلتهم بهذا الكتاب وثيقهٌ جدّاً، وهم يقرؤونه كلّ يوم خمس مرّات فى صلواتهم، ويرجعون إليه، ثمّ السنّه للانتفاع منهما فى جميع شؤون حياتهم.

فالكتاب المتجذّر إلى هذا الحدّ فى نفوس الناس، وهو المرجع لهم فى جميع أبعاد حياتهم لا يمكن تحريفه دون أن يلتفت الخواصّ والعوامّ إلى ذلك.

ومدى احتمال وقوع تحريف القرآن دون أن يعلم أحدٌ بذلك فهو بمقدار احتمال وقوع التحريف فى الدستور لشعب كبير من دون التفات أحد إلى

ص: ٨٢

هذا التحريف!

ويا تُرى هل يمكن تحريف بنود الدستور لأمّه من دون علم أبنائها بذلك، ومن دون صدور أىّ اعتراض منهم؟ !

إنّ دور القرآن الكريم فى حياه المسلمين الاجتماعيّه أسمى بكثير من دور الدستور فى حياه الأمم فى يومنا هذا، ولوكان ثمّه تحريف فى القرآن، لواجه ردود فعلٍ شديدهٍ واعتراضاتٍ واسعه من قبل المسلمين.

٢. إنّ جمع القرآن الكريم فى زمن النبى (ص) والاهتمام الكبير الذى كان يوليه (ص) والمسلمون فى حفظه وتدوينه، يثبت لنا استحاله نقصان -ولوكلمه واحده - من هذا الكتاب المقدّس.

وكما يشهد التأريخ، كان حول النبىّ (ص) عدد كبير من الكتّاب، بحيث يبلغ عددهم ثلاثه وأربعين شخصاً كانت مهمّتهم كتابه ما يأتى به الوحى، فكان الرسول يملى عليهم كلّ آيه وكلّ سوره تنزل عليه، وهم يكتبونها، وكان المسلمون يهتمون بحفظ القرآن اهتماماً بالغاً.

وأكثر من اهتمّ بكتابه القرآن الكريم هو علىّ بن أبى طالب (ع) وزيد بن ثابت.

ومن هذا المنطلق توجد حالياً بأيدى المسلمين نسخ متعدّده من القرآن الذى كتبه هؤلاء، كما كان يوجد فى السابق نسخ متعددّه من القرآن يستفيد منها المسلمون ويتلونه ليلَ نهارَ.

كما أنّ عدداً كبيراً من المسلمين فى عصر صدر الإسلام كانوا من حفّاظ القرآن، بحيث بذلوا غايه جهدهم لئلّا تفوتهم كلمه واحده، وعُرفوا بالقرّاء، وقد كان الناس يلجؤون إليهم لتعلّم القرآن.

وكان مدى اهتمام المسلمين والقرّاء فى حفظ القرآن والحفاظ عليه كبيراً

ص: ٨٣

جدّاً، بحيث وقع اختلاف ذات يوم بين أُبى بن كعب وعثمان حينما كان خليفهً حول قوله تعالى: (والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّهَ ولا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللهِ) ، فادّعى عثمان بأنّ: الَّذِينَ نزلت بدون (واو) ولهذا يجب حذف الواو من المصاحف. ولكنّ أُبى اعترض عليه وبيّن له بأنّ (الواو) جزء من الآيه، ثمّ انفعل أُبى، وقال: لتلحقنّها أو لأضعن سيفى على عاتقى، فألحقوها. (١)

فإذا كان الحديث حول تغيير حرف واحد من القرآن أدّى إلى هذا الاختلاف الكبير، فكيف يمكن القول بأنّ القرآن محرّف وبعض آياته محذوفه؟ !

أضف إلى ذلك، ينبغى الالتفات إلى أنّ القرآن الكريم بنفسه أشار إلى نفى التحريف عنه، كما فى قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) (الحجر: ۹) .

وقد صرّح المفسّرون وعلماء الكلام بأنّ علماء المسلمين أجمعوا على نفى تحريف القرآن، وإذا كان بين العلماء من يعتقد بتحريف القرآن، فسبب ادّعائه هذا فى الواقع بعض الروايات المدسوسه التى وضعها بعض المغرضين فى كتب الحديث، ولا شكّ، فى أنّ هذه الروايات عديمه القيمه، أو أنّها لا تدلّ على التحريف الحقيقى، كما فهم منها هؤلاء العلماء.

۲. مصحف فاطمه الزهراء (س)

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : يُقال: للشيعه قرآن آخر يُدعى (مصحف فاطمه) ، فما هو مدى صحّه هذا القول؟

۱- الدر المنثور، ج ۴، ص ۳۷۹. .

الجواب : المصحف لغه: من أصحف، بمعنى ما جُعل فيه الصحف. وإنّما سمّى المصحف مصحفاً لأنّه جعل جامعاً للصحف المكتوبه بين الدفتين، وقد قال تعالى: (وإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) (التكوير: ۱۰) ، وقال أيضاً (إِنَّ هذا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولى * صُحُفِ إِبْراهِيمَ ومُوسى) (الأعلى: ۱۸ و ۱۹) .

وينقل ابن أبى داود السجستانى حول جمع القرآن فى مصحف واحد، عن محمّد بن سيرين:

لما توفّى النبى (ص) أقسم على أن لا يرتدى برداء إلّا جمعهٍ حتّى يجمع القرآن فى مصحف.

ونقل أيضاً عن أبوالعاليه:

إنّهم جمعوا القرآن فى مصحف فى خلافه أبى بكر.

وقال أيضاً:

«وأمر بالقرآن فجُمع، وكان أوّل من جمعه فى المصحف» . (۱)

وهذا يدلّ على أنّ المقصود من المصحف فى ذلك الزمان هو الكتاب الكبير أو الكتاب المجلّد الذى يحفظ الصفحات من البعثره، ثمّ أصبح اسم المصحف بمرور الزمان من الأسماء المختصّه بالقرآن.

وحتّى الأحاديث الشريفه الوارده فى مصادر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) أيضاً تبيّن بأنّ اسم المصحف يُطلق سابقاً على الكتاب أو الدفتر المكتوب.

قال الإمام الصادق (ع) : «

من قرأ القرآن فى المصحف متّع ببصره » . (۲)

وقال (ع) فى حديث آخر: «

قراءه القرآن فى المصحف تخفّف العذاب عن

۱- كتاب المصاحف للحافظ أبى بكر عبدالله بن أبى داود السجستانى، صص ۹-۱۰.
۲- كتاب المصاحف للحافظ أبى بكر عبدالله بن أبى داود السجستانى، صص ۹-۱۰.

الوالدين » . (۱)

وذكر المؤرّخون فى ترجمه خالد بن معدان: «كان علمه فى مصحف له أزرار وعرى» . (۲)

وكان خالد بن معدان من التابعين، وقد لقى سبعين رجلاً من الصحابه، وقد أورد ابن الأثير ترجمته فى ماده (كلاعى) . (۳)

إذن، لفظ (المصحف) كان يستخدم بمعنى: الكتاب حتّى نهايه القرن الأوّل، ثمّ بمرور الزمان اختصّ بالقرآن الكريم.

بناءاً على هذا، ينبغى أن لا نستغرب من أن يكون لبنت رسول الله (ص) مصحفاً تجمع فيه ما تعلّمته من أبيها وغير ذلك من علومها ومعارفها لتتركه كأفضل ميراث لأبنائها.

ومن حسن الحظ فقد كشف أبناء الزهراء (س) ، عن حقيقه هذا المصحف، وأثبتوا أنّ هذا المصحف ليس إلّا الكتاب المتضمّن للمعلومات المدوّنه.

وقال الإمام الصادق (ع) فى حديث آخر حول مصحف فاطمه (س) : «

والله، ما فيه من قرآنكم حرف واحد » ، قال الراوى، قلت: هذا والله العلم، قال (ع) : «

إنه لعلم وما هو بذلك » . (۴)

ومن هنا يتّضح لنا أنّ مصحف فاطمه (س) شىء والقرآن الكريم شىء آخر، وكلّ من يحاول جعل مصحف فاطمه (س) ذريعه لاتّهام الشيعه بالقول

۱- الکافی، ج ۲، ص ۶۱۳.

۲- المصاحف للسجستانی، صص ۱۳۴ و ۱۳۵.

۳- اللباب فی تهذیب الانساب، ج ۳، صص ۶۲ و ۶۳.

۴- ارشاد الساری بشرح صحیح البخاری، ج ۶، ص ۹۹. .

بتحریف القرآن، فهو مفترٍ أو جاهل.

وسنبیّن حقیقه مصحف فاطمه (س) للقرّاء الأعزاء فیما یلی:

المحدَّث فی الإسلام

من الأمور المتعارفه بین علماء المسلمین وجود (المحدَّثین) من بین المسلمین. و (المحدَّث) لیس نبیّاً، ولا ینزل علیه الوحی، بل هو ممن تحدِّثه الملائکه فیسمع حدیثهم، ولهذا یطلق علیه (محدَّث) ؛ وقد نقل البخاری مایلی: قال النبیّ (ص) : «

لقد کان فیمن کان قبلکم من بنی إسرائیل رجال یکلّمون من غیر أن یکونوا أنبیاء، فإن یکن من أمّتی منهم أحد فعمر » . (۱)

فالروایات الوارده حول (المحدَّثین) بین المسلمین منقوله فی کتب الفریقین، والمقام هنا لا یسع لبیان ما ذکره العلماء حول هذا الأمر. وقد ذکر الذین شرحوا صحیح البخاری ما فیه الکفایه لبیان معنی (المحدَّث) .

وخصّص الشیخ الکلینی فی کتاب الکافی باباً تحت عنوان: إنّ الأئمّه [(ع)] محدّثون مفهّمون، حیث نقل بعض الأحادیث الشریفه الوارده فی هذا المجال، وجمیع هذه الأحادیث تشیر إلی أنّ المحدّث هو من تحدِّثه الملائکه فیسمع صوتها، ولکنّه لایری لها شخصاً، ولهذا قال الکلینی: الأئمّه علماء صادقون مفهّمون محدّثون. (۲)

فاطمه محدّثه

کانت فاطمه بنت رسول الله (ص) محدَّثه؛ لانّها بلغت من الکمال درجهً

۱- بخاری، ج ۲، ص ۱۹۴.

۲- الکافی، ج ۱، صص ۳۲۵ - ۳۲۷. .

عُلیا، فکانت تسمع صوت الملائکه، ولکنّها لا تری لهم شخصاً. وازداد حدیث الملائکه مع الزهراء (س) بعد رحیل والدها، حیث هیمن علیها الحزن والغم، فکان یأتیها جبرئیل بأمر من الله عزّ وجلّ ویبیّن لها بعض أخبار المستقبل، ویسلیها بهذه الطریقه.

وقد قال الإمام الصادق (ع) حول مصحف فاطمه (س) :

انّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه (ص) دخل على فاطمه من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّا الله عزّ وجل، فأرسل الله إليها ملكاً يسلّى غمّها ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أميرالمؤمنين (ع) ، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولى لى. فأعلمته بذلك فجعل أميرالمؤمنين يكتب كلّما سمع حتّى أثبت من ذلك مصحفاً، قال ثمّ قال: أمَا إنّه ليس فيه شىء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون. (۱)

۳. مصحف على (ع)

السؤال الذى يُطرح هنا، هو : هل كان للإمام على (ع) مصحف خاصّ به؟

الجواب : يطرح هذا السؤال على نحوين:

يُقال تارةً: ما هو المقصود من مصحف على (ع) ؟

ويُقال تارةً أخرى: ما هو المقصود من كتاب على (ع) ؟

المقصود من مصحف على (ع) هو ما جمعه الإمام على (ع) من القرآن حسب ترتيب النزول. وروى ابن نديم فى (الفهرست) عن على (ع) أنّه رأى من الناس طيره عند وفاهالنبى، فأقسم أن لا يضع عن ظهره رداءه حتّى

۱- الكافى، ج ۱، باب فيه ذكر الصحيفه، ح ۲. .

يجمع القرآن، فجلس فى بيته ثلاثه أيّام حتّى جمع القرآن.

وقال اليعقوبى: «رَوى بعضهم أنّ على بن أبى طالب [(ع)] كان جمعه -القرآن - لمّا قبض رسول الله. . . فقال: «هذا القران جمعته» . وكان قد جزّأه سبعه أجزاء، ثمّ ذكر كلّ جزء، والسور الوارده فيه» .

والتأمّل فى الأجزاء التى ذكرها اليعقوبى عن قرآن الإمام على (ع) يكشف عن عدم وجود أىّ اختلافٍ بين عدد السور التبى جمعها الإمام على (ع) مع عدد سور القرآن الموجود بين أيدينا حالياً، وإذا كان هناك اختلافٌ، فإنّه يرتبط بكيفيّه جمع سور القرآن.

وإذا كان الإمام على (ع) قد جمع القرآن، فلا منافاه فى هذا العمل مع حفظه من التحريف؛ لأنّ الإمام على (ع) لم يتفرّد فى جمع القرآن، بل إنّ عبدالله بن عبّاس أيضاً جمع القرآن، ووجود الاختلاف فى كيفيّه الجمع لا تعنى وجود التحريف.

وقد حان الوقت الآن للإجابه على الشقّ الثانى من السؤال:

كتاب على (ع) هو كتاب دوّنه الإمام على (ع) فى عهد الرسول (ص) ، وهو يتضمّن مسائل الحلال والحرام والتعاليم الدينيّه الأخرى التى أملاها عليه الرسول (ص) . فهو كتاب عُرف بأنّه إملاءٌ من رسول الله (ص) بخطّ الإمام على (ع) . وقد توارثه أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) ، وكان الإمامان الباقر والصادق (ع) يعتمدان عليه كمصدر من مصادر الأحكام الإسلاميّه.

ورَوى النجّاشى، وهو أحد علماء الرجال الشيعه، فى ترجمه لمحمّد بن عذافر الصيرفى، مايلى:

عن عذافر الصيرفى قال: كنت مع الحكم بن عتيبه عند أبى جعفر (ع) ، فجعل يسأله، وكان أبوجعفر (ع) له مكرّماً، فاختلفا فى شىء، فقال أبوجعفر (ع) :

«يا بنى قم، فأخرج كتاب علىّ» . فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً وفتحه (ففتحه) ، وجعل ينظر حتّى أخرج المسأله.

فقال له أبوجعفر هذا خطّ على (ع) وإملاء رسول الله (ص) ، وأقبل على الحكم. وقال: «يا أبا محمد، اذهب أنت وسلمه وأبوالمقدام، حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله، لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل (ع)» . (١)

وقد بيّنت الأحاديث الشريفه الأخرى بأنّ كتاب علىّ (ع) طوله سبعون ذراعاً، وهو على شكل طومار ملفوف.

وللإمام على (ع) كتاب آخر يدعى (الصحيفه) ، وهو كتاب خاصّ بأحكام الديّات، قد نُقلت عن هذه الصحيفه الكثير من الأحاديث فى المصادر الروائيّه.

وقد قام المحقّق الميرزا على الميانجى بجمع الأحاديث المرويّه عن كتاب الصحيفه. (٢)

ونحن أيضاً قد تحدّثنا بتفصيلٍ عن كتاب على (ع) وصحيفته فى كتابنا (تأريخ الفقه الإسلامى وأدواره) ، وبيّنا فيه الكثير من المسائل المرتبطه بكتاب على (ع) وصحيفته بصوره مفصله. (٣)

وفى الختام نلفت الانتباه إلى أنّ الإمام على (ع) وأبناءه وشيعتهم منذ وفاه الرسول (ص) ، ورغم منع تدوين الحديث من قبل السلطات الحاكمه، قد أعاروا أهميّه لتدوين الحديث وحفظ سنّه الرسول (ص) ، ولم يردعهم هذا المنع

١- رجال النجاشى، ترجمه رقم: ٩۶٧.

٢- مكاتيب الرسول، ج ١، صص ۶٧-٧١.

٣- انظر: تاريخ الفقه الاسلامى و أدواره، ص ١١٨. .

السياسى عن تدوين الحديث، حيث دام هذا المنع مائه عام، إلاّ أنّه حُكِم بالفشل، واهتمّ بعد ذلك سائر المسلمين بجمع

الحديث. وجمع الحديث يعدّ موضوعاً مستقلاً يتطلّب بحثاً تفصيلياً لامجال له هنا.

۴. شبهه الاهتمام بالدعاء أكثر من الاهتمام بالقرآن

السؤال الذى يُطرح هنا، هو : لماذا يهتمّ الشيعه بكتب الدعاء أكثر من اهتمامهم بالقرآن الكريم؟

الجواب : لا ـ يوجد فى التعاليم الدينيّه التى وصلتنا عن أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) ما يُشير إلى أنّ الدعاء أهمّ من القرآن الكريم، فالقرآن هو المعجزه الإلهيّه الخالده، وهو آخر كتابٍ سماويٍ، كما أنّ الكثير من الأحاديث الش-ريفه قد أكّدت على ضروره قراءته وحفظه وتلاوته بصوت حسن، وهناك الكثير من الكتب دُوّنت حول أهميّته.

ويكفى فى هذا المجال مراجعه كتاب (القرآن الكريم فى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)) ، وهو الكتاب الذى نُشر فى إيران ومصر، وكلّ من يراجع هذا الكتاب يجد عظمه القرآن وأهميته عند أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) .

وتُعير الجمهوريّه الإسلاميّه الإيرانيّه فى يومنا هذا اهتماماً كبيراً بمسأله حفظ القرآن الكريم، سواء للرجال أم النساء، وحتّى الجيل الناشىء، بحيث نجد بعض الأطفال الذين كان لهم من العمر خمس سنوات أو أقلّ حفظوا القرآن وحازوا على جوائز متعدّده فى المسابقات الدوليّه والمسابقات المحليّه التى تقام سنوياً فى إيران، والتى يُدعى فيها حكّام دوليّون. وتعقد هذه المسابقات فى مجال الحفظ، والترجمه، والتفسير، ويمنح الفائزون الجوائز من أجل تشجيعهم على الاهتمام بالقرآن الكريم.

ص: ۹۱

كما أسّست الجمهوريّه الإسلاميّه الإيرانيه قناه خاصّه بالقرآن الكريم تبث برامجها بصوره متواصله ليلَ نهارَ.

وأمّا اهتمام الشيعه بالأدعيّه، ولا ـ سيّما دعاء كميل ودعاء الندبه، وقراءتهم لهما بصوره جماعيّه فى ليالى الجمعه وصباح أيام الجمعه، أدّى إلى توهّم البعض بأنّ الشيعه تهتمّ بالدعاء أكثر من القرآن! ولكن الواقع ليس كذلك، بل الحقيقه هى أنّ الشيعه والسنّه كلاهما يهتمان بالقرآن الكريم، ولكن أهل السنّه لايهتمون بالدعاء كما يهتمّ الشيعه به؛ لأنّهم لا يمتلكون أدعيه مثل الشيعه الذين لديهم عدد كبير منها وصلهم عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) ، وهذا ما أدّى إلى قلّه أهل السنّه بالدعاء.

ومن المؤكّد أنّ الدعاء ومناجاه الله من أسمى مراتب العباده، وقد ورد فى الحديث الشريف: «

الدعاء مخّ العباده » . (۱)

۱- سفينه البحار، ج ۱، ماده: دعا. .

ص: ۹۲

ص: ۹۳

الفصل الرابع: الإمامه عند الشيعه

۱. الإمامه فی القرآن

اشاره

السؤال الذی يُطرح هنا، هو : إذا كانت الإمامه من أصول الدين، فلماذا لم يشر القرآن الكريم إلى ذلك؟

الجواب : لا يوجد خلاف بالنسبه إلى ضروره قيام شخص لائق بتولّى زمام الأمور فی المجتمع بعد رحيل الرسول (ص) ، وهذا ما يحكم به عقل كلّ انسان منصف؛ وأمّا القرآن الكريم، فقد أشار إلى الإمامه بصوره عامّه، وليس الأمر، كما ورد فی السؤال بأنّ القرآن لم يشر إليها.

وأمّا الآيات القرآنيّه التی ذُكرت فيها إلى الإمامه، فهی كالآتی:

۱. آيه الولايه

(إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ وهُمْ راكِعُونَ) (المائده: ۵۵) ، وشأن نزول هذه الآيه، كما نقل الكثير من المفسّرين ورواه الحديث، كما يلی:

دخل سائل إلى مسجد الرسول (ص) ، وطلب المساعده ممّن كان فی المسجد،

ص: ۹۴

فلم يعطه أحد شيئاً، وكان الإمام علی (ع) فی الركوع، فأشار للسائل ومدّ يديه ليأخذ خاتمه، فتقدّم السائل وأخرج الخاتم من يد الإمام وذهب لشأنه.

وعندما اطّلع الرسول علی هذه الواقعه، قال (ص) : «اللّهم، اجعل لی وزيراً من أهلی، كما جعلت هارون من موسی، فأوحی الله عزّ وجل إليه أنّ علياً وزيرك وناصرك. . .» . (۱)

وقد ذكر شأن نزول هذه الآيه - إضافه إلى علماء الشيعه - ۶۶ شخصاً من كبار علماء الحديث والكلام من أهل السنّه فی مصادرهم مع اختلاف يسير، وقد جمع العلّامه الأمينی هذه المصادر فی كتابه القيّم «الغدير» . (۲)

وأما بالنسبه إلى صله هذه الآيه بمسأله الإمامه، نقول:

الولايه فی هذه الآيه تعنی استلام زمام الأمور، ولهذا يُقال للأب والحاكم (ولی) . ويُقال (الأب ولیّ الطفل) ، و (الحاكم ولیّ القاصر) .

وبما أنّ الكلام فی هذه الآيه يدور حول (ولی المؤمنين) فالمقصود من ذلك هو الإمامه والحاكميّه.

وكذلك فإنّ القرائن الموجوده فی الآیه وشأن نزولها دلیلٌ علی أنّ المقصود من: (الولایه) هنا الإمامه والحاکمیّه.

ومن هذه القرائن نذکر مایلی:

۱. إذا کان المقصود من (الولی) فی (ولیکم) ما عدا الولایه والزعامه الدینیّه والحاکمیّه السیاسیّه، وأُرید منها (المحبّ) و (الناصر) ، فسیکون حص-ر الولایه - أی حص-ر المحبّه والنص-ره - فی الله والرسول، والمتصدّق

۱- بحار الأنوار، ج ۲۳، ص ۲۲۱.
۲- انظر: الغدیر، ج ۳، صص ۱۵۶- ۱۶۲. .

بالخاتم سیکون حصراً لا معنی له؛ لأنّ المؤمنین بعضهم محبّ وناصر لبعض، ولا تختص المحبّه بهؤلاء الثلاثه.

۲. یبدومن الآیه بأنّ هؤلاء الثلاثه فقط لهم الولایه علی المسلمین، ومن هنا نستنتج بأنّ من تکون له الولایه یغایر من علیه الولایه، وإذا کان الولی فی هذه الآیه یعنی القائد والحاکم، فالسبیل لتمییز من له الولایه ومن علیه الولایه هو أمر ممکن.

ولکن إذا قلنا إنّ الولی فی هذه الآیه یعنی المُحبّ والناصر، فلا یمکن تمییز من له ومن علیه الولایه؛ لأنّ کلّ واحد من المؤمنین محبّ وناصر للآخر.

۳. إذا کان المقصود من الولی فی هذه الآیه المُحبّ والناصر، فکان المفروض الاکتفاء بقوله: (الَّذِینَ آمَنُوا) وعدم ذکر قوله: (الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاهَ ویُؤْتُونَ الزَّکاهَ وهُمْ راکِعُونَ) ؛ لأنّ جمیع المؤمنین أحدهم محبّ وناصر للآخر، سواء تصدّقوا فی حالهالرکوع أم لم یتصدّقوا فی تلک الحاله.

لذا، نستنتج بأنّ المقصود من الولایه هنا القیاده والحاکمیه.

وهذا ما أشار الیه الرسول (ص) بقوله للإمام علی (ع) : «

أنت ولی کلّ مؤمن بعدی ومؤمنه » . (۱)

وعباره: «بعدی» أفضل شاهد علی أنّ المقصود من الولایه فی هذا المقام هو القیاده والحاکمیّه فی الأمور الدینیّه والدنیویه، ولیس المقصود منها المحبّه والنصره؛ لأنّ المسلمین مکلّفون بمحبّه الإمام علی (ع) ونص-رته فی زمن رسول الله (ص) وبعد رحیله (ص) ، ولا یوجد معنی لتخصیص هذه المحبّه والنصره بعد الرسول (ص) .

۱- المستدرک للحاکم، ج ۳، ص ۱۱۱؛ مسند أحمد، ج ۴، ص ۴۳۷. .

۲. آیه أولی الأمر

إنّ الآیه السابقه لیست الآیه الوحیده المرتبطه بالإمامه والولایه، بل إنّ آیه إطاعه أولی الأمر هی أیضاً من الآیات التی أشارت إلی مسأله الإمامه، وهذه الآیه قوله تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللهَ وأَطِیعُوا الرَّسُولَ وأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ) (النساء: ۵۹) .

وأولو الأمر فی هذه الآیه هم من تجب طاعتهم إلی جانب طاعه الله وطاعه الرسول (ص) ، وقد قال الفخر الرازی فی تفسیره لهذه الآیه:

اعلم: أنّ قوله (وأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ) یدلّ عندنا علی أنّ إجماع الأمّه حجّه، والدلیل علی ذلک، أنّ الله تعالی أمر بطاعه أولی الأمر علی سبیل الجزم فی هذه الآیه، ومن أمر الله بطاعته علی سبیل الجزم والقطع لا بدّ وأن یکون معصوماً عن الخطأ؛ إذ لولم یکن معصوماً عن الخطأ کان بتقدیر إقدامه علی الخطأ یکون قد أمر الله بمتابعته، فیکون ذلک أمراً بفعل ذلک الخطأ والخطأ لکونه خطأ منهیٌّ عنه. . .

فثبت أنّ الله تعالی أمر بطاعه أولی الأمر علی سبیل الجزم، وثبت أنّ کلّ من أمر الله بطاعته علی سبیل الجزم وجب أن یکون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولی الأمر المذکور فی هذه الأیه لا بدّ وأن یکون معصوماً. (۱)

وهاتان الآیتان: آیه الولایه وآیه أوُلی الأمر تشیران إلی مسأله الإمامه بصوره مستقلّه، وتوجد آیات أخری من قبیل آیه إکمال الدین فانّها لا تشیر إلی الإمامه بصوره مستقلّه؛ وإنّما هی ذات صلهٍ بالإمامه ولها شأن نزول مختصٍّ بها.

۱- مفاتیح الغیب المعروف بتفسیر الرازی، ج ۱۰، ص ۱۴۴. .

۳. آیه إکمال الدین

(الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی ورَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً) (المائده: ۳) .

ذکر المفسّرون وجماعه من المحدّثین أنّ هذه الآیه نزلت فی حجّه الوداع وفی یوم غدیر خم، وهو الیوم الذی نصّب فیه الرسول (ص) الإمام علی (ع) للإمامه بشکلٍ رسمیٍّ. (۱)

وبعد بیان هذه الآیات الثلاثه، یثبت لنا أنّ مسأله الإمامه جاءت فی القرآن الکریم، وأنّ القرآن لم یهملها قَطُّ.

۲. أسماء الأئمّه فی القرآن الکریم

اشاره

السؤال الذی یُطرح هنا، هو : لماذا لم یذکر القرآن الکریم أسماء الأئمّه الاثنی عشر؟

الجواب : إنّ منهجيه القرآن التعليميّه هى بيان القضايا والأصول العامّه بشكلٍ كلىٍّ، وترك بيان المصاديق والتفاصيل على عاتق الرسول (ص) . وقد كلّف الله تعالى الرسول - إضافه إلى تلاوه القرآن للناس - أن يبيّن لهم أيضاً ما نزل إليهم، وقال تعالى: (وأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل: ۴۴) .

وإذا تأملنا فى هذه الآيه نجد أنّ الله تعالى قال للرسول (ص) : (لِتُبَيِّنَ) ولم يقل: (لتقرأ) أو (لتتلو) ، وهذا يثبت أنّ مهمّته -إضافه إلى القراءه والتلاوه -

---

۱- الدر المنثور، ج ۲، ص ۲۹۸؛ فتح القدير، ج ۲، ص ۵۷؛ ينابيع المودّه، ص ۱۲۰؛ تفسير المنار، ج۶، ص ۴۶۳؛ و قد نقل العلّامه الامينى (رحمه الله) فى كتابه الغدير ۱۶ مصدراً جاء فيها بأنّ شأن نزول آيه إكمال الدين هو يوم الغدير. انظر: الغدير، ج ۱، صص ۴۴۷- ۴۵۸. .

هى تبيين حقائق القرآن للناس.

إذن، فإنّ المرجع لبيان المصاديق والتفاصيل هو الرسول (ص) ، لا القرآن الكريم، ولهذا نجد من نماذج منهجيّه القرآن فى خصوص التعريف بالأشخاص هى كما يلى:

۱. التعريف بالاسم

يقتضى الأمر فى بعض الأحيان أن يذكر القرآن اسم من يبتغى التعريف به، كما فى قوله تعالى: (ومُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ) (الصف: ۶) .

۲. التعريف بالعدد

يقتضى الأمر تارةً أن يشير القرآن الكريم إلى عدد من يبتغى التعريف بهم، كما فى قوله تعالى: (ولَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ وبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً) (المائده: ۱۱) .

۳. التعريف بالصفه

اشاره

يقتضى الأمر فى بعض الأحيان أن يشير القرآن الكريم إلى صفه من يبتغى التعريف بهم، وذلك كما جاء تعريف نبيّنا الكريم (ص) فى التوراه والإنجيل: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْراهِ والْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ ويَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والْأَغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ) (الاعراف: ۱۵۷) .

لذا، حسب هذه المنهجيّه فإنّ تصوّر ذكر القرآن الكريم أسماء الأئمّه الاثنى عشر مع ذكر أسماء آبائهم وأمّهاتهم، هو تصوّرٌ فى غير محلّه؛ لأنّ المصلحه أحياناً تقتضى التعريف بالاسم، وأحياناً أُخرى تقتض-ى التعريف

ص: ۹۹

بالعدد، أو التعريف بالوصف.

وإذا ما تمسّكنا بهذا الأصل وقلنا بلزوم الذكر الص-ريح لجميع المسائل الخلافيّه فى القرآن الكريم؛ لئلّا تكون ذريعه للاختلاف بين المسلمين، فإنّنا سنتوقّع مجىء مئات المسائل الكلاميّه والعقائديّه والفقهيّه والش-رعيّه فى القرآن، وهى مسائل أدّى الاختلاف بين المسلمين حولها إلى الحروب وسفك الدماء والجدل على مرّ العصور؛ ولكنَّ القرآن الكريم لم يبيّن هذه المسائل بشكلٍ صريحٍ وتفصيلىٍّ لتكون هذه الصراحه فصل الخطاب لحلّ النزاعات والاختلافات، ومن هذه المسائل نذكر على سبيل المثال مايلى:

۱. هل صفات الله هى عين ذاته أو زائده على ذاته تعالى؟

۲. ما هى حقيقه صفات الله الخبريّه من قبيل الاستواء على العرش؟

۳. هل كلام الله قديم أو حادث؟

۴. ما هى حدود الجبر والاختيار؟

فهذه المسائل وما شابهها لم ترد فى القرآن بشكل واضحٍ ومفصّلٍ بحيث تكون فصل الخطاب لحلّ النزاع، وإنّما وردت حولها آيات عامّه يمكن الاعتماد عليها فى الاستنباط.

والحكمه هنا هى أن القرآن دعا الناس للتفكّر والتأمّل فى مضامين آياته، وبيان القرآن الكريم لجميع المسائل بصوره تفصيليّهٍ من أجل إرضاء جميع الناس خلاف هذا الأصل القرآنى.

التعريف بالاسم لا يُزيل الاختلاف

يظنّ السائل بأنّه لو ورد فى القرآن اسم أحد الأئمّه أو أسماء الأئمّه فسيكون هذا الأمر سببا لإزاله الاختلاف بين المسلمين، ولكن الواقع خلاف

ص: ۱۰۰

ذلك؛ لأنّه تعالى صرّح فى بعض الموارد بالأسماء، ولكن هذا التصريح لم يحلّ الاختلاف.

ومثال ذلك أنّ بنى إسرائيل طلبوا من الله تعالى أن يعيّن لهم ملكاً يقاتلون تحت إمرته ليستعيدوا أراضيهم المغصوبه ويحرّروا

أسراهم من العدو، قال تعالى: (إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ) (البقره: ۲۴۶) .

فعرّف لهم النبيّ باسمه الصريح، فقال: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً) (البقره: ۲۴۷) .

وهـذا ما يكشف بأنّ الله تعالى عرّف لهم من يجب عليهم طاعته بالاسم، لئلّا تبقى ذريعةٌ لأحـد فى مخالفته أو التمرّد عن أوامره، ولكنهم قالوا: (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا ونَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ولَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ) (البقره: ۲۴۷) .

وهذا ما يكشف بأنّ ذكر الاسم لا يكفى لحلّ الاختلاف، بل إنّ الأمر يستدعى أن يكون المجتمع مستعدّاً لطاعه الأوامر الإلهيّه.

وما يـدريک، لعلّ ذكر اسـماء الأئمّه الاثنى عش-ر كان سـبباً للمزيد من طغيان الحكّام، وسـبباً لقتلهم أبناء الناس للوقوف بوجه ولاده الأئمّه: ، وذلک كما فعل فرعون عندما قتل أبناء بنى إسرائيل وذلک فى قصّه ولاده النبيّ موسى (ع) .

وما يشهد على ذلک أنّ الفتره الزمنيه التى ولد فيها الإمام المهدى (ع) كانت مليئه بالضغوط السياسيّه لدى الحكومه إزاء الشيعه، حيث واجهوا ظلماً واضطهاداً، بحيث كـان الإمـام العسـكرى (ع) تحت الإقامه الجبريّه لفتره طويله، لئلّا يُولـد له مولود، أو ليقتل بمجرّد ولادته.

وفى الختام نلفت الانتباه إلى أنّ القرآن الكريم يشبه الدستور، فكما

لايجب للنـاس أن يتوقّعـوا مـن الدسـتور بيـان التفاصـيل، فعليهم أيضـاً أن لايتوقّعوا من القرآن بيـان الأمـور التفصـيليّه مع ذكر المصاديق والجزئيّات.

ونحن نرى بـأنّ الصـلاه والصـوم والزكـاه على الرغم من أهميّتهمـا بين سـائر الفرائض الشـرعيّه، ولكن مع ذلـک لم يشـر القرآن الكريم إلى جزئيّاتها، بل اكتفى ببيان احكامها العامّه وأوكل أمر بيان الجزئيّات إلى الرسول (ص) .

۳. زمان نشوء الاعتقاد بإمامه الأئمّه الإثنى عشر

السؤال الـذى يُطرح هنـا، هو : متى نشـأ الاعتقاد بإمامه الأئمّه الإثنى عش-ر؟ هل نشأ هـذا الاعتقاد فى عهـد الرساله أو بعـد وفاه الإمام العسكرى (ع) ؟

الجـواب : لقـد طرحت مسـأله خلافه الأئمه الاثنى عشـر من قِبـل قريش - أو من قِبـل بنى هـاشم - زمن الرسول (ص) ، ولكنّ المسلمين تعرّفوا على أسماء هؤلاء الاثنى عشر بصوره تدريجيّه، وكان كلّ إمام يعرّف الإمام والوصى الذى يليه.

وتشـير الأدلّه القاطعه إلى أنّ الرسول (ص) عيّن الإمام على (ع) للإمامه والقياده من بعده فى مناسـباتٍ مختلفهٍ، ولا سـيّما فى يوم الغدير. وأعلن بأنّ إمامه على (ع) أصل من أصول العقائد الإسلاميّه، كما أنّه أخبر المسلمين بإمامه سبطيه الحسن والحسين (ع) ، وقال:

«الحسن والحسين سبطای من هذه الأمّه، إن قاما أو قعدا» . (۱)

ونصّ الإمام الحسين (ع) من بعده على ولده الإمام زين العابدين (ع) ، ثمّ ورد النصّ من بعده على الإمام الباقر (ع) ، ثمّ الامام الصادق (ع) الذى أحيا

۱- البيهقى، الرساله فى نصيحه العامّه، صص ۱۸ و ۶۸؛ إحقاق الحق، ج ۲۶، ص ۴۸. .

ص: ۱۰۲

سنّه الرسول (ص) وكان إمام المحدّثين والفقهاء. وهكذا كان كلّ إمام ينصّ على الإمام الذى من بعده، وذلك على الرغم من وجود الكبت والاضطهاد الذى كانوا يتعرّضون له.

وكان كلّ إمام يقوم بمهامه حسب استطاعته وقدرته، وكان الشيعه أيضاً يعتقدون اعتقاداً جازماً بإمامه من يرد عليهم النصّ.

وظنّ البعض بأنّ العقيده بإمامه إثنى عش-ر إماماً قد نشأت بعد وفاه الإمام العسكرى (ع) ، ولكن هذا الظنّ ناشئ من الجهل بتأريخ التشيّع، ولدينا بحوث مفصّله حول تأريخ التشيّع، وبإمكان من يرغب بتوسيع نطاق معرفته فى هذا المجال أن يراجع هذه البحوث والدراسات.

۴. وصايه الإمام على (ع)

اشاره

السؤال الذى يُطرح هنا، هو : لماذا تعتقدون بأنّ الامام على (ع) هو وصىّ رسول الله (ص) ؟

الجواب : أصبح الإمام على (ع) وصيّاً لرسول الله فى مرحلتين، هما:

أ) مرحله تجهيز الرسول (ص) : أوصى النبىّ (ص) علياً (ع) حين وفاته (ص) بأن يتولّى أمر تغسيله وتكفينه ودفنه؛ ولهذا قام بهذه الأمور بعد وفاه الرسول (ص) ، وهذه الوصايه لاينكرها أحد، وقد اتّفق المسلمون كافهً على أنّ الإمام على (ع) كان وصيّاً من قبل الرسول للقيام بأمر تجهيزه بعد وفاته.

ب) الوصايه فى أمر الخلافه بعد الرسول (ص) : عيّن الرسول (ص) الإمام على (ع) فى مناسباتٍ عديدهٍ وصيّاً من بعده لإداره شؤون الأمّه، ولونظرنا إلى هذه المسأله بنظره بعيده عن التعصّب، نجد أنّ هذه الوصايه كانت واضحه منذ حياه الرسول (ص) ، بحيث كان يُلقّب فى تلك الفتره ب-(الوصى) ، وقد ورد هذا

ص: ۱۰۳

اللقب فى الشعر والنصوص الأدبيّه المنقوله من تلك الفتره.

وينقل المف-سّرون ورواه الحديث فى خصوص قوله تعالى: (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء: ٢١۴) ، مايلى:

فجمع النبى رؤوس بنى هاشم، وقال: «يا بنى عبد المطّلب. . . إنّى قد جئتكم بخير الدنيا والآخره، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرنى على هذا الأمر يكون أخى ووصيى ووزيرى وخليفتى فيكم؟»

ولقد كرّر النبى العباره الأخيره ثلاث مرّات، ولم يجبه فى كلّ مدّهٍ سوى الإمام على (ع) الذى أعلن استعداده. لمؤازره النبى ونصرته.

وفى المره الثالثه، قال النبى (ص) :

«إنّ هذا أخى ووصيّى وخليفتى فيكم، فاستمعوا له وأطيعوا» .

وهذا الحديث معروف بحديث: (يوم الدار) ، وقد نقله الكثير من المحدثين وأهل السير. (١)ولا تقتصر مسأله وصايه الإمام على (ع) على هذا الحديث، بل توجد أحاديث أخرى تثبتها، منها حديث (الثقلين) ، و (السفينه) ، و (الغدير) ، وهى أحاديث معروفه ولم نذكرها مراعاه للاختصار.

وقد قال أميرالمؤمنين فى إحدى خطبه حول أهل بيت الرسول (ص) :

«وفيهم الوصيّه والوراثه» . (٢)

وصايه الإمام على (ع) فى شعر الشعراء المعاصرين لعصر الرساله

كان الإمام على (ع) معروفاً بلقب (الوصى) فى عصر الرساله، وبعد ذلك

١- تاريخ الطبرى، ج ٢، صص ٣١٩ - ٣٢١؛ تاريخ كامل، ابن اثير، ج ١٢، صص ۶٢ و ۶٣؛ منتخب كنزالعمال فى حاشيه مسند أحمد، ج ۵، صص ۴١ - ۴٢.
٢- نهج البلاغه، خطبه ٢. .

العصر أيضاً، وكان شعراء عص-ر النبى (ص) يطلقون هذا اللقب عليه فى أشعارهم، ونذكرفيما يلى نماذج منها:

١. عبد الله بن أبى سفيان:

وصىّ النبىّ المصطفى وابن عمّه

فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه ٢. عبد الرحمن جعيل:

علياً وصيّ المصطفى وابن عمّه

وأوّل من صلّى أخا الدين والتقى ٣. ابن التيهان (شارك فى حرب بدر) :

إنّ الوصى إمامنا وولينا

برح الخفاء وباحت الأسرار وقد نقل ابن أبى الحديد الكثير من الأشعار التى أنشدها شعراء عص-ر الرساله وبعدها، حيث لُقّب فيها الإمام على (ع) ب-(الوصى) . (١)والاعتراض الوحيد الذى يُطرح هنا، هو ما رُوى من أنّ البعض سألوا عائشه عن وصايه الامام على (ع) ، فقالت إنّ رسول الله (ص) لم يوص لأحدٍ عند وفاته. (٢)

ولكنّ هذا الاستدلال لنفى وصايه الإمام على (ع) غير صحيح؛ لأنّه على فرض وفاه الرسول (ص) فى بيت عائشه وأنّه لم يوصِ إلى أحد فى تلك الحاله، فهذا ليس دليلاً على نفى وصايه الإمام على (ع) ؛ لأنّ الرسول (ص) أكّد على هذا الأمر طيله فتره حياته، وإذا لم يذكر الرسول (ص) وصايه الإمام على (ع) فى لحظه مفارقته للحياه، فهذا لا يدلّ على نفى وصايه أحد بعده.

وأمّا الادّعاء بأن رسول الله (ص) لم يوصِ مطلقاً حين وفاته، فهو غير ممكن،

١- انظر: شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١، صص ١۴٣-١۵٠.
٢- انظر: صحيح البخارى، ج ١، كتاب الوصايا، ح ٢٧۴١. .

وكيف يترك الرسول (ص) الوصيّه وهو يقول: «

ما حقّ امرئ مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلّا ووصيّته مكتوبه عنده » . (١)

۵. مَن هم أولو الأمر؟

السؤال الذى يطرح هنا، هو : ما هو الدليل على تفسير (أولى الأمر) فى قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: ۵٩) . بأشخاص معيّنين؟

الجواب : هناك رأيان حول المقصود من (أولى الأمر) ، هما كالتالى:

١. قاده الجيش.

٢. علماء الدين.

وذهب البعض إلى الرأى الأوّل؛ لأنّ لفظ (الأمر) يُف-سّر بإصدار الأوامر، ولكن هذا القول غير صحيح لسببين، هما:

أوّلاً : يحتمل أن يكون المقصود من: (الأمر) هنا هو (الشأن والمنزله) ، ويكون هذا المعنى أكثر انسجاماً مع الرأى الثانى.

ثانياً : هذه الآيه تمهيد للآيه التى تليها، حيث سنذكرها لاحقاً، وشأن نزول الأخيره لا ينسجم مع تفسير أولى الأمر بالأمراء وقاده الجيش، بل ينسجم مع الرأى الثانى.

وذكر المفسّرون حول شأن نزول هذه الآيه مايلى: «كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومه، فقال اليهودى: أحاكم إلى محمّد؛ لأنه علم أنّه لا يقبل الرشوه ولا يجور فى الحكم. فقال المنافق: لا بل بينى وبينك

١- انظر: صحيح البخارى، ج ١، كتاب الوصايا، ح ٢٧٣٨. .

كعب بن الأشرف؛ لأنّه علم أنّه يأخذ الرشوه» . فنزلت الآيه عن اكثر المفسرين. (١)

وبعد هذه الواقعه نزلت آيه أولى الأمر والآيه التى تليها. وآيه أولى الأمر: هى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (النساء: ٥٩) .

الآيه التى تلى آيه أولى الأمر هى: (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً) (النساء: ٦٠) .

بناءاً على ما تقدّم ذكره فإنّ الرأى الثانى هو الصحيح؛ لأنّ مسائل القضاء ترتبط بعلماء الدين ولا صله لها بقاده الجيش. ولكن الكلام يدور هنا حول مصداق هؤلاء العلماء.

فهل الآيه تشمل جميع العلماء أو تقصد مجموعه خاصّه متّصفه بالعصمه؟

والجواب كامن فى نفس هذه الآيه، فنقول:

١. لفظ: (أُولِي الْأَمْرِ) معطوف على لفظ (الرَّسُولَ) ، وعامل النصب فى كليهما هو فعل واحد، قال تعالى: (أَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) . وهذا ما يكشف بأنّ المعطوف (أُولِي الْأَمْرِ) فى مرحله القضاء والحكم يكون فى رتبه واحده مع (الرَّسُولَ) ، فكما أنّ الرسول معصوم من الذنب والاشتباه كذلك أولو الأمر معصومون، ومن هنا نستنتج بانّ المقصود من علماء الدين فى هذه الآيه هم العلماء المعصومون.

١- مجمع البيان، ج ٢، ص ٢۶۴. .

٢. الطاعه المذكوره فی هذه الآیه لأولی الأمر، مطلقهٌ وغیر محدودهٍ أو مقیّدهٍ، مثلاً لم یرد فیها: (أطیعوا أولی الأمر ما لم تکن فی أوامرهم معصیه لله) ، فلوکانت الطاعه مقیّده لصحّ القول بأنّ (أُولِی الْأَمْرِ) غیر معصومین.

ولکن بما أنّ طاعه هؤلاء مطلقه فإنّها تکشف عن لزوم عصمه أولی الأمر، وأنّ أوامرهم لا تخالف الشرع أبداً ولا یعتریها الخطأ والاشتباه.

لذلک نجد أنّ الله تعالی جعل طاعه الوالدین محدوده، فقال: (ووَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حُسْناً وإِنْ جاهَداکَ لِتُشْرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما) (العنکبوت: ٨) .

فطاعه الوالدین فی هذه الآیه مقیّدهٌ، بینما طاعه أولی الأمر مطلقهٌ، وهذا یدلّ علی أنّ أولی الأمر لهم خصوصیّه تختلف عن الوالدین، بحیث أصبحت طاعتهم مطلقه، وهذه الخصوصیّه هی العصمه.

وکما نعلم، فلا یجوز لنا إطاعه أیّ مخلوقٍ فیما یخالف الش-رع، کما قال رسول الله (ص) :

«لا طاعه لمخلوق فی معصیته الخالق» . (١)

وقال تعالی: (إِنَّ اللهَ لا یَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ) (الأعراف: ٢٨) .

فمع لحاظ هاذین النصّین نستنتج التالی:

أ) طاعه أولی الأمر فی الآیه مطلقهٌ وغیر مقیّدهٍ.

ب) طاعه أیّ شخص فی أمرٍ مخالفٍ للشرع، حرامٌ.

النتیجه : أولو الأمر لا یأمرون بشیء فیه خلاف الشرع أبداً، فلوکان من الممکن أن تصدر منهم أوامر تخالف الشرع لما أمر الله العباد بطاعتهم بصوره مطلقه.

١- وسائل الشیعه، ج ٨، ص ٥٩ .

ومن هنا تثبت عصمه أولی الأمر، وحیث لم تثبت العصمه لأحد بعد رسول الله إلا للأئمّه الاثنی عشر (ع) ، یکون المقصود من (أُولِی الْأَمْرِ) هو الأئمّه الإثنی عشر: .

وقد ورد عن أئمّه أهل البیت (علیهم السلام) أکثر من ثلاثین حدیثاً صحیحاً ومرسلاً حول تفسیر: (أُولِی الْأَمْرِ) ، وکلّها تؤکّد علی أنّ أولی الأمر هم الأئمّه الإثنی عشر: . (١)

۶. أسطوره خان الأمين

السؤال الذى يطرح هنا، هو : هل صحيح أنّ الشيعه يكرّرون بعد صلاتهم عباره (خانَ الأمينُ) ثلاث مرّاتٍ؟

هـذا السؤال يتضـمّن افتراءاً نسبه البعض إلى أتبـاع مـذهب أهـل البيت (عليهم السـلام) من أجل تشويه سـمعتهم، ولهـذا الإفتراء جـذور قـد لا يعلمها السائل، وذلك أنّ اليهود كانوا يعتقـدون بأنّ النبوه يجب أن تكون فى سـلاله يعقوب، ولايصحّ لها الخروج من هـذه السـلاله. ولكن عنـدما بُعث رسول الله (ص) وجـاء بـبراهين قـاطعه على صـحّه نبوّته، حـاول اليهود وضع عقبـاتٍ أمـامه فـاتهموا جبرئيـل بالخيـانه وقـالوا: (خـان الأمين! خـان الأمين! خان الأمين!) ؛ لأنّه كان من المفروض أن يعطى النبوّه لأحـد أبناء إسحاق، ولكّنه نقلها إلى رجلٍ من أبناء إسماعيل (ع) ، وهذا الأمر هو سبب عداوه اليهود الشديده مع جبرئيل الأمين.

وقال الفخر الرازى فى تفسيره: «زعمت اليهود أنّ جبرئيل (ع) عدوّنا،

۱- انظر: تفسير البرهان، ج ۱، صص ۳۸۱- ۳۸۶ .

أُمر أن يجعل النبوّه فينا فجعلها فى غيرنا، فأنزل الله هذه الآيات» . (۱)

وتظاهر اليهود بمحبّه ميكائيل، فواجههم القرآن الكريم بشـدّه، فقال تعالى: (قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وهُدىً وبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ) (البقره: ۹۷) .

فانظر ما يقوله اليهود ضدّ المسلمين، وكيف ينسبه البعض إلى الشيعه؟ !

وكلّ من ينسب هذا البهتان إلى الشيعه، فهو لا يتقى الله، وهو من مُناهضى وحده المسلمين.

وصـلاه الشيعه فى يومنا هذا لا تخفى على أحد، فملايين الشيعه يؤدّون صلاتهم أمام أنظار العالم، ومن المستحيل أن تجد واحداً منهم يذكر هذه العباره، بل الجميع يرفعون أيديهم ويقولون (الله اكبر) ثلاث مرّات، بل إنّ غالبيه الشـيعه لم يسـمعوا بهذه العباره أبداً.

۷- عصمه الأئمّه

السؤال الذى يطرح هنا، هو : ما هو الدليل على عصمه أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) ؟

الجواب : العصـمه كيفمـا عرّفناهـا فهى أوّلاً ـ وبالـذات لله تعـالى، فهو تعـالى فى ظلّ علمه الأزلى، منزّه عن الخطأ والاشـتباه، وهو الحكيم المنزّه عن الأفعال التى لا تليق بشأنه.

وهذا التنزيه غير مختصّ بعصـمه الله تعالى، بل يشمل سائر الصفات الإلهيّه، فهو تعالى العالم والقادر والحىّ بالذات، وعلم وقدره

وحياه كلّ ما

١- التفسير الكبير، ج ٣، ص ١٩٥. .

ص: ١١٠

سواه منه تعالى.

بعباره أخرى : فإنّه تعالى هو الغنىّ المطلق، وما سواه فقيرٌ بالذات.

وقد قال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ واللهُ هو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (فاطر: ١٥) .

وهذا الغنى الإلهى بالذات هو السبب فى غنى كلّ من سواه، وهو مصدر حياه جميع المخلوقات وهو الذى يفيض على عباده العلم والقدره.

ومسأله العصمه من هذا القبيل أيضاً، فهى قدرهٌ يمنحها الله لبعض عباده حسب اقتضاء المصلحه، فيصطفيهم لتعليم عباده وهدايتهم إلى الحقّ، فيدعمهم بقوّهٍ تصونهم من الخطأ والاشتباه دون أن يسلب منهم الإراده والاختيار.

وهذه القوّه التى يُطلق عليها (روح القدس) قد تكون كامنهً فى ذات المعصوم أو قد تكون مُهيّأهً له فى الخارج، كالملاك الذى يصونه من الزَّلل. لذا فإنّ العصمه الذاتيّه فى عين اختصاصها بالله تعالى، فهى تصون الأنبياء من الوقوع فى الخطأ ومن ارتكاب المعاصى بأنواعها؛ وهذا ينطبق مع معتقدات جميع المسلمين حول عصمه نبيّنا الكريم (ص) الذى هو مصونٌ من الخطأ والذنب. وقد ذكرت أدلّه عصمته فى مختلف مصادر المسلمين العقائديّه، شيعهً وأشاعرهً ومعتزلهً، وغيرهم.

وأما عصمه الأئمّه الإثنى عشر: عن طريق الأدلّه المنقوله، فهى قطعيّه، نذكر هنا بعضها:

١. الأئمّه: ، كما ورد فى حديث الثقلين، هم عِدْلُ القرآن، وهذا ما يلازم المساواه والتشابه بينهم وبين القرآن الكريم، وبما أنّ القرآن هو كلام الله وهو معصوم ومنزّه من الخطأ، فلهذا يكون عِدله أيضاً معصوماً ومنزهاً عن الخطأ.

ص: ١١١

وقال الرسول (ص) إنّ القرآن والعتره لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، فلوجاز صدور الخطأ من العتره، فهذا لافترقت عن القرآن.

فهل يعقل صدور الخطأ ممّن عرّفهم الرسول (ص) ، بأنّهم ما إن تمسّك بهم العباد لن يضلّوا أبداً؟ !

٢. آيه التطهير التى تتحدّث عن أهل البيت (عليهم السلام) ، قد بيّنت أنّ إراده الله التكوينيّه والقطعيّه تعلّقت بتطهيرهم من جميع أنواع الرجس.

والمقصود من إراده الله هو إذهاب الرجس عن أهل البيت (عليهم السلام) وتطهيرهم، حيث يُفسّر هذا المعنى بتفسيرين، هما:

أ) الإراده التشريعه. أى أنّ الله شاء تطهير أهل البيت (عليهم السلام) من الرجس شرعاً.

ب) الإراده التكوينيّه. أى أنّ الله طهّر اهل البيت (عليهم السلام) من الرجس ذاتاً فى عالم التكوين.

الإراده وفق المعنى الأوّل غير مختصّه بأهل البيت (عليهم السلام) ، بل قد تشمل جميع الناس؛ لأنّ الله أمر جميع عباده أن يبتعدوا عن الرجس؛ بينما آيه التطهير مختصّه بأهل البيت (عليهم السلام) . إذ قال تعالى: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) .

فالإراده المقصوده هنا إراده خاصّه، ولهذا لا يمكن اعتبار هذه الإراده تشريعيّةً تشمل جميع البشر.

لذا، نستنتج أنّ المقصود من الإراده الإلهيّه هنا هى الإراده التكوينيّه، ولايخفى بأنّ هذه الإراده فى خصوص أفعال أهل البيت (عليهم السلام) تعنى منحهم مقوّمات الطهاره، وهى فى نفس الحين لا تعنى سلب قدرتهم عن فعل القبيح.

وشبّه الشيخ المفيد \ العصمه بقوله: «مثل إعطائنا رجلاً غريقاً حبلاً ليتشبث به فيسلم، فهو إذا أمسكه واعتصم به سمّى ذلك الشيء عصمه له، لما تشبث وسلم به من الغرق، ولو لم يعتصم به لم يسمَّ عصمه» . (١)

والأدلّه التى تثبت عصمه الأئمّهالاثنى عش-ر: كثيره جدّاً، ولكنّنا لم نذكرها فى هذا المقام مراعاةً للاختصار.

٨. علم الائمّه: بالغيب

السؤال: العلم بالغيب مختصٌّ بالله تعالى، فكيف يمكن أن يعلم به الأنبياء وأئمّه الشيعه؟

الجواب: العلم بالغيب تارةً يطلق على العلم بالغيب الذاتى الذى ينبع من الذات، وهو غير اكتسابى، وليس له حدودٌ تقيّده؛ وهذا العلم مختصّ بالله، ولا يناظره فى ذلك أىّ كائنٍ كان. لأنّ كلّ ما سواه فقير بالذات، وكلّ من يتّصف بالعلم فإنّه يستمدّ علمه من الله، ولا يوجد فرق فى هذا المقام بين العلم بالأمور الحسّيه أوالأمور الخفيّه. فالإنسان لا يبصر ولا يسمع إلّا بإراده الله تعالى وقدرته.

وتاره يطلق على العلم بالغيب الغير الذاتى وهو اكتسابى.

وهو إذا تعلقت الإراده الإلهيّه - حسب اقتضاء المصلحه - تعلّق علم الغيب بأحد الأولياء، فهذا الأمر ممكن ولا يوجد أىّ مانع من تحقّقه، ولايوجد محذورٌ فى أن يُطلع الله بعض العباد العاديّين على ما عنده من علم الغيب، فكيف إذا أراد أن يطلع الأنبياء والأولياء على هذا العلم؟

١- أوائل المقالات، ص ١٣٥. .

ص: ١١٣

وبما أنّ المخاطبين من كلامنا هـذا يُـذعنون لما جاء فى كتاب الله تعالى، نقلو إنّ القرآن الكريم قـد صـرّح به وذلك فى الآيات التى تشير إلى إنباء الرسل والأنبياء على الأمور الغيبيّه، وكلّ من يتأمّل فى هذه الآيات، فإنّه لا يسعه إنكار هذه الحقيقه.

وتنقسم الآيات القرآنيّه الوارده فى هذا المجال إلى قسمين، كما يلى:

القسم الأوّل : الآيات التى تصرّح بعلم الأنبياء بالأمور الغيبيّه وتثبت أن الله تعالى أطّلع أنبياءه على الغيب.

القسم الثـانى : الآيـات التى تكشف بوضوح بأنّ الأنبياء أخبروا فى بعض الموارد الخاصّه عن الغيب، وهـذه الآيات متمّمه للقسـم الأوّل فى إثبات علم الأنبياء بالغيب.

أمّا آيات القسم الأوّل، فهى:

أ) (ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ولكِنَّ اللهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ وإِنْ تُؤْمِنُوا وتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٧٩) .

والمقصود من الآـيه أنّه تعـالى لاـ يرضـى بعـدم تمييز الخـبيث عن الطيب والمنـافق عن المؤمن، ويفعـل الله من أجـل تحقّق هـذا الهدف أمرين هما:

١. الاختبار الذى يتميّز فيه المؤمن الحقيقىّ من المنافق، فقال تعالى:

(ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) .

٢. إخبار بعض الرُّسل بالغيب ليعلموا واقع كلّ إنسانٍ وليتمكنوا من تمييز الخبيث من الطيّب، فقال تعالى:

(وما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ولكِنَّ اللهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ) .

نستنتج من هذه الآيه أنّ الله يصطفى بعض رسله ليطلعهم على الغيب،

ص: ١١٤

وهذا دليل على علمهم بالغيب.

وإذا تأمّلنا بفحوى هذه الآيه، سـنلاحظ أنّ هذه الفضيله ليست لجميع الأنبياء، وإنّما تختصّ ببعضهم دون البعض الآخر، وعباره: (مِنْ رُسُـلِهِ) هى الشاهـد على هـذا الأـمر؛ لأـنّ لفـظ: (مِنْ) يـدلّ على التبعيض، والله تعالى إنّما: (يَجْتَبِى مِنْ رُسُـلِهِ) ليطلعهم على

الغيب.

ب) (عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) (الجن: ۲۶ و ۲۷) .

ويكشف مضمون هذه الآيه بأنّ العلم بالغيب بذاته مختصّ بالله تعالى، وأنّه تعالى لا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسولٍ.

۹. الاخبار الغيبيّه عن الأنبياء

اشاره

وأمّا آيات القسم الثانى، فهى تتضمّن الأخبار الغيبيّه التى حُكيت عن الأنبياء، ولا يخفى بأنّ الأنبياء لا يخبرون بالغيب إلّا عند اقتضاء المصلحه. ونذكر من هذه الآيات مايلى:

۱. النبى نوح (ع) وإخباره بالغيب

قال النبيّ نوح (ع) : (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً) (نوح: ۲۶ و ۲۷) .

ونجد فى هذه الآيه أنّ النبيّ نوح أخبر عن أمرين من أمور الغيب، هما:

أوّلاً : سوف لا يؤمن أحد من قومه فى المستقبل.

ثانياً : سوف لا يلد أحد من قومه إلّا فاجراً كفّاراً.

ص: ۱۱۵

۲. يعقوب ويوسف والإخبار بالغيب

إنّ سوره يوسف مليئه بالأخبار الغيبيّه المرتبطه بالنبيّ يعقوب وابنه العزيز يوسف (ع) . ولوتأمّلنا فى هذه السوره، سنجد العديد من الآيات الداله على علم يعقوب ويوسف بالغيب، نذكر منها موردين فقط:

المورد الأوّل :

عرّف يوسف نفسه فى اللقاء الأخير الذى كان له مع إخوته وأعطاهم قميصه ليكون البشاره إلى أبيهم، وفور خروجهم من مصر، قال يعقوب:

(إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَولا أَنْ تُفَنِّدُونِ) (يوسف: ۹۵) .

وليس إخبار يعقوب عن ريح يوسف، وهو يبعد عنه مسافةً شاسعةً إلّا إخبارٌ بالغيب.

المورد الثانى :

عندما ذكر صاحبا يوسف فى السجن ماشاهدا فى منامهما له، فقد فسّر لها ذلك بصوره صحيحه، وهذا دليلٌ على علمه بالغيب فى هذا الخصوص، حيث قال لهما: (أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً وأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) (يوسف: ۴۱) .

۳. إن الاخبار بالغيب لم يكن مختصّاً بالانبياء، بل نجد فى القرآن شواهد على إخبار غير الأنبياء بالغيب، كما أخبر صاحب موسى ومعلّمه عن ثلاثه حوادث ترتبط بالغيب، وهى:

أوّلاً: خرق السفينه.

ثانياً: قتل الغلام.

ثالثاً: بناء الجدار. (۱)

۱- انظر: (الكهف: ۶۰-۸۲) . .

۳. السيّد المسيح وإخباره بالغيب

السيّد المسيح عيسى بن مريم (ع) هو حلقه الوصل بين الأنبياء الماضين ورسول الله (ص) هو أحد المخبرين بالغيب، ووصف نفسه بقوله: (وأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وما تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ) (آل عمران: ۴۹) .

ومن معاجزه: (أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ وأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ وأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وما تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ) (الصف: ۶) .

وهذه الآيات تدلّ بوضوح علم بعض الرسل والأولياء بالغيب. ونتطرّق فيما يلى إلى الحديث عن علم الرسول (ص) والأئمّه الاثنى عشر: بالغيب:

۴. إخبار رسول الله (ص) بالغيب

۱. الإخبار باستشهاد أمير المؤمنين (ع) على يد أشقى الأشقياء

رأى الإمام على (ع) الرسول (ص) ذات يوم باكياً، فاستفسر منه عن سبب ذلك، فقال (ص) :

يا على، ابكى لما يستحلّ منك فى هذا الشهر، كأنّى بك وأنت تريد أن تصلّى، وقد انبعث أشقى الأوّلين والأخرين، شقيق عاقر

ناقه صالح، يض-ربک ضربه علی رأسک فيخضب بها لحيتک. (۱)

۲. الإخبار بوفاه أبی ذر وحيداً غريباً

جاء فی الحديث الشريف أنّ أباذر تأخّر عن الرکب فی إحدی غزوات الرسول (ص) ، وتمرّدت ناقته عن الحرکه ولم تتحرّک.

فلمّا أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله علی ظهره، ثمّ خرج يتبع أثر رسول الله (ص)

۱- تاريخ بغداد، ج ۱، ص ۱۳۵؛ الکامل للمبرّد، ج ۲، ص ۱۳۲؛ نهج البلاغه: خطبه ۱۵۱. .

ماشياً ونزل رسول الله فی بعض منازله، فنظر ناظرٌ من المسلمين، فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الرجل يمشی علی الطريق وحده، فقال رسول الله (ص) : «أبا ذر» . فلمّا تأمّله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبوذر. فقال رسول الله: «رحم الله أباذر، يمش-ی وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده» . (۱)

وفعلاً فقد أثبت المستقبل أنّ إخبار الرسول (ص) عن الغيب کان صحيحاً وذلک أنّ أباذر بقی فی منطقه الربذه، وتوفّی هناک وحيداً بعد أن عاش هناک فتره يُرثی لحاله فيها، ولم يکن معه إلّا ابنته.

وهاذان الموردان يدلّان علی إخبار الرسول (ص) عن الغيب، ونکتفی بهذا المقدار مراعاه للاختصار، وإلّا فالأخبار المذکوره حول علم رسول الله (ص) بالغيب کثيره، بحيث يحتاج بيانها إلی تأليف کتاب مستقلّ فی هذا المجال.

نستنتج من ذلک أنّ : أولياء الله يهذّبون أنفسهم، فيبلغون فی صفاء الس-ريره إلی درجهٍ يطلعهم الله فيها علی الغيب، فيخبرون الناس بالغيب. وقد يکون سبب علمهم بالغيب لأنّهم محدَّثون، أی أنّ الملائکه تحدّثهم وتخبرهم بالغيب بإذن الله تعالی.

۵. أميرالمؤمنين (ع) وإخباراته بالغيب

اشاره

أخبر أميرالمؤمنين (ع) والأئمّه الأحد عش-ر: بالغيب لأنّهم کانوا محدَّثين، ومن نماذج إخبار الإمام علی (ع) بالغيب مايلی:

۱. غرق مدينه البصره

فتح الإمام علی (ع) مدينه البصره فی حرب الجمل، وذلک بعد أن قض-ی

۱- السيره لابن هشام، ج ۲، ص ۵۲۳. .

على جيش العدووبعد أن قُتل طلحه والزبير. فدخل بعدها الإمام (ع) المسجد وارتقى المنبر وخطب خطبةً، منها:

«وأيمُ اللهِ، لَتغرقَنَّ بلدتكم حتّى كأنِّى اَنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينه، أو نعامه جاثمه» . (۱)

وقال ابن أبى الحديد فى هذا الصدد:

فإنّ البصره غرقت مرتين: مرّه فى أيّام القادر بالله، ومرّه فى أيّام القائم بالله، غرقت بأجمعها، ولم يبقَ منها إلّا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر - حسب ما أخبر به أميرالمؤمنين (ع) - [وقد] جاءها الماء من بحر فارس، من جهه الموضع المعروف الآن بجزيره الفرس، ومن جهه الجبل المعروف بجبل السنام وخرجت دورها، وغرقت كلّ ما فى ضمنها وهلك كثيراً من أهلها. (۲)

۲. سيطره معاويه على أرض العراق

أخبر الإمام على (ع) بأنّه سيُلاقى ربَّه قبل معاويه، وأنبأ بأنّ سوف يسيطر من بعده على العراق، لكنّه (ع) لم يصرّح باسم معاويه، بل أشار إلى صفات لاتنطبق إلّا على معاويه، حيث قال (ع) :

أما إنّه سيظهر عليكم بعدى رجل. . . ألاَ وإنّه سيأمركم بسبّى والبراءه منّى؛ فأمّا السبّ فسبّونى، فإنّه لى زكاه ولكم نجاه؛ وأمّا البراءه فلا تبرّؤوا منى، فإنّى وُلدت على الفطره وسبقت إلى الإيمان والهجره. (۳)

۱- نهج البلاغه: خطبه ۱۲.

۲- شرح ابن أبى الحديد، ج ۱، ص ۲۵۳.

۳- المصدر نفسه. .

۳. الإخبار بمصير الخوارج فى حرب النهروان

أتمّ الامام على (ع) الحجه على الخوارج قبل حرب النهروان، فلمّا عزم على حربهم، قال لاصحابه:

«والله، لا يفلت منهم عش-ره، ولا يهلك منكم عشره» . (۱)

قال ابن أبى الحديد فى هذا الصدد: «هذا الخبر من الأخبار التى تكاد تكون متواتره لاشتهاره ونقل الناس كافه له، وهو من معجزاته وأخباره المفصّله عن الغيوب» . (۲)

۱- نهج البلاغه، خطبه ۵۸.

۲- المصدر نفسه. .

ص: ۱۲۰

ص: ۱۲۱

الفصل الخامس: أهل البيت (عليهم السلام)

۱. من هُم أهل البيت حسب اعتقاد الشيعه؟

اشاره

لقد تحدّث القرآن عن إراده الله لإذهاب الرجس عن أهل البيت (عليهم السلام) فالسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام: من هم أهل البيت حسب اعتقاد الشيعه؟

الجواب : السائل يقصد قوله تعالى: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: ۳۳) .

وللحديث عن آيه التطهير يتطلّب الأمر تسليط الضوء على أمرين، هما:

۱. المقصود من أهل البيت وفى أىّ موارد يستعمل العرب هذا المصطلح؟

۲. من هم الذين نزلت بشأنهم هذه الآيه؟

بيان مفهوم (أَهْلَ الْبَيْتِ)

مصطلح (أَهْلَ الْبَيْتِ) مركب من كلمتين، هما:

۱. أهل.

۲. بيت.

ص: ۱۲۲

ومفهوم كلّ واحده من هاتين الكلمتين واضح ولا غبار عليه، ولا حاجه فى هذا المقام إلى مراجعه المعاجم اللغوّيه. وتستخدم كلمه الأهل فى موارد عديده، منها:

أهل الأمر: من بأيديهم زمام أمور السلطه.

أهل الإنجيل: أتباع الإنجيل، وهم النصارى.

أهل الكتاب: أتباع الكتب السماويّه.

أهل الإسلام: أتباع دين الإسلام.

أهل الرجل: الذين لهم قرابه معه.

أهل البيت (عليهم السلام) الذين تربطهم قرابه ويعيشون فى بيت واحد بصوره مشتركه.

أهل الماء: الكائنات الحيّه التى تعيش فى الماء أو تعيش فى جواره.

إذن، نستنتج ممّا ذكر أنّ كلمه أهل تضاف إلى ما ينتسب إليه الإنسان أو ألى ما يختصّ به أو إلى ما يستأنس به.

ولهذا قال ابن منظور فى لسان العرب «أهلُ الرجل أخصّ الناس به» . (۱)

بعباره أخرى :

عندما يُقال (أهل الرجل) فالمقصود هو المرتبطون به والذين يعتبرون من أتباعه وذويه، ومن هذا المنطلق يجب القول بأنّ أهل البيت مفهوم واسع يشمل أبناء وزوجات الإنسان.

ولهذا استخدم القرآن هذا المصطلح بشأن زوجه النبى إبراهيم (ع) ، فقد قال تعالى حكايةً عن خطاب الملائكه لإبراهيم (ع) : (رَحْمَتُ اللهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) (هود: ۷۴) .

۱- لسان العرب، ج ۱، ص ۲۹. .

من هم المقصودون من أهل البيت فى آيه التطهير؟

اشاره

ذكرنا أن مصطلح أهل البيت (عليهم السلام) هو لفظٌ عامٌّ يشمل الأبناء والزوجات، لذا، فإنّنا إذا لم نجد دليلًا يخرج زوجات النبىّ (ص) من أهل البيت -فى آيه التطهير- سنحكم بأنهنّ من أهل البيت (عليهم السلام) ولكن لدينا أدلّهٌ وقرائن كثيره تدلّ على تخصيص أهل البيت فى آيه التطهير، برسول الله (ص) وعلى وفاطمه والحسن والحسين: فقط، لذلك يثبت لنا أنّ زوجات النبىّ (ص) لسن من أهل البيت فى آيه التطهير. ومن هذه الشواهد والقرائن نذكر مايلى:

۱. لفظ (البيت) يدلّ على معنىً معيّنٍ

الألف واللام فی (البیت) لیست للجنس أو الاستغراق، وإنّما هی للعهد، وتعنی الإشاره إلی البیت المعهود؛ إذ لو کان المقصود من الآیه بیوت زوجات النبیّ (ص) للزم أن یُقال: أهل البیوت، لأنّ سیاق الأیه یدلّ عل الجمع لا المفرد.

فقد قال تعالی: (وقَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّهِ الْأُولی) (الأحزاب: ۳۳) .

وعباره (بُیُوتِکُنَّ) إشاره إلی مجموع غرف نساء النبیّ (ص) ، حیث کانت کلّ غرفه متعلّقه بواحده منهنّ، ولکن آیه التطهیر تشیر إلی بیت واحد، وهذا یلزم تحدید بیتٍ واحدٍ، ولا یصحّ القول بأنّ المقصود من البیت هو واحد من البیوت المرتبطه بنساء النبیّ (ص) ، لأنّ مفهوم الآیه فی هذه الحاله یکون مبهماً وغامضاً ومجملاً.

کما لا توجد أیّه قرینه علی رجحان أحد بیوت نساء النبیّ (ص) علی الآخر.

إذن، نستنتج أنّ هذا البیت یجب أن یکون معزولاً عن بیوت زوجات

ص: ۱۲۴

النبیّ (ص) ، وهو لیس سوی بیت فاطمه (س) ؛ لأنّه متعلّق بالنبیّ (ص) وفی نفس الوقت یعیش فیه أربعه أشخاص بصوره مشترکه.

ویؤیّد هذا الرأی حدیثٌ نقله السیوطی فی تفسیر آیه: (فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) حیث قال:

عن أنس بن مالک قال: قرأ رسول الله هذه الآیه: (فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) فقام إلیه رجل، فقال: أیّ بیوت هذه یا رسول الله؟ قال: «بیوت الأنبیاء» .

فقام إلیه أبوبکر، فقال: یا رسول الله، هذا البیت منها؟ - مشیراً إلی بیت علی وفاطمه [(ع)] -.

قال: «نعم، من أفاضلها» . (۱)

۲. استخدام ضمائر مذکّره

تحدّث القرآن الکریم فی سوره الأحزاب من الآیه ۲۹ حتّی الآیه ۳۴ حول نساء النبیّ (ص) ، وجاءت الضمائر فی جمیع هذه الآیات بصیغه التأنیث لأنّها مختصّه بنساء النبیّ (ص) وهذا ینطبق مع قواعد النحو فی اللغه العربیّه، وقد تضمّنت هذه الآیات أکثر من عشرین ضمیراً مؤنّثاً منها: (کُنْتُنَّ) ، (فَتَعالَیْنَ) ، (أُمَتِّعْکُنَّ) ، (أُسَرِّحْکُنَّ) ، (تُرِدْنَ) ، (لَسْتُنَّ) ، (اتَّقَیْتُنَّ) ، (فَلا تَخْضَعْنَ) ، (قُلْنَ) ، (قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ) ، (تَبَرَّجْنَ) ، (آتِینَ) ، (أَطِعْنَ) ، و (اذْکُرْنَ) ، إلخ.

ولکن عندما بدأ الحدیث عن (أهل البیت) فی آیه التطهیر، وهی الآیه ۳۳

۱- الدر المنثور، ج ۶، ص ۲۰۳؛ تفسیر سوره النور، روح المعانی، ج ۱۸، ص ۱۷۴. .

من سوره الأحزاب تغيّر المخاطب، وتغيّرت الضمائر من المؤنث إلى المذكر. وقال تعالى: (عَنْكُمُ الرِّجْسَ) ، و (يُطَهِّرَكُمْ) وهنا ينبغى علينا البحث من أجل معرفه أسباب هذا التغيير.

وسبب هذا التغيير هو أنّ الآيه ۳۳ نزلت فى حقّ غير نساء النبى (ص) .

وأمّا بالنسبه إلى سبب مجيئها ضمن الآيات المرتبطه بنساء النبى (ص) ، فسوف نتحدّث عنه لاحقاً.

۳. أهل البيت فى أحاديث الرسول (ص)

تؤكد الأحاديث المتظافره، بل المتواتره عن الرسول (ص) على أنّ المقصود من آيه التطهير هو النبىّ (ص) فقط والساكنون فى بيت فاطمه، وقد نقل هذه الأحاديث مجموعه من الصحابه عن النبى (ص) ، منهم: ۱-أبوسعيد الخدرى، ۲-أنس بن مالك، ۳-أبوإسحاق، ۴-واثله بن الأسقع، ۵- أبوهريره، ۶-أبوالحمراء، ۷- سعد بن أبى الوقّاص، ۸-عائشه، ۹- أمّ سلمه، ۱۰-ابن عبّاس.

وقد بيّن رسول الله (ص) فى هذه الأحاديث المقصود من اهل البيت (عليهم السلام) ، ونذكر فيما يلى أمرين يثبتان ذلك، هما:

الأوّل : ألقى رسول الله على اربعه من أهل بيته: عباءه أو قطيفته، وهم على وفاطمه والحسن والحسين: وعندما طلبت أمّ سلمه أن تلتحق بهم تحت الكساء، لم يوافق الرسول (ص) ، وقال:

«اللهّم، هؤلاء أهل بيتى، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» . (۱)

۱- تفسير الطبرى، ج ۱۲، ص ۹. .

الثانى: قصد الرسول (ص) بيت فاطمه (س) مدّه ثمانيه أشهر عندما كان يذهب إلى المسجد لصلاه الصبح، وكان يدعو أهله إلى الصلاه، ثمّ تلا هذه الآيه: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ. . .) .

وهاذان الموقفان من الرسول (ص) يكشفان معنى (اهل البيت) فى آيه التطهير على نحوالتعيين.

ومن الأحاديث الوارده فى هذا المجال نذكر مايلى:

قال أبوسعيد الخدرى: قال رسول الله (ص) : «نزلت هذه الآيه فى خمسه: فىّ، وفى على، وحسن وحسين وفاطمه» . (۱)

ورُوى عن أمّ سلمه أنّها قالت: فى بيتى نزلت: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) . [و] جائت فاطمه إلى رسول الله ببرمه فيها عصيره تحلّها على طبق، فوضعته بين يديه، فقال: «أين ابن عمّك وابناك؟» . فقالت: «فى البيت» . فقال: «ادعيهم» .

(۲)فجاءت تقود ابنيها كلّ واحد منهما فی يد وعلی يمشی فی أثرهما حتی دخلوا علی رسول الله فأجلسهما فی حجره، وجلس علی [(ع)] عن يمينه، وجلست فاطمه [(س)] عن يساره. (۳)

فبينما هم يأكلون إذ نزلت علی رسول الله (ص) : (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) . فأخذ النبیّ (ص) بفضله ازاره فغشاهم إيّاها، ثمّ أخرج يده من الكساء، وأومأ بها إلی السماء، ثمّ قال: «اللّهم، هؤلاء أهل بيتی وخاصّتی، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» .

۱- تفسير الطبری، ج ۱۲، ص ۹.

۲- المصدر نفسه، ج ۱۰، ص ۱۰.

۳- الدر المنثور، ج ۵، ص ۳۷۶. .

قالها ثلاث مرّات.

قالت أمّ سلمه: فأدخلت رأسی فی الستر، فقلت: يا رسول الله، وأنا معكم؟ فقال: «إنّك [إلی] خير» . (۱)

وقد ورد مضمون هذه القصّه فی مصادر الحديث والتفسير، وكلّ ما رُوی يشير إلی أنّ المقصود من (أَهْلَ الْبَيْتِ) فی آيه التطهير خمسه لا غير.

وحتی أفضل وأطهر زوجات النبیّ (ص) أيضاً لم تشارك هؤلاء فی هذه الفضيله.

وكان الرسول (ص) أربعين يوماً حسب روايه أو ثمانيه أشهر حسب روايه أخری، أو تسعه أشهر حسب روايه ثالثه، يقف عند باب بيت علی (ع) عندما كان يقصد المسجد لصلاه الصبح، ويقول: «الصلاه، الصلاه، (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) » . (۲)

فمع لحاظ هذه الأحاديث هل يمكن ادّعاء تفسيرٍ آخر لآيه التطهير؟

والغريب هو ما ادّعاه رئيس تحرير مجله (ترجمان الحديث) فی لاهور باكستان، وهو إحسان إلهی ظهير، حيث يعتبر نفسه مترجماً لأحاديث رسول الله (ص) ، حيث تجاهل جميع هذه الأحاديث التی تؤكّد علی بيان مصداق (أَهْلَ الْبَيْتِ) فی آيه التطهير، واستند فی كتابه (الشيعه وأهل البيت) إلی روايه عكرمه - وهو من الخوارج - وادّعی أنّ المقصود من (أَهْلَ الْبَيْتِ) فی هذه الآيه نساء النبیّ (ص) ، وقال إنّه يصحّ الحاق الأبناء أيضاً ب- (أَهْلَ الْبَيْتِ) علی نحو المجاز.

۱- الدر المنثور، ج ۵، صص ۳۷۶ - ۳۷۷؛ تفسير الطبری، ج ۱۰، ص ۱۰.

۲- راجع: تفسير الطبری، ج ۲۴، صص ۵-۷؛ تفسير الدر المنثور، ج ۵، صص ۱۹۸ و ۱۹۹. .

ص: ۱۲۸

والسؤال الآخر هو: لماذا جاءت آيه التطهير فی سياق الآيات المرتبطه بنساء النبی (ص) ؟

الجواب: نری فی القرآن الكريم أحياناً، أنّه تعالی يتحدّث حول موضوعٍ ما ثمّ ينتقل بدون مقدّمه إلی موضوعٍ آخر، ثمّ يعود مرّهً أُخری إلی الموضوع الأوّل. ومن ذلك قصّه يوسف (ع) ، عندما انكشفت خيانه زوجه العزيز واطّلع زوجها علی الحقيقه، وعندها التفت العزيز إلی زوجته، وقال لها: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) (يوسف: ۲۸) .

وبصوره مفاجئه يتغيّر خطاب القرآن الكريم، وينتقل إلی يوسف، فيقول تعالی: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا واسْتَغْفِرِی لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ) (يوسف: ۲۹) .

وأمّا فی خصوص آيه التطهير، فإنّه يمكن ذكر سببين حول علّه مجیء عباره (أَهْلَ الْبَيْتِ) ضمن الآيات التی تتحدّث عن نساء النبی، وهما:

۱. نلاحظ أنّ الله تعالی عندما خاطب نساء النبی (ص) توجّه إليهنّ بالتهديد، وقال:

(يا نِساءَ النَّبِیِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَهٍ مُبَيِّنَهٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وكانَ ذلِكَ عَلَی اللهِ يَسِيراً) (الاحزاب: ۳۰) .

ثمّ أشار الله إلی (أَهْلَ الْبَيْتِ) ، ليقدّمهم نموذجاً يلزم علی نساء النبیّ (ص) الاقتداء بهم واقتفاء أثرهم.

۲. الكثير من مسلمی صدر الإسلام كانوا يبغضون عليّاً (ع) وأهل بيته: ؛ لأنّه (ع) قتل العديد من أبناء قبائلهم وعشائرهم فی حروب الإسلام ضدّ الجاهليّه، وبسبب هذا الاستياء العام من الإمام علی (ع) والحقد الدفين فی قلوب الكثير إزاءه، فقد ظهرت هذا الأحقاد وبشكلٍ علنیٍّ بعد وفاه

ص: ۱۲۹

الرسول (ص) ، فانتقموا منه ومن أهل بيته.

إلی هنا نكتفی بهذا المقدار، ونختم الكلام بنقل حديث عن سعد بن أبی الوقّاص، حيث قال: «دعا رسول الله بحسن وحسين وفاطمه وعلی، فضمّهم إليه ونشر عليهم الثوب، والحجاب علی أمّ سلمه مض-روب، ثمّ قال: «اللّهم، هؤلاء أهل بيتی، اللّهم، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» . قالت أم سلمه: فأنا معهم يا نبیّ الله؟ قال: «أنت علی ملائك وإنّكِ علی خير» . (۱)

۲. حديث الملائكه مع فاطمه الزهراء

السؤال الذی يطرح هنا، هو : كيف يمكن إثبات صحّه حديث الملائكه مع فاطمه بنت رسول الله (س) ؟

الجواب : ليس هناك شكّ فی حديث الملائكه مع الأنبياء من أجل إبلاغ الوحی الإلهی، ولكن ينبغی الالتفات إلی أنّ حديث

الملائکه غیر مختصّ بالأنبیاء، بل هناک عباد لیسوا أنبیاء، ومع ذلک تحدّثت معهم الملائکه، وهؤلاء یطلق علیهم: محدَّثون.

وقد ورد فی أحادیث الفریقین ذکر بعض المحدَّثین، وهم الذین تحدّثهم الملائکه.

والمحدَّث هو الذی یصل إلی درجهٍ من الکمال، بحیث یتمکّن من استماع الأصوات البرزخیّه التی یعجز عامه الناس عن سماعها، وهذا الکمال هو الذی یمکّن هؤلاء من الارتقاء المعنوی حتی یصل بهم المستوی حدّ التمکّن

۱- جامع الأصول، ج ۱۰، صص ۱۰۱ و ۱۰۲؛ الدر المنثور، ج ۵، ص ۱۹۸. .

من استماع حدیث الملائکه معهم.

وقد ورد فی الأحادیث الش-ریفه بأنّ فاطمه بنت رسول الله کانت (محدَّثه) . (۱)

یعتقد البعض بأنّ الملائکه لا تتحدّث مع غیر الأنبیاء، ولکنّ هذه العقیده تخاف القرآن الکریم، حیث أشار إلی حدیث الملائکه مع مریم بنت عمران، وذلک فی قوله تعالی: (وإِذْ قالَتِ الْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفاکِ وطَهَّرَکِ واصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ) (النساء: ۴۲) .

فحدیث الملائکه مع شخص لا تعنی نبوّته، بل تعنی بلوغه أعلا درجات الإیمان. وقد ذکر القرآن الکریم أیضاً حدیث الملائکه مع زوجه ابراهیم: (قالُوا أَ تَعْجَبِینَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وبَرَکاتُهُ عَلَیْکُمْ أَهْلَ الْبَیْتِ إِنَّهُ حَمِیدٌ مَجِیدٌ) (هود: ۷۳) .

ومسأله الإلهام والفتوحات الغیبیّه فی خصوص أولیاء الله مسأله کلامیّه وفلسفیّه واسعه جدّاً، بحیث لا یمکن تفصیلها فی هذا الکتاب الموجز.

ولکن یمکن القول باختصارٍ إنّ عص-ر النبوّه والرساله - بمعنی قیاده البش-رّیه عن طریق الوحی التش-ریعی - قد انتهی، ولا یوجد نبیّ بعد رسول الله (ص) ، إلاـ أنّ الإلهام لم ینقطع، وبإمکان أیّ إنسان أن یری ویسمع ما لا یراه ولا یسمعه عامّه الناس وذلک عن طریق تهذیب نفسه.

وقد قال تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقاناً) (الانفال: ۲۹) .

وقال أمیرالمؤمنین فی وصف السالک الطریق إلی الله سبحانه: «قد أحیا

۱- انظر: بحارالأنوار، ج ۴۳، ص ۷۹. .

عقله وأمات نفسه، حتّى دقّ جليلُهُ ولطف غليظُهُ، وبرق له، لا مع كثير البرق، فأبان له الطريق وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامه ودار الإقامه، وثبتت رجلاه بطمأنينه بدنه فى قرار الأمن والراحه بما استعمل قلبه وأرضى ربّه» . (۱)

۳. كيفيّه الصلاه على النبى (ص)

السؤال الذى يطرح هنا، هو : كيف نصلّى على النبىّ محمّد (ص) ؟

الجواب : الصلاه على أشرف الخلف هو عمل يرتضيه الله تعالى، وقد سبق الله تعالى الجميع فى الصلاه على النبىّ، فقال: (إِنَّ اللهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (الاحزاب: ۵۶) .

وذكر الصلوات فى أىّ زمان وفى جميع الحالات هو أمر مستحبّ، ولهذا لم تحدّد هذه الآيه وقتاً أو مكاناً خاصّاً للصلاه على النبى (ص) ، وإنّ كان لبعض الأحيان أولويّه للصلوات، ولا سيّما عند ذكر أو استماع اسم النبىّ صلوات الله عليه وآله.

وأمّا كيفيّه الصلاه على النبىّ (ص) ؛ فقد ورد فى صحيح البخارى عن عبدالله بن عيسى أنّه سمع عبدالرحمن [بن أبى ليلى]، قال (ع)

لقينى كعب بن عجزه، فقال: ألا أهدى لك هديه سمعتها من النبىّ؟ ! فقلت: بلى، فاهدها. فقال: سألْنا رسول الله فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاه عليكم أهل البيت، فإنّ الله قد علمنا كيف نسلّم؟ قال (ص) قولوا: «اللّهمّ، صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل

۱- نهج البلاغه: خطبه ۲۲۰. .

إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللّهمّ، بارك على محمّد وعلى آل محمّدكما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد» . (۱)

ويتّضح من هذه الحديث لزوم ذكر آل محمّد عند الصلوات على النبىّ محمّد (ص) لتكون الصلاه كامله.

وقول البعض فى يومنا هذا بعد ذكر النبىّ «صلّى الله عليه وسلّم» ، هو فى الحقيقه مخالفٌ تماماً لما أمر به رسول الله (ص) .

ونقل ابن حجر الهيثمى (۸۹۹ -۹۷۴ه) مايلى: «إذ قال رسول الله: «لا تصلّوا علىّ الصلاه البتراء» . فقالوا: وما الصلاه البتراء؟ قال: «تقولون: اللّهمّ، صلّى على محمّد وتسكتون، بل قولوا: اللّهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد» . (۲)

إذن، نستنتج ممّا ذكر أنّ: صلاه الشيعه على النبىّ هى صلاه كامله ومطابقه للأحاديث المرويّه فى صحيح البخارى الذى هو أصحّ كتب الحديث عند أهل السنّه.

ویجدر أیضاً عند الصلاه علی محمّد وآل محمّد أن نقول بعدها: «کما صلیّت علی ابراهیم وآل ابراهیم» .

ولکن هـذه العبـاره تُترک فی بعض الأحیـان مراعـاه للاختصار، کما أنّ الرسول (ص) أیضاً فی الحـدیث الثانی الـذی ذکرناه لم یذکر هذه العباره.

أضف إلی ذلـک، فإنّ عباره «کما صـلیت علی ابراهیم وآل ابراهیم» ، لیست جزءاً من الصـلاه، بل هی عباره تعلّمنا بأنّه کما یلزم الصلاه علی

۱- صحیح البخاری، ج ۴، ص ۱۸۸؛ کتاب بدء الخلق، ج ۶، ص ۶۷؛ باب تفسیر سوره الأحزاب، ج ۷، ص ۱۵۷.
۲- الصواعق المحرقه، ص ۱۴۶. .

آل إبراهیم إضـافه إلی الصـلاه علی إبراهیم، فإنّه یلزم علینا أن نصـلّی علی آل محمّـد کما نصـلّی علی النبیّ محمّـد (ص) ، وألّا نفصل فی الصلاه بین محمّد وآل محمّد فتکون مبتورهً.

والملفت للنظر أنّه لا یوجـد فی الصـحیحین ولا الکتب الأخری، أیّ حدیثٍ عن الصـلاه علی الصـحابه، فی حین نجد أهل السـنّه عندما یریدون أداء الصلاه علی محمّد کامله، فإنّهم یقولون: اللهم صلِّ علی محمّد وعلی آله وصحبه.

۴. الغلو فی أهل البیت (علیهم السلام)

اشاره

السؤال الذی یطرح هنا، هو : ألا یُغالی الشیعه فی عقیدتهم بأهل البیت (علیهم السلام) ؟

الجواب : الغلوّ فی اللغه العربیّه یعنی تجاوز الحدّ.

ومثال ذلک أن یُقال عن طبیب عادی بأنّه متخصّـص فی أمراض القلب، أو أن یفرط الإنسان فی بیانه لصـفات الآخرین الظاهریّه والباطنیّه. وبما أنّ الغلوّ مذموم، فقد نهی الله تعالی أهل الکتاب عن الغلوّ فی دینهم قائلاً:

(یا أَهْلَ الْکِتابِ لا تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ) (النساء: ۱۷۱؛ المائده: ۷۷) .

وقد عرّف أمیرالمؤمنین (ع) سلوک وتصرّفات وحدیث أهل البیت بأنّها الحدّ للشریعه والعقیده الحقّه، فقال:

«نحن النُمرقه الوسطی، بها یلحق التالی وإلیها یرجع الغالی» . (۱)

لذلک فإنّ اتّهام أتباع أهل البیت (علیهم السـلام) بالغلوهو اتّهام باطل، وهو ناشئ من الجهل بعقائدهم ومبانیهم الفکریّه وأدلّتهم التی یعتمدون علیها.

۱- نهج البلاغه، الحکمه ۱۰۹. .

ص: ۱۳۴

والمغالی - فی الواقع - هو الذی یعتقد بأنّ للأئمّه: مقاماً یفوق مقام العبودیّه، أو یری أنّهم آلهةً.

ومثال ذلک أن یقول بأنّهم خلقوا الأرض والسماء، وهذا هو الش-رک فی الخالقیّه؛ أو یعتقد بأنّهم أرباب من دون الله، بحیث لدیهم القدره الذاتیه بأنّ یرزقون ویحیون ویمیتون، وهذا هو الش-رک فی الربوبیّه؛ أو یعتقد بأنّ الله فوّض إلیهم أمر التشریع، وأنّهم یحرّمون ما أحلّه الله، ویحلّلون ما حرّمه، وهذا هو الشرک فی التشریع.

وأتباع أهل البیت (علیهم السلام) لا یتجاوزن التوحید الحقیقی فی جمیع مراتبه قید أُنمله، ویعتقدون بأنّ الخالف والربّ والمش-رّع الحقیقی هو الله تعالی، ویؤمنون بأن الأئمّه: عباد الله مکرمون، ولهم منزله رفیعه عند الله.

ویعتقد الشیعه بأنّ الأئمّه: إذا صدر منهم أمر خارق للعاده أو استجاب الله دعاءهم وغیّر بدعائهم شیئاً من الکون؛ فکلّه إنمّا هو بتأثیرٍ مباشرٍ من الله تعالی وبإذنه وکما أنّ صدور المعجزه من الأنبیاء لا یخرجهم من مقام عبودیّتهم لله، فکذلک الأئمّه: تصدر منهم الأمور الخارقه للعاده بإذن الله، ولا یثبت هذا الأمر مقاماً یخرجهم من کونهم عباداً لله تعالی.

فشفاعه الأئمه: فی یوم القیامه هی بإذن الله تعالی، والتوسّل بهم إنّما یجوز لمنزلتهم العظیمه عند الله تعالی.

ولیس ذکر فضائلهم ومناقبهم إلّا تعبیرٌ وإظهارٌ لمودّتهم ومحبّتهم التی دعا إلیها القرآن الکریم، ودعت إلیها السنّه الش-ریفه. ولا یخفی علی أحد بأنّ مودّه ذوی القربی أصل من أصول الکتاب والسنّه. (۱)

۱- انظر: سنن الترمذی، کتاب المناقب، ح ۳۷۷۲، ۳۷۷۵۱؛ مستدرک الحاکم، ج ۳، ص ۱۷۷. .

ص: ۱۳۵

وأمّا العقیده باطّلاع الأئمّه: علی علم الغیب فهی تعنی أنّ الله تعالی هو الذی یخبرهم بذلک، لا أنّهم یعلمون الغیب بأنفسهم ومن دون إذن الله تعالی.

وقد ارتقی أمیرالمؤمنین (ع) المنبر بعد فتح البص-ره، وأخبر عن مستقبل مدینه البصره، فقال له أحد أصحابه: قد أعطیت علم الغیب؟ فضحک (ع) ، وقال للرجل:

«لیس هو بعلم غیب، وإنّما هو تعلّم من ذی علم. . . فعلم علّمه الله نبیّه فعلّمنیه» . (۱)

إذن، علم الغیب الذاتی -غیر الاکتسابی- هو لله فقط؛ وأمّا اطّلاع ما سوی الله علی الغیب، فإنّه علم اکتسابی.

وأما قوله تعالی: (قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّماواتِ والْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلَّا اللهُ) (النمل: ۶۵) . فالمقصود هو: العلم بالغیب الذاتی والأزلی

الذی لا یعلمه إلّا الله، وکلّ ما سوی الله، فإنّه محتاج إلیه تعالی فی کلّ شیء.

لذا، لا یمکن اعتبار هذه الأمور للأئمّه: غلوّاً فی حقّهم: .

وقد تبرّأ الأئمّه: دائماً من الغلاه، وللإمام الرضا (ع) دعاء یتبرّأ فیه من غلاه زمانه، ویدین فیه الذین شاهدوا صدور بعض الأمور الخارقه للعاده عن الأئمّه: فافرطوا فی وصف مقامهم ومنزلتهم، فقال (ع) فی هذا الدعاء:

اللّهمّ إنّی أبرأ الیک من الّذین قالوا فینا ما لم نقله فی أنفسنا، اللّهمّ، لک الخلق ومنک الرزق وإیّاک نعبد وإیّاک نستعین، اللّهمّ أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلین وآبائنا الآخرین، اللّهم، لا تلیق الربوبیّه إلّا بک ولا تصلح الإلهیّه إلّا لک، من زعم أنّا أرباب فنحن منه بُرآء، ومن زعم أنّ إلینا الخلق وعلینا

۱- نهج البلاغه، خطبه ۱۲۸. .

الرزق فنحن بُرآء منه. . . اللّهمّ، انّا لم ندعهم إلی ما یزعمون، فلا تؤاخذنا بما یقولون. (۱)

استثمار الأئمّه: الأسباب الطبیعیّه

لا یمکن لأیّ إنسان أن یصبح بدیلاً عن وسائط فیض الله تعالی مهما کان مقامه، بل هو لیس سوی منتفع من هذه الوسائط. فأشعه الشمس ونزول المطر کلّها أسباب توفّر العیش لحیاه الأنبیاء: والأئمّه: وأولیاء الله، کما أن الوحی یصل إلی الرسول بواسطه الملک، وملک الموت هو الذی یقبض روحه (۲)، ولکلّ إنسان حفظه من الملائکه یحرسونه ویساعدونه فی تنمیه ملکاته وفضائله الأخلاقیّه. (۳)

إذن، جمیع الناس - وحتّی الأنبیاء والأئمّه: -جزء من نظام الأسباب والمسبّبات فی هذا العالم، ولیس بإمکانهم إلغاء هذا النظام، وإنّما حقیقه الأمر أنهم یتمکّنون، إذا اقتضت المصلحه، أن یکونوا منشأً للکرامات والتحکّم فی العالم؛ وذلک أیضاً لا یکون إلّا بإذن الله تعالی، وفی ظلّ قدرته وسلطانه.

۱- بحارالأنوار، ج ۲۵، ص ۲۴۳.
۲- قال تعالی فی هذا المجال: (وَ یُرْسِلُ عَلَیْکُمْ حَفَظَهً حَتّی إذا جاءَ أحَدَکُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) (الأنعام: ۶۱) .
۳- قال امیرالمؤمنین (ع) : «و لقد قرن الله به (ص) من لدن أن کان فطیماً أعظم ملک من ملائکته یسلک به طریق المکارم و محاسن أخلاق العالم» . نهج البلاغه، الخطبه ۲۳۴. .

الفصل السادس: المهدویه فی الإسلام

۱. ولاده الإمام المهدی (عج)

السؤال الذی یُطرح هنا، هو : هل ولد الإمام المهدی؟ وهل کان للإمام الحسن العسکری (ع) ابن لیخلفه فی الإمامه؟

الجواب : اتّفق جمیع علماء الشیعه علی أنّ الإمام المهدی ولد فی ۱۵ شعبان عام ۲۵۵ه، وقیل إنّه ولد عام ۲۵۶ه، وأُمّه نرجس. وکانت ولادته [فی سامرّاء فی بیت الإمام الحسن العسکری (ع) ، وقد ورد فی هذا المجال أحادیث کثیره روُیت عن أبیه الإمام العسکری (ع) ، ولکنّنا لم نذکرها مراعاه للاختصار.

وحیث کانت ولاده الإمام المهدی (عج) تشکّل خطراً کبیراً علی جمیع السلطات الجائره آنذاک، فقد بذل العباسیّون قُصاری جهودهم لیمنعوا من تحقّق هذه الولاده، أو لیفتکوا به إن وُلد. وکان هذا الأمر من أسباب إبقاء الإمام العسکری فی الإقامه الجبریّه فی سامراء.

وکانت ولاده الإمام المهدی (عج) کولاده النبیّ موسی (ع) ، حیث حفظه الله تعالی من شرّ سلطه بنی العّباس لیکون خاتم الأوصیاء بعد الإمام

العسکری (ع) .

ومن الذین حضروا ولاده الإمام المهدی وشاهدوه بعد ولادته: السیّده حکیمه بنت الإمام الجواد (ع) ، وهی عمّه الإمام الحسن العسکری (ع) ، وقالت:

«بعث إلیّ أبومحمّد (ع) سنه خمس وخمسین ومائتین فی النصف من شعبان، وقال:

یا عمّه إجعلی اللیله إفطارک عندی، فإنّ الله عزّ وجلّ سی-سرّک بولیّه وحجّته علی خلقه خلیفتی من بعدی.

قالت حکیمه: فتداخلنی السرور الشدید وأخذت ثیابی علیّ وخرجت من ساعتی حتّی انتهیت إلی أبی محمّد، وهو جالس فی صحن داره وجواریه حوله، فقلت: جعلت فداک یا سیدی، الخلف ممّن هو؟ قال: «من سوسن» . فأدرت طرفی فیهن، فلم أرجاریه علیها أثر غیر سوسن.

وقالت حکیمه: فلمّا أن صلّیت المغرب والعشاء، أتیت بالمائده، فأفطرت أنا وسوسن وبایتّها فی بیت واحد، فغفوت غفوه، ثمّ استیقظت، فلم أزل مفکّره فیما وعدنی أبومحمّد (ع) من أمر ولی الله (ع) ، فقمت قبل الوقت الذی کنت أقوم من کلّ لیله للصلاه، فصلّیت صلاه اللیل حتّی بلغت إلی الوتر، فوثبت سوسن فزعه وخرجت [فزعه] وأسبغت الوضوء، ثمّ عادت فصلّت صلاه اللیل، وبلغت إلیّ الوتر.

فوقع فی قلبی أنّ الفجر قد قرب فقمت لأنظر فإذا بالفجر الأوّل قد طلع، فتداخل قلبی الشکّ من وعد أبی محمّد، فنادانی من حجرته: لا تشکّی، وکأنّک بالأمر الساعه قد رأیته إن شاء الله تعالی. . . .

. . . فإذا أنا بولی الله متلقیاً الأرض بمسجاده. . . فاتیته به» . (۱)

وبسبب المراقبه الشدیده من قبل الحکومه العباسیّه، کان من الصعب جدّاً رؤیه الإمام المهدی (عج) فی حیاه الإمام العسکری (ع) ، ولکن مع ذلک فقد التقی به المقرّبون فی ذلک الوقت، ومنهم:

۱. أبوغانم الخادم، قال: وُلِد لأبی محمّد ولدٌ فسمّاه: محمّداً، فعرضه علی أصحابه یوم الثالث، وقال:

«هذا صاحبکم من بعدی وخلیفتی علیکم، وهو القائم الذی تمتد إلیه الأعناق بالانتظار» (۲).

۲. الحسن بن الحسین بن العلوی قال:

«دخلت علی أبی محمّد الحسن بن علی (ع) فهنأته بولاده ابنه القائم (۳)» .

۳. الحسن بن المنذر عن حمزه بن أبی الفتح، قال: جاءنی یوماً، فقال لی: البشاره ولد البارحه فی الدار مولود لأبی محمّد، وأمر بکتمانه. قلت: وما اسمه؟ قال: سمّی ب-محمّد. (۴)

۴. أحمد بن اسحاق قال:

دخلت علی أبی محمّد الحسن بن علی، وأنا اُرید أن أسأله عن الخلف بعده، فقال لی مبتدأً: «یا أحمد بن إسحاق إنّ الله تبارک وتعالی لم یخلّ الأرض منذ خلق آدم ولا تخلوا إلی یوم القیامه من حجّه الله علی خلقه، [به] یدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ینزّل الغیث، وبه یُخرج برکات الأرض» .

قال: فقلت له: یابن رسول الله، فمن الإمام والخلیفه بعدک؟ فنهض (ع)

۱- الغیبه للشیخ الطوسی، ص ۱۴۱.

۲- إثباه الهداه، ج ۶، ص ۴۳۱.

۳- المصدر نفسه، ص ۴۳۳.

۴- المصدر نفسه، ص ۴۳۹. .

فدخل البیت، ثمّ خرج وعلی عاتقه غلام کأن وجهه القمر لیله البدر من أبناء الثلاث سنین، فقال «یا أحمد بن إسحاق لولا کرامتک علی الله عزّ وجلّ وعلی حججه ما عرضت علیک ابنی هذا، إنّه سمیُّ رسول الله وکنیّه، الذی یملأ الأرض قسطاً وعدلاً، کما مُلئت جوراً وظلماً» . (۱)

فهولاء أبرز شخصيّات الشيعه التى إلتقت بالإمام المهدى (عج) فى حياه الإمام العسكرى (ع) ، وإن كان اللقاء بالإمام المهدى لم يقتصر على هولاء بل رآه أكثر من هذا العدد فى بيت الامام الحسن العسكرى (ع) وبحضوره. (۲)

وفى الختام نلفت الانتباه إلى أنّ بعض كبار علماء أهل السنّه صرّحوا بولاده الإمام المهدى (عج) ، وللاطّلاع على أقوال هؤلاء العلماء مراجعه كتاب (منتخب الأثر) ، الطبعه الجديده، الصفحه ۷۱ إلى ۹۲. وقد ذكر مؤلّف هذا الكتاب ۶۸ شخصاً من أهل السنّه صرّحوا فى كتبهم بولاده الإمام المهدى ابن الإمام العسكرى (ع) .

۲. سبب غيبه الإمام المهدى (عج)

السؤال الذى يُطرح هنا، هو : ما هو سبب غيبه الإمام المهدى (عج) ؟

ولماذا لايعيش مع الناس كسائر الأئمّه: ؟

الجواب : غيبه الإمام المهدى (عج) هى سرّ من أسرار الله تعالى، بحيث لايمكننا الإحاطه بكُنهها. إنَّ غيبه الأنبياء عن أممهم لفتره مؤقّته، هو أمر قد تحقّق فى الأزمنه السالفه، مثل غيبه موسى بن عمران مدّه أربعين يوماً عن

۱- بحارالأنوار، ج ۵۲، ص ۲۳.

۲- المصدر نفسه، صص ۲۵، ۷۸، ۸۶؛ اثبات الهداه بالنصوص و المعجزات، ج ۶، صص۳۱۱، ۴۲۵ و ج ۷، ص ۱۶؛ ينابيع الموده، باب ۸۲ .

أمّته عندما ذهب إلى ميقات ربّه (۱)، وغيبه السيّد المسيح بمشيئه الله عندما أراد الأعداء قتله، (۲)وغيبه النبىّ يونس فى الفتره التى قضاها فى بطن الحوت. (۳)

فالأمر الذى يبلغنا عن طريق النقل المتواتر، ولكنّنا لا نتمكّن من الإلمام بأسبابه، علينا، أن لا نشكّ فى صحّته أو نتردّد فى حقيقته، لأنّنا إذا اتبعنا هذه المنهجيه فسوف نُشكّك فى معظم الأحكام الإلهيّه وكذلك سنتردّد فى ضروريات الدين الإسلامى.

وغيبه الإمام المهدى لا تُستثنى من هذه القاعده، وعدم الاطلاع على السرّ الحقيقى لا يعتبر مسوغاً للشكّ فى أصل الغيبه أو إنكارها من الأساس.

ولكن مع ذلك يمكن فهم السرِّ من غيبه الإمام المهدى بمستوى العقل البشرى. فالإمام المهدى هو خاتم الأوصياء، وهو الموعود الذى سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً وسيرفع رايه التوحيد فى جميع أنحاء العالم. وهذا الهدف لا يتحقّق إلا بعد مضى زمانٍ يستعدُّ فيه الناس روحاً وعقلاً لاستقباله ومؤازرته فى إقرار العدل والحريه.

ولا شكّ أنّ ظهور الإمام بعد مدّهٍ قصيرهٍ من غيبته سوف لا يؤدّى إلى انفجار ثورهٍ عالميّهٍ شاملهٍ، لأنّه إن قام قبل توفّر الشروط

اللازمه لدى الناس، فسوف يكون مصير كمصير سائر حجج الله الذين استشهدوا قبل أن يتمكّنوا من تحقيق الهدف المنشود.

وقد أشار أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) إلى هذه الحقيقه فى أحاديثهم الشريفه، كما

١- (وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَهً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَهً) (الأعراف: ١۴٢) .
٢- (بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء: ١۵٨) .
٣- (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) (الصافات: ١۴٠) . .

ص: ١۴٢

قال الإمام الباقر (ع) : «إنّ للقائم غيبه قبل أن يقوم» فسأله الراوى: ولم؟ فقال (ع) : «يخاف» . وأومأ بيده إلى بطنه. (١)

أضف إلى ذلك، توجد أحاديث بيّنت أنّ سبب غيبه الإمام المهدى (عج) هو تمحيص الناس، أى أنّه وسيله أراد الله تعالى بها أن يختبر البشريّه يرى مدى إيمانها وصبرها فى هذا المجال. (٢)

وخلاصه الكلام هو أنّ الإمام المهدى خاتم الأوصياء، وهو الذى أعدّه الله لقياده الحكومه الإلهيّه الموحّده، ولا يتحقّق هذا الأمل العالمى إلّا بعد بلوغ البشريّه مرحله الاستعداد لتقبّل الإمام، والانقياد إلى أوامره. ودون ذلك فظهور الإمام (عج) قبل أوانه سيؤدّى إلى قتله وعدم تحقّق الهدف المنشود الذى غاب من أجله. ولهذا غاب الإمام المهدى (عج) ، ولكنّه مع ذلك يعيش بين الناس ويَرونه، ولكنّهم لا يعرفونه بأنّه الإمام المهدى (عج) ، وهذه هى الوسيله التى تصونه من شرّ الأعداء.

أضف إلى ذلك، بما أنّ حكومه الإمام المهدى (عج) حكومه عالميّه، فإنّها لاتتحقّق إلّا بعد توفّر الشروط المطلوبه، ولم تكن هذه الشروط متوفّره حين ولاده الإمام (عج) ، كما أنّها لم تتوفّر لحدّ الآن، ومتى ما توفّرت فسيأذن الله تعالى له ليظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً.

٣. انتفاع الناس من الإمام المهدى (عج) فى زمن غيبته

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : ماذا ينتفع الناس من الامام المهدى (عج) فى زمن غيبته؟

١- كمال الدين، باب ١۴، ح ٨، ٩، ١٠.
٢- انظر: بحارالأنوار، ج ۵٢، صص ١٠٢، ١١٣ - ١١۴. .

ص: ١۴٣

الجواب : قسّم القرآن الكريم أولياء الله إلى وليٍّ ظاهرٍ يعرفه الناس بشخصه، ووليٍّ غائبٍ عن أنظار الناس، بحيث لا يعرفونه

شخصه، على الرغم من وجوده بينهم واطلاعه على أحوالهم.

وقد أشار القرآن الكريم فى سوره الكهف إلى هذين القسمين، فأحدهما موسى بن عمران حيث كان حجه الله الظاهر، والآخر هو الخض-ر (ع) الذى كان حجه الله الغائب، الذى صحب موسى لفترهٍ قصيرهٍ.

وهو حجّه الله الغائب الذى لا يعرفه أحد حتّى النبىّ موسى (ع) ، وإنّما تعرّف عليه موسى بإرشاد من الله تعالى واكتسب منه علماً. قال تعالى: (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا وعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً * قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) (الكهف: ۶۵ و۶۶) .

ثم يبيّن القرآن الكريم بعض الأعمال النافعه التى يقوم بها الخض-ر، وهو حجّه الله الذى لا يعرفه أحد. ونستوحى من ذلك أنّ حجّه الله الغائب على الرغم من عدم معرفه الناس له، لكنّه يقوم بأعمال لها آثار وبركات. (۱)

والإمام المهدى (عج) أيضاً هو حجّه الله الغائب، وهو كالخض-ر، حيث لايعرفه أحد بشخصه، ولكنه يقوم بأمور نافعه للناس. إذن، غيبه الإمام لاتعنى انفصاله عن المجتمع، بل هو، كما جاء فى أحاديث أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) كالشمس المحتجبه وراء السحاب ولا يراها أحد. ولكنّ بركاتها تعمّ الأرض وأهلها.

قال رسول الله (ص) :

«إى والذى بعثنى بالنبوّه إنّهم لينتفعون به، ويستضيؤون بنور ولايته فى غيبته

۱- (الكهف: ۷۱-۸۲) . .

كانتفاع الناس بالشمس، وإن جلّلها السحاب» . (۱)

فأنوار وجود الإمام المهدى (عج) تشعّ وراء سُجُب الغيبه ولها تأثيرها فى أوسع نطاق ممكن، وحرمان الإمام من بيان المسائل العلميّه والتربويّه للناس بصوره مباشره؛ وعدم تصديه لزمام الحكم لا يعنى أنّه لا نشاط له فى مجال هدايه البشريّه، بل له مهام يؤدّيها، منها:

أ) الحفاظ على دين الله

يواجه الدين التحريف بمرور الزمان بسبب امتزاج تعاليمه بالأهواء والآراء الشخصيّه وهيمنه المذاهب والتيارات المختلفه عليه، فيؤدّى هذا الأمر إلى تحريف مفاهيمه السماويّه.

وإنّما الإمام المعصوم وحده قادرٌ على حفظ ما جاء به الرسول (ص) من دون أن تشوبه شائبه، ولهذا عندما تعمّ الشبهات فى المجتمع ويواجه الناس التزلزل العقائدى، يكون الإمام المعصوم هو الوحيد القادر على تصحيح مسار الأمّه وصيانتها من

الانحراف.

وكلّنا نعلم بأنّ كلّ مركزٍ هامٍّ فيه خِزانةٌ لحفظ الوثاق المهمّه كى تحفظ من السرقه والتلف.

فقلب الإمام المعصوم بمثابه هذه الخزانه، وهو يحفظ ما جاء به الرسول (ص) ويصونه من جميع أنواع التحريف ومن جميع الشوائب والأدران.

وهكذا يحفظ الله تعالى دينه من الانحراف، والإمام يؤدّى مهمّته فى زمان غيبته دون أن يطّلع أحد عليه بشخصه.

١- بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٩٣، نقلاً عن: كمال الدين للشيخ الصدوق. .

ب) مهمّه الإمام فى إعداد النخبه الواعيه فى غيبته

صله الإمام المهدى (ع) بالناس لا تنقطع فى زمن غيبته، بل له صله وثيقه بفئهٍ قليله، وهم الذين يجد فيهم الإخلاص والاستعداد التامّ للالتحاق بركبه من أجل القيام بالإصلاح العالمى، وغيبته لا تعنى عدم قدره الناس على رؤيته، بل الإمام (عج) يُرى وله حياته الطبيعيه، ولكن لا يعرفه الناس بشخصه، لأنّه يعيش بين الناس، ويصطفى أصحاب القلوب المستعدّه ويعمل على رفع مستواهم المعنوى.

وكلّ إنسان بمقدار استعداده يستفيض من ألطاف الإمام المهدى (ع) ، وكلّ مَن يلتقى به فإنّه يخطى ببركاته حسب ما يستحقّه، فترى البعض يلتقى بالإمام عدّه ساعات والآخر يلتقى به عدّه أيّام، وغيره يعاشر الإمام عدّه سنوات، وكلّهم لا يعلمون بأنّهم يرون الإمام المهدى (عج) .

فالشمس الغائبه وراء السحاب تكون غائبه لمن هو تحت السحاب، ولكن الذين يمكنهم الارتفاع إلى عنان السماء واجتياز السحاب، فإنّهم قادرون على خرق الحجب ورؤيه الشمس بصورهٍ مباشرهٍ.

لذا، يجب على كلّ من يريد رؤيه نور الشمس أن يُزيح الحُجب ويجتاز السحاب بأعماله الصالحه وانتظاره الفرج.

ج) . الهدايه التكوينيّه

لا يخفى على أحد بأنّ للشمس إشعاع غير مرئى يدعى الأشعه تحت الحمراء، أو الاشعه فوق البنفسجيّه، فضلاً عن نورها المرئىّ الذى يتجزّأ إلى سبعه ألوانٍ.

ولحجه الله أيضاً - سواء كان نبيّاً أو إماماً - إضافه إلى هدايته عن طريق

بيان الأحكام الش-رعيّه، هـدايةٌ باطنيّةٌ لها تأثيرها المعنوى على القلوب والأفكار، ويمكننا تسـميه هذه الهدايه بالهدايه التكوينيّه. وفى هذه الهدايه لاتستخدم الكلمات والعبارات وأنّما تأثيرها باطنىٌّ يجذب الانسان نحو حجّه الله تعالى.

ولوجود الإمام المهدى (عج) وراء سـحاب الغيبه أيضاً هذا التأثير التكوينى، فهو ينفذ فى القلوب المستعدّه ويترك أثره الإيجابى فيهـا؛ ويربّى بعض الأشـخاص بهـذه الطريقه. فنحن لاـ نرى الأمواج المغناطيسيّه الموجوده فى الأرض ولا نشـعر بها، ولكنّنا نرى أثرها على البوصله، وبهذه الطريقه استطاع الانسان أن يهتدى الى مقصده فى الصحارى والبحار والفضاء.

والملايين فى العالم يتعرّفون على المسار الصحيح لحركتهم فى السفر عن طريق هذه الأمواج غير المرئيّه، ولذا، ليس من العجيب قولنا إنّ للإمام الحجّه الغائب آثاراً معنويّةً يستقطب من خلالها قلوب ونفوس الكثير من الناس من أجل هدايتهم إلى الحقّ.

ولا يخفى بأنّ الأمواج المغناطيسيّه الموجوده فى الأرض لا تُحرّك كلّ قطعه حديـد، وإنّما تحرّك العقربات الظريفه والحساسـه التى تمتلك خصوصيه المغناطيسيّه فقط، والتى يكون بينها وبين الأمواج سنخيّه وتشابه.

وكذلك فجميع القلوب لا تتأثر بهدايه الامام (ع) التكوينيّه وإنّما يكون هذا التاثير نافذاً فى القلوب المسـتعدّه لاستقبال ما يفيضه الإمام إليها.

وبركات الإمام المهدى (عج) وآثاره فى زمان الغيبه كثيره جدّاً، ولا يسـعنا المقام هنا الحديث عنها بالتفصـيل، وإنّما اكتفينا بهذا المقدار مراعاه للاختصار.

والحمد لله فقد تناول الباحثون هذا الموضوع بالشرح والتحليل فى مختلف جوانبه، وبإمكان الراغبين بالاطلاع على هذا الموضوع مراجعتها.

۴. الإمام المهدى والعمر الطويل

اشاره

السؤال الـذى يطرح هنا، هو: ولد الإمام المهدى عام ۲۵۵ه، ويمرّ لحـدِّ الآن أكثر من ألف عام على ولادته، فكيف يمكن لإنسانٍ أن يعيش كلّ هذه المدّه؟

الجواب : يمكن تفسير هذا الأمر بتفسيرين، كما يلى:

۱. تفسير غيبىٌّ

أشار القرآن الكريم والأحاديث الش-ريفه إلى بعض الناس الذين لاتنسـجم أعمارهم مع الأعمار المألوفه عندنا، منها قوله تعالى حول النبى نوح (ع) : (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَهٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً) (العنكبوت: ۱۴) .

وتشير هذه الآيه، إلى فتره تبليغ النبى نوح (ع) فقط، ولا تشير إلى الفتره التى عاشها بعد الطوفان أو قبل التبليغ.

وأشـار الله تعالى أيضاً إلى النبى يونس (ع) قائلاً (فَلَولا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الصافات: ۱۴۳ و ۱۴۴) .

فالله القادر على إبقاء النبى يونس (ع) حيّاً إلى يوم القيامه فى بطن الحوت، كيف لايسعه إبقاء الامام المهـدى (عـج) وهو حجّته على الأرض حيّا لفتره تفوق الحدِّ الطبيعى لحياه الإنسان العادى؟ ! قال تعالى: (وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (الأنعام: ۹۱) .

وينبغى أن نعرف بأنّ طول عمر الإمام المهـدى (عـج) هو لطفٌ إلهىٌ، ولولا هـذا اللّطف لما تمكّن من البقاء حيّاً طيله هذه الفتره التى غاب فيها، حيث حفظه الله تعالى من مكائد الدهر ومصائبه.

۲. تفسير طبيعىٌ

إنّ علم الطب وعلم الأحياء لم يضعا حدّاً لعمر الإنسان، بحيث يكون من

ص: ۱۴۸

المستحيل للإنسان تجاوز هذا الحدّ، ومن خلال تشـخيص أسباب الشيخوخه والموت المبكّر والعمل على مكافحه ذلك، سوف يتيسّر رفع نسبه عمر الإنسان، وكما نلاحظ اليوم فإنّ تطوّر علم الطب ارتفاع مستوى الصحه العامّه فى البلدان المتطوّره قد أدّيا إلى زيـاده أعمـار النـاس فيهـا. مثـال ذلك كان متوسط العمر فى أمريكا عام ۱۹۰۱ للرجال ۲۳/۴۸ وللنساء ۸۰/۵۱، ولكنَّ هذه النسبه ارتفعت فى عام ۱۹۴۴ وأصحبت للرجال ۵۰/۶۳ وللنساء ۹۵/۶۸.

ويعود سبب هذا الارتفاع إلى ارتقاء مستوى التغذيّه والصـحّه فى فتره الطفوله وتطوير أساليب العلاج والوقايه الصحيّه، ولا سيّما الوقايه من الأمراض المسريّه، ولكنّنا نجـد بأنّ الطب لم يتمكّن لحـدّ الآن من علاج بعض الأمراض المستعصيه من قبيل تصـلّب الشرايين. (۱)

وهذه الاحصائيّات تعود إلى الفتره الماضيه، وأمّا الآن، فقد تطوّرت وسائل الصّحه والعلاج، وارتفعت نسبه العمر فى جميع أنحاء العالم، ففى إيران مثلاً قد تحقّق هذا الأمر أيضاً.

ولطول العمر صله وثيقه بالوراثه والأجواء التى يعيش فيها الإنسان، ونوع العمل الذى يقوم به، ومدى الضـغوط النفسيه والعصبيه التى يواجهما فى حياته، كما للتغذيه المناسبه أيضاً دور أساسى فى هذا المجال.

وطول العمر بذاته لا يعتبر العلّه للموت، بل إنّ الموت يحدث بسبب على الأمراض والعادات المضرّه التى تؤدّى إلى استهلاك أعضاء البدن وتعطّلها عن العمل والنشاط. ونحن نشاهد فى زماننا هذا الكثير ممّن تجاوزت أعمارهم مائه عام.

۱- انظر: دادگستر جهان، صص ۱۷۷-۱۸۲. .

ویعود سبب ذلک للظروف المناخیّه والتغذیّه الطبیعیّه والصحیّه التی یمتع بها هؤلاء.

وهناک الکثیر من المعمّرین فی تأریخ البش-ریه حیث فاقت أعمارهم الحدَّ الطبیعیّ، وقد ألّفت العدید من الکتب حول هؤلاء تحت عنوان: (المعمّرون) .

۵. تأخّر ظهور الإمام المهدی (عج)

اشاره

السؤال الذی یطرح هنا، هو : ما هی أسباب تأخر ظهور الإمام المهدی (عج) ؟

الجواب : تختلف طریقه الإمام المهدی (عج) فی إحیاء دین الله تعالی عن طریقه الأنبیاء وسائر الأئمّه: الذین سبقوه؛ لأنّه لا یقتص-ر علی مجرّد الدعوه والإرشاد، بل یظهر لینشر العدل والدین فی جمیع أنحاء العالم، أی أنّ مهمّته هی نشر جمیع تعالیم الإسلام فی جمیع ربوع العالم.

ولاریب فی أنّ ظهور الإمام المهدی (عج) للقیام بثوره عالمیّه لملء الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، یستدعی توفّر شروط ومقدّمات، وهی تستلزم نضج البشریّه وبلوغها مرحله قبول هذه الثوره العظمی، ومن هذه المقدّمات نذکر مایلی:

۱. الاستعداد النفسی

إنّ أهمّ أمرٍ یجب تحقّقه لظهور الامام المهدی (عج) هو رغبه الناس الشدیده لنشر العدل وإقرار الحقّ، وإذا لم یبلغوا هذه المرحله فلن یکون لدیهم اهتمام بما یدعوهم الإمام المهدی (عج) إلیه، فقانون (العرض والطلب) لا یحکم فی النظام الاقتصادی فحسب، بل هو قانون ینطبق علی جمیع الأصعده، ومنها البرامج المعنویّه والأصول الاخلاقیّه والمدارس السیاسیه والثوریه.

وما لم ینشأ طلب فی أعماق قلوب الناس لش-یء، فسیکون عرض ذلک الشیء غیر مرغوب فیه.

قال الإمام الباقر (ع) :

«إذا قام قائمنا وضع الله یدیه علی رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وکملت به أحلامهم» . (۱)

وبالطبع فإنّ مرور الزمان وفشل القوانین المادیّه وانقطاع السُّبُل ووصول البشریّه إلی حافه الهاویه واندلاع الحروب إلی استیعاب هذه الحقیقه وهی أنّ القوانین المادیّه، والمنظمات التی یُطلق علیها اسم المنظمّات الدولیّه، لا یسعها حلّ مشاکل البشریّه ولا تتمکّن من بسط العدل فی العالم.

بل هی السبب فی فشل البش-ریّه، وعندما یهیمن الیأس والجزع علی الناس، سوف یُطالبون بثورهٍ عالمیهٍ تحت رایه قائدٍ دینیٍّ متکاملٍ ینقذهم ممّا هم فیه من جورٍ وظلمٍ.

ولا یخفی بأنّ هذا الأمر یتطلّب زمناً طویلاً لتثبت التجارب المرّه للبش-رّیه بأنّ جمیع الأنظمه الماديّه والمؤسّسات البش-ریّه عاجزه عن تحقیق العدل وإحقاق الحقّ وتثبیت الأمن والاستقرار، ومن هنا تنشأ فی نفوس الناس حاله التعطّش لسیاده العدل الإلهی علی الأرض، وتتهیأ الأرضیّه لظهور المصلح العظیم الذی یملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. (۲)

۲. تکامل علوم البشر وثقافاتهم

إنَّ الحکومه العالمیّه المبتنیه علی أساس العدل بحاجه ماسّه إلی تطوّر

۱- الکافی، ج ۱، ص ۲۵.
۲- من علامات ظهور الإمام المهدی (عج) أنّ الأرض تمتلیء ظلماً و جوراً، و هذا ما أشارت إلیه العدید من الأحادیث الشریفه، و هذا الظلم هو الذی یهیّئُ الأرضیّهَ لظهور المصلح العالمی لیملأ الأرض قسطاً و عدلاً. .

العلوم وارتقاء المستوی الثقافی علی الصعید الاجتماعی هذا التطوّر والرقیّ لایتحقّق إلّا بعد النضوج الفکریّ ومرور الزمان.

۳. تکامل وسائل الاتّصال

لا شکّ فی أنّ تأسیس حکومه عالمیّه یسودها العدل تتطلّب وجود وسائل اتّصالات متکامله لیتسنی من خلالها اِبلاغ الناس بالمقرّرات والأحکام اللازمه فی أسرع وقت ممکن، وهذا الأمر أیضاً لا یتحقّق إلّا عن طریق تکامل الصناعه البشریّه ومرور الزمان.

۴. تربیه الکوادر الکفوءه

لا تتحقّق أهداف حکومه المصلح العالمی إلّا بعد امتلاکها الکادر المتمتّع بالحیویّه والنشاط، وهذا الأمر بحاجه إلی مرور الزمان.

وبشکلٍ عامٍّ، فإنّ غیبه الإمام المهدی (عج) هی اختبار إلهی للبش-ریه، والاختبار بالطبع یکشف البواطن ویزرع فی نفوس الناس روح الصبر الصمود والاستقامه، وغیرها من الفضائل الأخلاقیّه. والهدف من جمیع الاختبارات الإلهیّه للأنبیاء والأولیاء: هو بلوغ المراتب العلیا عند الله تعالی، ومن هنا ابتلی اللهُ إبراهیمَ، فلمّا وجده لائقاً اصطفاه للإمامه. وهکذا سائر الناس، کلٌّ حسب استعداده، وکلّ من یفوز فی الاختبارات الإلهیّه یکون مؤهّلاً للانخراط فی رکب الإمام المهدی (عج) عند ظهوره.

وعموماً فهذه المقدّمات الأربعه تحتاج إلی زمان لتتهیأ الأرضیّه وتتهیأ الأجواء وتتهیأ النفوس لتقبّل الحکومه العالمیّه المبتنیه علی أساس الحقّ والعدل، وهذا ما یکشف لنا جزءاً من حکمه غیبه الإمام المهدی (عج) .

ص: ۱۵۲

ص: ۱۵۳

الفصل السابع: المسائل الفقهيه

۱. طريقه غسل اليدين عند الوضوء

السؤال الـذى يطرح هنـا، هو : لمـاذا يغسل الشـيعه أيـديهم فى الوضوء من الأعلا إلى الأسـفل فى حين أهل السـنّه يغسـلونها من الأسفل الى الأعلا؟

الجواب : نحن نعلم أنّ الوضوء من مقدّمات الصلاه. قال تعالى:

(يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاهِ فَاغْسِـلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وامْسَـحُوا بِرُؤُسِـكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) (المائده: ۶) .

وسيتضح لنا فيما يلى سبب غسل الشيعه أيديهم فى الوضوء من الأعلا إلى الأسفل:

۱. لكلمه (اليد) فى اللغه العربيّه استعمالات مختلفه، فهى قد تُطلق على الأصابع فقط، أو من الأصابع إلى المعصم، أو من الأصابع إلى المرفق، أو من الأصابع إلى الكتف.

۲. المقدار الواجب فى غسل الأيدى هو القسم الواقع بين المرافق وأطراف الأصابع، والمقصود من (إِلَى) هنا تحديد الجزء الذى يجب غسله، وليس المقصود أن تبدأ عمليّه الغسل من الأصابع وتنتهى إلى المرافق.

ص: ۱۵۴

إذن، نسـتنتج بأنّ لليـد معانى متعدّده، وهذه الآيه فى مقام بيان المقدار المطلوب لغسل الأيدى. فأكّدت على المقدار الذى يجب غسله هو (إِلَى الْمَرافِقِ) ، وهى ليست فى مقام بيان كيفيّه الغسل ومن أين يبدأ وإلى أين ينتهى؟

ومثـال ذلك أن يقول الطبيب للمريض: يجب عليك أن تغسل رجليك إلى الركبتين. ولا يخفى بأنّ مقصود الطبيب هنا تحـديد المقدار الذى يجب غسله، وليس المقصود لزوم غسل الرجل، بحيث يبدأ الغسل من أصابع الرجل، وينتهى إلى الركبتين.

فالآيه بصدد بيان المقدار المطلوب غسله من الأيدى فى الوضوء، وأمّا كيفيه الوضوء، فقد بيّنتها السنّه والأحاديث الشريفه الوارده عن أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) ، وهى صريحه بأنّ الكيفيّه التى أرادها الله تعالى هى غسل الأيدى ابتداءاً من المرافق.

وهـذه الطريقه أيضـاً هى الطريقه المتعـارفه عنـد عامه الناس عنـدما يُؤمروا بغسل أيـديهم، فإذا قلت لشـخص: اغسل يـديك إلى الكتف، فإنّه لا يفهم لزوم بدء غسلها من الأصابع باتّجاه الكتف، بل يفهم بأنّ عليه أن يغسل يديه، فيغسلها بصوره لا شعوريّه من الأعلا إلى الأسفل.

۲. مسح الرجلين بدلاً من غسلهما

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لماذا يمسح الشيعه أرجلهم فى الوضوء بدلاً من غسلها؟

الجواب : أمرنا القرآن الكريم وكذلك الأحاديث الش-ريفه بمسح أرجلنا فى الوضوء، لا غسلها.

فالآيه السادسه من سورهالمائده تكشف بأنّ الوضوء يتحقّق بأمرين، هما:

ص: ۱۵۵

۱. غسل الوجه واليدين.

۲. مسح الرأس والرجلين.

وهذا ما يمكن الإلمام به من خلال المقارنه بين العبارتين التاليتين فى قوله تعالى:

۱. (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ) .

۲. (وامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) .

فلوعرضنا هاتين العبارتين على شخص عربى، غير مطّلع على الاختلافات الفقهيّه المطروحه حول هذه الآيه، فإنّه سيقول من دون شكّ بأنّ الوضوء هو غسل الوجه واليدين، ومسح الرأس والرجلين.

ومن الناحيه اللّغويه، فلفظ (أَرْجُلَكُمْ) يجب عطفه على كلمه (رُؤُسِكُمْ) . وهذا يُثبت لزوم مسح الأرجل، ولا يمكن عطف (أَرْجُلَكُمْ) على (أَيْدِيكُمْ) وادّعاء وجوب غسل الأرجل؛ لأنّ هذا العطف تتبعه جمله اعتراضيه بين المعطوف (أَرْجُلَكُمْ) والمعطوف عليه (أَيْدِيكُمْ) وهى عباره (فَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ) . وهذا الأمر لايطابق قواعد اللغه العربيّه، ويوجب الوقوع فى الخطأ فى فهم المقصود.

علماً بأنّ مسح الأرجل لا يوجد فرق بين قراءه الجر وقراءه النصب، وعلى ضوء القراءتين تكون (أَرْجُلَكُمْ) معطوفه على (رُؤُسِكُمْ) ، ولكن مع هذا الفرق بأنّها اذا كانت معطوفه على لفظ رؤوسكم، فهى مجروره، وإذا كانت معطوفه على محلّها فهى منصوبه.

وقد تحدّث علماء الإماميّه عن آيه الوضوء فى بحوث كثيره، وقد أشار الطبرسى فى مجمع البيان إلى بعض هذه البحوث. (۱)

۱- انظر: مجمع البيان، ج ۲، صص ۱۶۳-۱۶۷. .

منشأ الاختلاف

اشاره

تكشف آيه الوضوء بأنّ المطلوب فى الوضوء، هو مسح الأرجل، ومضمون الآيه لا يخلومن أمرين:

١. غسلتان: غسل الوجه واليدين.

٢. مسحتان: مسح الرأس والرجلين.

وعندما كان يسأل ابن عبّاس عن كيفيّه الوضوء، فإنّه كان يقول:

نزل القرآن بالمسح. ويقول أيضاً: «نزل القرآن بالمسح وجرت السنّه بالغسل» . (١)

والجدير بالبحث هنا هو معرفه سبب نشوء الاختلاف، وذلك من خلال دراسه الأحاديث الشريفه ودراسه تأريخ تش-ريع الوضوء، وهناك سببان لذلك، هما كما يلى:

١. السلطات الحاكمه

كان للسلطات الحاكمه بعد وفاه الرسول (ص) الدور الأساسى فى تغير حكم المسح على الأرجل فى الوضوء، ولا سيّما فى زمن الحجّاج بن يوسف الذى كان يصرّ على غسل الرجلين معتقداً أنّه أفضل، لأنّه يؤدّى إلى نظافه أرجل المصلّين.

وعندما علم الصحابىّ أنس بن مالك بأنّ الحجّاج أمر بغسل الرجلين فى الوضوء، سخط سخطاً شديداً. فقد ذكر المؤرخون والمفسرون مايلى:

عندما قال الحجّاج: «إغسلوا بطونهما وظهورهما» ، غضب أنس لذلك،

١- الدر المنثور، ج ٣، صص ١ - ۴. .

وقال: «صدق الله، وكذب الحجّاج، قال الله تعالى: (وامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ) » . (١)

وكان إصرار حكومه بنى أميّه على غسل الرجلين شديداً جدّاً، بحيث لم يجرؤ أحد من الفقهاء آنذاك بالاعتراض عليهم.

روى أحمد بن حنبل بسنده عن أبى مالك الأشعرى أنّه قال لقومه:

اجتمعوا أصلّی بکم صلاه رسول الله. فلمّا اجتمعوا، قال: هل فیکم أحد غیرکم؟

قالوا: لا. فدعا بجفنهٍ فیها ماءٌ، فتوضّأ ومضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثاً وذراعیه ثلاثاً، ومسح برأسه وظهر قدمیه، ثمّ صلّی. (۲)

۲. تقدیم المصلحه الخاصّه علی النصّ القرآنی

من الأمور التی أدّت إلی نشوء الکثیر من البدع هی مسأله تقدیم المصلحه علی الکتاب والسنّه، وقد أشرنا فی کتابنا (البدعه) إلی بعض البدع التی نشأت لهذا السبب، ومن هذه البدع بدعه غسل الأرجل فی الوضوء.

أبوبکر الرازی المعروف بالجصّاص (ف ۳۷۰ه) ذکر فی کتابه (أحکام القرآن) ، بأنّ آیه الوضوء من ناحیه وجوب المسح أو وجوب الغسل مجمله، والاحتیاط یقتضی غسل الأرجل؛ لأنّ من یغسل رجله فقد قام بالغسل والمسح معاً. (۳)

ولکن الادّعاء بأنّ آیه الوضوء مجمله، لا ینسجم مع مضمون الآیه الذی

۱- انظر: تفسیر الطبری، ج ۶، ص ۸۲؛ تفسیر القرآن لابن کثیر، ج ۲، ص ۲۰.
۲- مسند أحمد، ج ۵، ص ۳۴۲؛ المعجم الکبیر للطبرانی، ج ۳، ص ۲۸.
۳- انظر: أحکام القرآن، ج ۲، ص ۳۴۶. .

هو بیان وظیفه المکلّف، أضف إلی ذلک فإنّ الاحتیاط یقتضی أن یتوضّأ المرء مرّتین؛ لأنّ المسح یختلف عن الغسل. وصاحب تفسیر (المنار) لا ینکر ظهور الآیه فی لزوم المسح علی الأرجل، ولکنّه یقول إنّ مسح الأرجل المتّسخه یزید فی وساختها.

ولکنّه غفل بأنّ الوضوء غیر مختصّ بالبدو والأشخاص الذین لایهتمون باالنظافه، بل التشریع الإلهی یشمل أهل المدینه والبادیه معاً، وأحکام الله لاتتغیّر إلی قیام الساعه.

ونسأل مؤلف المنار: ما هی الفائده المتوخّاه من المسح علی الرأس بأصبع واحد - کما أجازه الشافعی -؟

فلماذا یکون المسح علی الرأس باصبع واحد جائزاً، ولکنّ المسح علی الأرجل غیر جائزٍ؟ !

أضف إلی ذلک، فأنّ الحکمه من الوضوء لا تقتصر علی النظافه، بل هی عباده. وهو واجبٌ علی أنظف الناس أیضاً، والإنسان غیر النظیف - أیضاً - ینبغی علیه أن یغسل رجلیه أولاً، ثمّ یتوضّأ.

تحدّثنا حتی الآن عن آیه الوضوء. وأمّا أدله السنّه علی لزوم مسح الأرجل فی الوضوء فهی کما یلی:

قد یتصوّر البعض بأنّ کتب أهل السنّه لا تتضمّن أحادیث نبویه حول لزوم المسح علی الأرجل فی الوضوء، ولکنّ الواقع لیس

كذلک، حیث عثرت علی أکثر من ثلاثین حدیثاً، کلّها تبیّن بأنّ النبی (ص) والصحابه کانوا یمسحون علی الأرجل فی وضوئهم.

فالدلاله الواضحه لآیه الوضوء والأحادیث النبویّه علی لزوم المسح توجب علی فقهاء أهل السنّه أن یعیدوا النظر فی هذه المسأله.

ص: ۱۵۹

وهذا ما یقرّبهم إلی الوحده الإسلامیّه علی الصعید العملی، کما أنّهم إذا أفتوا بلزوم المسح علی الأرجل فی الوضوء فإنّهم سیتبعون بموقفهم هذا الکثیر من کبار الصحابه والتابعین، منهم:

۱. أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (ع) الذی قال:

«رأیت رسول الله یمسح ظاهرهما» . (۱)

۲. جابر بن عبد الله، حیث نقل عن الإمام محمّد بن علی بن الحسین:

- المعروف بباقر العلوم، وهو الذی اتّفق الجمیع علی عظمته وجلاله قدره وفقاهته (۲)- أنّه (ع) قال له: «امسح علی رأسک وقدمیک» . (۳)

۳. عن بسر بن سعید أنّه قال:

«أتی عثمان المقاعد، فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق، ثمّ غسل وجهه ثلاثاً، ویدیه ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه ورجلیه ثلاثاً ثلاثاً، ثمّ قال: «رأیت رسول الله هکذا توضّأ. . .» . (۴)

۴. عن حمران أنّه قال: «دعا عثمان بماء فتوضّأ، ثمّ ضحک، ثمّ قال: ألا تسألونی ممّ أضحک؟ قالوا: یا أمیرالمؤمنین ما أضحککَ؟ قال: رأیت رسول الله توضّأ کما توضّأت، فتمضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثاً، ویدیه ثلاثاً، ومسح برأسه وظهر قدمیه» . (۵)

۵. رُوی فی مسند عبدالله بن زید المازنی: «إنّ النبی توضّأ فغسل وجهه ثلاثاً،

۱- مسند أحمد، ج ۱، ص ۱۵۳.

۲- تذکره الحفاظ، ج ۱، ص ۱۲۴.

۳- تفسیر الطبری، ج ۶، ص ۸۲.

۴- مسند أحمد، ج ۱، ص ۱۰۹.

۵- کنز العمال، ج ۹، ص ۴۳۶. .

ص: ۱۶۰

ویدیه مرتین، ومسح رأسه ورجلیه مرتین» . (۱)

۶. عبد الله بن عبّاس کان یقول دائماً: «إنّ الوضوء غسلتان ومسحتان» . (۲)

۷. رُوی عن عامر الشعبی أنّه قال: «أمر أن یمسح بالصعید فی التیمّم ما أمر أن یغسل بالماء، وأهمل ما أمر أن یمسح بالماء» . (۳)

۸. قال الصحابیّ رفاعه بن رافع إنّ رسول الله (ص) کان یمسح رأسه ورجلیه إلی الکعبین. (۴)

۹. الصحابیّ أبومالک الأشعری کان یعلم عشیرته وضوء النبی (ص) ، وکان یمسح علی رأسه وظهر قدمیه. (۵)

۱۰. روی الصحابی رفاعه بن رافع عن رسول الله (ص) أنّه قال:

«لا تتمّ صلاه أحدکم حتّی یسبغ الوضوء کما أمر الله، فیغسل وجهه ویدیه إلی المرفقین، ویمسح برأسه ورجلیه إلی الکعبین» . (۶)

ونحن نکتفی فی هذا المقام بذکر أقوال ومواقف هؤلاء العش-ره من الصحابه والتابعین الذین کانوا یمسحون علی أرجلهم فی الوضوء، ومن أراد المزید، فلیراجع کتابنا (الإنصاف فی مسائل دام فیها الخلاف) . (۷)

۳. (حیّ علی خیر العمل) فی الأذان

السؤال الذی یطرح هنا، هو : لماذا یقول الشیعه فی الأذان والإقامه عباره

۱- کنز العمال، ج ۹، ص ۴۵۱.

۲- تفسیر الطبری، ج ۶، ص ۸۲.

۳- المصدر نفسه.

۴- سنن ابن ماجه، ج ۱، ح ۴۶۰؛ سنن النسائی، ج ۲، ص ۲۲۶.

۵- مسند احمد، ج ۵، ص ۳۴۲.

۶- مسند احمد، ج ۵، ص ۳۴۲.

۷- المجلّد الأوّل، صص ۵۶ - ۹۵. .

(حیّ علی خیر العمل) ؟

الجواب : یقول الشیعه فی الأذان عباره (حیّ علی خیر العمل مرّتین، وذلک بعد عباره (حیّ علی الفلاح) .

وقد ورد فی أحادیث أئمّه أهل البیت (علیهم السلام) بأنّها جزء من الأذان. ولمعرفه سبب حذف هذه العباره من الأذان عند أهل

السنّه، فلابدّ من البحث من أجل معرفه ذلک.

ذکرنا آنفاً مسأله تقدیم المصلحه، ویجد کلّ متأمّل فی التأریخ الإسلامی بأنّ هذه المسأله اشتهرت فی عصر الخلیفه الثانی، بحیث أدّی الأمر إلی تقدیم المصلحه علی الکتاب والسنّه فی العدید من الموارد.

ومثال ذلک أنّنا نجد فی عصر الرسول (ص) وفی زمن الخلیفه الأوّل وحتّی فی وقتٍ من خلافه الخلیفه الثانی، کان إیقاع الطلاق ثلاث مرّات فی المجلس الواحد یعدّ إیقاعاً واحداً، ولکن فی منتصف فتره خلافه الخلیفه الثانی تغیّر الحکم، وأصبح إیقاع الطلاق ثلاث مرّات فی المجلس الواحد یعدّ ثلاث إیقاعات، ولا یکون للزوج بعد ذلک حقّ الرجوع إلی زوجته. (۱)

وسنوضّح أنّ حذف عباره: (حیّ علی خیر العمل) من الأذان أیضاً، قد کان فی عهد الخلیفه الثانی.

وتثبت البحوث التأریخیه بأنّ عباره (حیّ علی خیر العمل) کانت من الأجزاء الثابته والأساسیّه فی الأذان، وکان المؤذّنون یقولونها فی أذانهم فی عهد النبی (ص) ، وبعد وفاته أیضاً ثمّ حذفت السلطه هذه العباره من الأذان لسبب أو أسباب ما.

۱- الانتصار، ص ۱۳۷، باب وجوب قول: «حی علی خیر العمل» . .

أ) قال السیّد المرتضی: «وقد روت العامه أنّ ذلک: (حی علی خیر العمل) ممّا کان یقال بعض أیّام النبی (ص) ، وإنّما ادّعی أنّ ذلک نسخ ورفع» . (۱)

ب) قال ابن عربی فی الفتوحات المکیّه: «فی غزوه الخندق، إذ کان الناس یحفرون، فجاء وقت الصلاه فنادی منادی من أهل الخندق: (حیّ علی خیر العمل) - فما أخطأ من جعلها فی الأذان، بل اقتدی - إن صحّ الخبر- أو سنّ سنّه حسنه» . (۲)

ج) قال شرف الدین المعروف بالسیاغی المتوفّی سنه ۱۲۲۱هفی کتاب (الروض النضیر) : «الصحیح أنّ الأذان شرع بحیّ علی خیر العمل؛ لأنّه اتّفق علی الأذان به یوم الخندق» . (۳)

د) . وأتباع المذاهب الإسلامیّه الثلاث: الإمامیّه والزیدیّه والإسماعیلیّه، الذین هم أتباع مذهب أهل البیت (علیهم السلام) ، یعتقدون بأنّ عباره: (حیّ علی خیر العمل) جزء من الآذان. (۴)

ونذکر فیما یلی بعض الأحادیث الشریفه الوارده فی هذا المجال:

۱. نقل المتّقی الهندی فی کنز العمّال عن معجم الطبرانی: «کان بلال یؤذّن بالصبح، فیقول: حیّ علی خیر العمل» . (۵)

۲. نقل الحافظ العلوی الزیدی ۳۶۷-۴۴۵هفی رسالته «الأذان بحیّ علی خیر العمل» ، عن الصحابیّ أبی محذوره أنّه قال: «کنت غلاماً صبیّاً

۱- الفتوحات المکیه، ج ۱، ص ۴۰۰.

۲- الاعتصام بالکتاب والسنه، صص ۱۷۵ - ۲۱۰.

۳- الروض النضیر، ج ۱، ص ۵۴۲.

۴- انظر: کتاب الاذان بحیّ علی خیر العمل للحافظ العلوی، ص ۹۱.

۵- کنز العمّال، ص ۲۴۳. .

ص: ۱۶۳

فأذّنت بین یدی رسول الله، فلما انتهیت إلی حیّ علی الفلاح، قال النبی (ص) : «

ألحق فیها: حیَّ علی خیر العمل (۱)» .

وأجمع أهل السیر بأنّ (حی علی خیر العمل) کانت جزءاً من الأذان فی غزوه حنین، (۲)وقد وقعت هذه الغزوه فی أواخر السنه الثامنه للهجره، حیث وقعت بعد فتح مکّه.

وهذا یدلّ علی أنّ (حیّ علی خیر العمل) کانت جزءاً من الأذان فی عهد الرسول (ص) .

فی رساله (الأذان بحیّ علی خیر العمل) ، تألیف الحافظ العلوی الزیدی وهو من علماء الزیدیّه، وفی رساله (الاعتصام بحبل الله) ، تألیف الإمام القاسم بن محمّد الزیدی ۱۰۲۹ه، وهو أیضاً من علماء الزیدیّه، ذکرت قائمه تتضمّن أسماء کبار الصحابه والتابعین الذین کانوا یقولون فی أذانهم (حیّ علی خیر العمل) .

ولم نذکر أسماء هؤلاء الصحابه مراعاه للاختصار، ومن أراد التعرّف علی أسمائهم، فلیراجع هاتین الرسالتین.

إذن، یجب علینا أن لا نتردّد فی أصل تشریع هذا الجزء من الأذان، بل یجب علی من حذف هذا الجزء من الأذان أن یُبرّر فعله فی حذف ما شرّع الله تعالی.

ولکن مع الأسف لا یوجد سبب یبرّر به هؤلاء عملهم هذا إلّا تقدیم مصالحهم الشخصیّه علی الشرع.

۱- الاذان بحی علی خیر العمل، صص ۲۶، ۲۷، ۲۹؛ الاعتصام بحبل الله، تألیف الإمام قاسم بن محمّد الزیدی ۱۰۲۹ه.

۲- انظر: مسند أحمد، ج ۳، ص ۴۰۸. .

ص: ۱۶۴

وینقل الحافظ العلوی فی رساله (الأذان بحیّ علی خیر العمل) حدیثاً، عن الحسن بن یحیی بن الحسین بن زید بن علی، یبیّن أنّ آل الرسول (ص) أجمعوا علی أنّ (حیّ علی خیر العمل) هی جزء من الأذان.

وكان المؤذّنون فی زمن أبی بکر یـذکرون هذا الجزء فی أذانهم، ولکن عندما سیطر عمر علی الخلافه قال: «دعوا حیّ علی خیر العمل، لئلّا یشتغل الناس عن الجهاد، فکان أوّل من ترکها» . (۱)

وذکر المحقّق المعروف، سعد الـدین التفتـازانی ۷۱۲-۷۷۹هفی شـرح المقاصـد حـدیثاً ذکره أیضاً المتکلّم الأشـعری المعروف علاء الدین القوشجی ۸۷۹ه، جاء فیه:

«خطب عمر بن الخطّاب. وقال: أیّها الناس، ثلاث کنّ علی عهـد رسول الله أنا أنهی عنهن وأحرّمهن، وأعاقب علیهن، وهی: متعه النساء، ومتعه الحجّ، وحیّ علی خیر العمل» . (۲)

ونَهیُ عمر فی هـذا المجـال علی ضوء المصـلحه التی رآهـا، هو حجّه علی نفسه فقـط، ولا یحقّ له فرض رأیه علی الآخرین، ولا سیّما علی أجیال المستقبل.

والحقیقه أنّ کلام عمر فی هـذا المجال هو اجتهاد فی مقابل النصّ. وإذا اتّضـح واقع الأمر لمن جاء بعـد عمر، فعلیهم أن یقـدّموا السنّه ویرفضوا البدعه، ولا سیمّا مع تغیّر معیار اجتهاد عمر وانتفاء وجود جهاد ضدّ الکفر والشرک.

۱- الأذان بحی علی خیر العمل، ص ۲۹.
۲- شرح المقاصد، ص ۲۸۳۵؛ شرح القوشجی، مبحث الإمامه. .

وحیث إنّ قبول هذه البدعه غیر جائزٍ، فقد رفضه بعض علماء أهل السنّه وأصرّوا علی لزوم ذکر (حیّ علی خیر العمل) فی الأذان والإقامه.

ومن هؤلاء برهان الـدین الحلبی ۹۷۵-۱۰۴۴هالـذی حیث قـال فی کتـابه السیره: «ونقل عن إبن عمر وعن الإمام زین العابـدین [(ع)] أنّهما کانا یقولان فی أذانیهما بعد: (حیّ علی الفلاح) ، (حیّ علی خیر العمل)» . (۱)

وقـد تحـوّلت عبـاره: (حیّ علی خیر العمـل) إلی شـعار ضـدّ المخـالفین، فلهـذا نجـد علی مرّ العصور أنّ الموافق والمخـالف قد استخدماها، ومن ذلک: نجـد فی ثورات الحسـنیین عنـدما هیمن الحسین بن علی بن الحسن (صاحب فخّ) علی المدینه، ارتقی عبدالله بن الحسن الأفطس المناره التی عند رأس النبیّ [(ص)] عند موضع الجنائز، فقال للمؤذن: أذّن بحیّ علی خیر العمل. (۲)

کما نجد بأن الشیعه فی ظلّ دوله آل بویه، حیث کان لهم میول شیعیّه، رفعوا شعار (حیّ علی خیر العمل) فی أذانهم، ثمّ عندما جاء من بعدهم السلاجقه منعوا المؤذّنین من ذلک.

والغریب أنّهم أمروا أن یُقـال فی أذان الصبح بـدل (حی علی خیر العمـل) عباره (الصـلاه خیر من النوم) مرّتین. وکان ذلک فی عام ۴۴۸ه.

۴. الشهاده بولايه الإمام على (ع) فى الأذان

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لماذا يقول الشيعه فى أذانهم (أشهد أنّ عليّاً ولى الله) ؟

۱- السيره للحلبى، ج ۲، ص ۳۰۵.

۲- مقاتل الطالبيين، صص ۲۸۴ - ۳۵۶. .

ص: ۱۶۶

الجواب : يقول الشيعه فى أذانهم (أشهد أنّ عليّاً ولى الله) بعد (أشهد أنّ محمّداً رسول الله) ، وهذه الطريقه سائده فى جميع بلدان الشيعه، ويجدر بنا فى هذا المقام بيان أمور، منها:

۱. أجمع فقهاء الشيعه على أنّ الشهاده الثالثه (أشهد أنّ عليّاً ولى الله) ليست جزءاً من الأذان؛ ولهذا عندما يذكرون أجزاء الأذان يقولون إنّها ثمانيه عشر جزءاً، وهى عباره عن:

۱. التكبير (أربع مرّات) .

۲. أشهد أن لا اله الّا الله (مرّتان) .

۳. أشهد أنّ محمّداً رسول الله (مرّتان) .

۴. حىّ على الصلاه (مرّتان) .

۵. حىّ على الفلاح (مرّتان) .

۶. حىّ على خير العمل (مرّتان) .

۷. الله أكبر (مرّتان) .

۸. لا إله إلّا الله (مرّتان) .

وهذا ما اتّفق عليه جميع فقهاء الشيعه.

۲. إذا قرأ شخص الشهاده الثالثه، وهو يعتقد بأنّها جزء من الأذان، فقد ارتكب فعلاً محرّماً.

۳. ذكر الشهاده الثالثه فى الأذان من دون قصد الجزئيّه جائزٌ أو مستحبّ، وهذا الاستحباب مبتنى على أمرين، هما:

أ) الإمام على (ع) هو ولى الله، وقد شهد بذلك القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) .

ب) أمرنا الإمام الصادق (ع) بأنّنا إذا قلنا: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» ،

ص: ۱۶۷

فعلينا أن نتبعها بقولنا: «أشهد أن عليّاً ولى الله» .

وأمّا بالنسبه إلى ولايه الإمام على (ع) ، فخير شاهد عليها فى الأحاديث الشريفه هو حديث الغدير، والأحاديث المتواتره الوارده عن الرسول (ص) كقوله:

«يا علىّ، أنت ولى كلّ مؤمن بعدى» . (۱)

وأما القرآن الكريم أيضاً، فقد شهد للإمام على (ع) بالولايه، وقال تعالى: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ ويُؤْتُونَ الزَّكاهَ وهُمْ راكِعُونَ * ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ) (المائده: ۵۵ و۵۶) .

وقد اتّفقت آراء المفسّرين بأنّ هذه الآيه نزلت فى شأن أميرالمؤمنين على (ع) ؛ وذلك عندما دخل فقيرٌ إلى مسجد الرسول (ص) ، وطلب المساعده من الناس، وكان الإمام على (ع) راكعاً، فمدّ يده إلى الفقير، وأشار إليه بأن يأخذ الخاتم الذى كان فيها، وعندئذ نزلت هاتان الآيتان.

والشواهد الدالّه على هذه الآيه كثيرهٌ ولا مجال لذكرها بالتفصيل هنا، ولكن نشير - على سبيل المثال - إلى بعض المصادر فى الهامش. (۲)

إذن، يتّضح لنا من هذه الآيات ومن الآيات والأحاديث الكثيره الأخرى بأنّ الإمام علىّ (ع) هو ولى الله.

وأمّا بالنسبه إلى ماقاله الامام الصادق (ع) ، فقد نقل القاسم بن معاويه،

۱- كنز العمّال، ج ۶، ص ۳۹۶.

۲- تفسير الطبرى، ج ۶، ص ۸۶؛ أحكام القرآن لابى بكر الجصّاص، ج ۲، ص ۵۴۲؛ أسباب النزول، ص۱۴۸؛ الكشاف، ج ۱، ص ۴۲۲. و قد نقل العلامه الأمينى ۶۶ مصدراً من مصادر أهل السنّه تبيّن بأنّ شأن نزول هاتين الآيتين هو الإمام على بن أبى طالب (ع) ، و حتّى حسّان بن ثابت كان حاضراً فى هذه الواقع فانشد: فأنت الذى أعطيت إذ أنت راكع فدتك نفوس القوم يا خير راكع

ص: ۱۶۸

وهو من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم (ع) عن الصادق (ع) قوله: «

إذا قال أحدكم لا إله الا الله، محمّد رسول الله فليقل: على أميرالمؤمنين » . (۱)

نستنتج ممّا تقدّم بأنّه لا يوجد أحد من الشيعه يعتقد بجزئيه الشهاده الثالثه فى الأذان، وبعض الشيعه أيضاً يذكرون هذه الشهاده فى الإقامه مرّه واحده ليميزها بهذه الطريقه عن أجزاء الإقامه، وبهذه الصوره لا محذور من ذكر الشهاده الثالثه فى الأذان والإقامه.

۵. عدم تكتّف الشيعه فى الصلاه

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لماذا لا يتكتّف الشيعه فى الصلاه؟

الجواب : وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى فى الصلاه هو أمرٌ مستحبٌّ عند فقهاء المذاهب الثلاثه، من بين مذاهب أهل السنّه الأربعه.

قالت الحنفيه: إنّ التكتّف مسنون وليس بواجب، والأفضل للرجل أن يضع باطن كفّه اليمنى على ظاهر كفّه اليسرى، تحت سرّته، وللمرأه أن تضع يديها على صدرها.

وقالت الشافعيه:

«يسنُّ للرجل والمرأه، والأفضل وضع باطن يمناه على ظهر يس-راه تحت الصدر وفوق السرّه ممّا يلى الجانب الأيسر» .

وقالت الحنابله:

«إنّه سنّه، والأفضل أن يضع باطن يمناه على ظاهر يسراه، ويجعلها تحت السره» .

۱- الاحتجاج للطبرسى، ص ۸۳ .

وشذّ عنهم المالكيه، فقالوا:

يُندب إسدال اليدين فى الصلاه الفرض.

وقالت بذلك جماعه أيضاً قبلهم، منهم: عبدالله بن الزبير، وسعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، وعطاء، وابن جريح، والنخعى، والحسن البصرى، وابن سيرين وجماعه من الفقهاء.

والمنقول عن الإمام الأوزاعى التخيير بين التكتّف والسدل. (۱)

وأمّا الشيعه الإماميه، فالمشهور عندهم أنّه حرام ومبطل للصلاه، وشذّ منهم من قال بأنّه مكروه، كالحلبى فى الكافى. (۲)

کیفیّه صلاه النبی (ص)

اشاره

إنّ علماء مذاهب أهل السـنّه، باستثناء المالکیّه، قد اعتبروا التکتّف فی الصلاه سنّهً وتحدّثوا کثیراً عن ذلک، لکن لیس لهم دلیل مقنع علی جوازه فی الصلاه، فضلاً عن کونه مندوباً، بل یمکن أن یُقال: إنّ الدلیل علی خلافهم، والروایات المرویّه عن الفریقین والتی تُبیّن صـلاه الرسول (ص) ، لم یُذکر فیها التکتّف مطلقاً؛ ولو کان هذا الأمر مندوباً لما ترکه رسول الله (ص) ، لأنّه لایترک المندوب أبداً.

وإلیک ثلاثه نماذج من هـذه الروایات: واحـدهٌ عن طریق الشیعه، والأخریان عن طریق أهل السـنّه، وهی تُبیّن کیفیّه صـلاه النبیّ (ص) ولیست فیها أیّه إشاره إلی التکتّف، فضلاً عن ذکر تفاصیله.

۱- انظر: الفقه علی المذاهب الخمسه لمحمّد جواد مغنیه، ص ۱۱۰؛ رساله مختصره السدل للدکتور عبدالحمید، ص ۵.

۲- جواهر الکلام، ج ۱۱، صص ۱۵و ۱۶. .

أ) حدیث أبی حمید الساعدی

روی حدیث أبی حمید الساعدی غیر واحد من المحدّثین، ونحن نذکره هنا بنص البیهقی. قال:

أخبرنـا أبوعبـدالله الحافظ: فقـال أبوحمیـد الساعـدی: أنا أعلمکم بصـلاه رسول الله (ص) ، قالوا: لِمَ، ما کنت أکثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبه! قال: بلی. قالوا: فأعرض علینا، فقال: کان رسول الله (ص) إذا قام إلی الصلاه رفع یدیه حتی یحاذی بهما مَنْکَبیه، ثمّ یکبّر حتّی یقرّ کـلّ عضو منه فی موضـعه معتـدلاً، ثمّ یقرأ، ثمّ یکبّر ویرفع یـدیه حتّی یحـاذی بهمـا منکبیه، ثمّ یرکع ویضع راحتیه علی رکبتیه، ثمّ یعتدل ولا ینصب رأسه ولا یقنع ثمّ یرفع رأسه، فیقول: «سمع الله لمن حمده» ، ثمّ یرفع یدیه حتّی یحاذی بهما منکبیه حتّی یعود کلّ عضو منه إلی موضـعه معتدلاً، ثم یقول: «الله أکبر» ، ثمّ یهوی إلی الأرض فیجافی یدیه عن جنبیه، ثمّ یرفع رأسه، فیثنی رجله الیسـری فیقعـد علیها ویفتـح أصابع رجلیه إذا سـجد، ثم یعود، ثم یرفع فیقول: «الله أکبر» ، ثمّ یثنی برجله فیقعد علیها معتدلاً حتّی یرجع أو یقرّ کل عضو موضـعه معتدلاً، ثمّ یصـنع فی الرکعه الأُخری مثل ذلک، ثمّ إذا قام من الرکعتین کبّر ورفع یدیه حتّی یحاذی بهما منکبیه کما فعل أو کبّر عند افتتاح صـلاته، ثمّ یصـنع مثل ذلک فی بقیّه صـلاته، حتّی إذا کان فی السجده التی فیها التسلیم أخّر رجله الیسری وقعد متورّکاً علی شقّه الأیسر.

فقالوا جمیعاً: صدَق هکذا کان یصلّی رسول الله (ص) . (۱)

۱- سنن البیهقی، ج ۲، صص ۷۲ - ۷۳، ۱۰۱- ۱۰۲؛ سنن أبی داود، ج ۱، ص ۱۹۴؛ سنن الترمذی، ج ۲، ص ۹۸؛ مسند أحمد، ج ۵، ص ۴۲۴، و ابن خزیمه فی صحیحه، باب الاعتدال فی الرکوع، برقم ۵۸۷. .

وهذا الحديث الذى يوضّح كيفيّه صلاه رسول الله (ص) مرويٌّ فى مصادر أهل السنّه.

وأمّا الحديث الذى اخترناه من مصادر الشيعه فى هذا المجال، فهو:

ب) حديث حمّاد بن عيسى

روى حمّاد بن عيسى، عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال:

«ما أقبح بالرجل أن يأتى عليه ستّون سنه أو سبعون سنه فما يقيم صلاه واحده بحدودها تامّه!» .

«قال حمّاد: فأصابنى فى نفس-ى الذلٌّ، فقلت: جعلت فداك! فعلّمنى الصلاه؟ فقام أبوعبدالله [(ع)] مستقبلَ القبله منتصباً فأرسل يديه جميعاً على فخذيه، قد ضمّ أصابعه وقرّب بين قدميه حتّى كان بينهما ثلاثه أصابع مفرجات، واستقبل بأصابع رجليه (جميعاً) لم يُحرفهما عن القبله بخشوع واستكانه، فقال: «الله أكبر» ، ثمّ قرأ الحمد بترتيل، وقل هو الله أحد، ثمّ صبر هنيئه بقدر ما تنفس، وهو قائم، ثم قال: «الله أكبر» ، وهو قائم ثمّ ركع وملأ كفّيه من ركبتيه مفرّجات، وردّ ركبتيه إلى خلفه حتّى استوى ظهره، حتّى لوصبت عليه قطره ماء أو دهن لم تزل لاستواء ظهره وتردّد ركبتيه إلى خلفه، ونصب عنقه، وغمض عينيه ثمّ سبح ثلاثاً بترتيل وقال: «سبحان ربى العظيم وبحمده» ، ثمّ استوى قائماً، فلمّا استمكن من القيام قال: «سمع الله لمن حمده» ، ثمّ كبّر وهو قائم، ورفع يديه حيال وجهه، وسجد، ووضع يديه إلى الأرض قبل ركبتيه وقال: «سبحان ربى الأعلى وبحمده» -ثلاث مرات- ولم يضع شيئاً من بدنه على شىء منه.

وسجد على ثمانيه أعظم: الجبهه، والكفّين، وعينى الركبتين، وأنامل إبهامى

الرجلين، والأنف، فهذه السبعه فرض.

ووضع الأنف على الأرض سنّه، وهو الإرغام، ثمّ رفع رأسه من السجود فلمّا استوى جالساً قال: «الله أكبر» ، ثمّ قعد على جانبه الأيس-ر، ووضع ظاهر قدمه اليمنى على باطن قدمه اليسرى، وقال: «أستغفر الله ربّى وأتوب إليه» ، ثمّ كبّر، وهو جالس وسجد الثانيه، وقال، كما قال فى الأُولى ولم يستعن بشىء من بدنه على شىء منه فى ركوع ولا سجود.

وكان مجنّحاً، ولم يضع ذراعيه على الأرض، فصلّى ركعتين على هذا» .

ثم قال:

يا حمّاد هكذا صلّ، ولا تلتفت، ولا تعبث بيديك وأصابعك، ولا تبزق عن يمينك ولا (عن) يسارك، ولا بين يديك. (۱)

نلاحظ أنّ الروايتين بصدد بيان كيفيّه الصلاه المفروضه على الناس، وليست فيهما أيّه إشاره إلى التكتّف بأقسامه المختلفه، فلوكان سنّه لما تركه الإمام فى بيانه، وهو بعمله يجسّد لنا صلاه الرسول (ص) ؛ لأنّه أخذه عن أبيه الإمام الباقر (ع) ، وهو عن آبائه، عن أميرالمؤمنين: ، عن الرسول الأعظم (ص) فيكون التكتّف بدعه؛ لأنّه إدخال شىء فى الشريعه وهو ليس منها.

ج) حديث المسىء فى صلاته

روى محدّثوا أهل السنّه أنّ رجلاً كان يصلّى والنبى (ص) ينظر إليه، فلمّا فرغ من صلاته جاء إلى النبى (ص) فسلّم عليه فردّ عليه السلام، ثمّ قال: «ارجع، فصلِّ فإنّك لم تصلِّ» .

١- الوسائل، ج ۴، الباب ١ من أبواب أفعال الصلاه، ح ١؛ الباب ١٧ منه، ح ١، ٢. .

فرجع وعمل فى صلاته الثانيه كما عمل فى صلاته الأُولى، ثمّ جاء إلى النبىّ (ص) فقال له: «ارجع فصلّ، فإنّك لم تصلِّ» ثلاث مرّات.

فأقسم الرجل أنّه لا يُحسِنُ من الصلاه إلّا ما فعل. فعندما اشتاق إلى العلم، وتهيّأ لقبوله، علّمه النبى (ص) كيف يصلّى. وقد روى هذا الحديث أبوهريره، حيث قال:

إنّ النبىّ (ص) ، قال: «إذا قمتَ إلى الصلاه فأسبغ الوضوء، ثمّ استقبل القبله، فكبّر به، ثمّ اقرأ ما تيسّر معك من القرآن، ثمّ أركع حتّى تطمئن راكعاً، ثمّ ارفع حتّى تعتدل قائماً، ثمّ اسجد حتّى تطمئن ساجداً، ثمّ ارفع حتّى تطمئن جالساً، ثمّ اسجد حتّى تطمئن ساجداً، ثمّ افعل ذلك فى صلاتك كلّها. (١)

فلوكان التكتّف سنّه مؤكّده أو أمراً مندوباً، لذكره النبى (ص) .

رأى عن أئمّه أهل البيت (عليهم السلام)

نستنتج ممّا ذكر أنّ التكتّف فى الصلاه يتعارض مع سنّه رسول الله (ص) ، لذلك فقد نهى عنه الأئمّه: ، واعتبروه فعلاً من طقوسى المجوس الذين يفعلونه بين يدى ملوكهم.

ونذكر فيها يلى بعض ما روى عنهم بهذا الصدد:

١. روى محمّد بن مسلم أنّه قال للإمام الصادق أو الباقر (ع) : الرجل يضع يده فى الصلاه - وحكى - اليمنى على اليس-رى؟ فقال (ع) :

«ذلك التكفير، لا يُفعل» . (٢)

۲. روی زراره، عن أبی جعفر (ع) أنّه قال:

«وعلیک بالإقبال علی صلاتک،

۱- صحیح البخاری، ج ۱، ص ۱۸۹؛ صحیح مسلم، ج ۲، ص ۱۱.
۲- وسائل الشیعه، ج ۴، الباب ۱۵ من أبواب قواطع الصلاه، ح ۱. .

ولا تکفّر، فإنّما یصنع ذلک المجوس» . (۱)

۳. روی الصدوق بإسناده عن الإمام علی (ع) أنّه قال:

«وعلیک بالإقبال علی صلاتک، ولا تکفّر، فإنّما یصنع ذلک المجوس» . (۲)

۴. روی الصدوق بإسناده عن الإمام علی (ع) أنّه قال:

«لا یجمع المسلم یدیه فی صلاته، وهو قائم بین یدی الله عزّوجلّ یتشبّه بأهل الکفر» . یعنی: المجوس. (۳)

وفی الختام نلفت نظر القارئ إلی حدیثٍ للدکتور علی السالوس. فهو بعد أن نقل آراء فقهاء الفریقین، وصف القائلین بالتحریم والإبطال بقوله: «وأُولئک الذین ذهبوا إلی التحریم والإبطال، أو التحریم فقط، یمثّلون التعصّب المذهبی وحبّ الخلاف، تفریقاً بین المسلمین» . (۴)

ولکن، ما ذنب الشیعه إذا هداهم الاجتهاد والبحث فی الکتاب والسنّه إلی أنّ التکتّف أمر شُرِّع بعد النبی الأکرم (ص) ؟ وکان الناس یُؤمرون بذلک أیّام الخلفاء، فمن زعم أنّه جزء من الصلاه فرضاً أو استحباباً، فقد ابتدع فی الدین ما لیس منه. فهل جزاء من اجتهد أن یُرمی بالتعصّب المذهبی وحبّ الخلاف؟ !

ولوصحّ ذلک، فهل یمکن وصف الإمام مالک بالتعصّب وحبّ الخلاف؟ لأنّه کان یکره التکتّف مطلقاً، أو فی الفرض.

فهل یصحّ رمی إمام دار الهجره بأنّه کان یحبّ الخلاف؟ !

أجل، لماذا لا یکون التکتّف مثالاً للتعصب المذهبی وحبّ الخلاف بین المسلمین؟ !

۱- وسائل الشیعه، ج ۴، الباب ۱۵ من أبواب قواطع الصلاه، ح ۲.
۲- المصدر نفسه، ح ۳.
۳- المصدر نفسه، ح ۷.
۴- فقه الشیعه الإمامیه و مواضع الخلاف بینه و بین المذاهب الأربعه، ص ۱۸۳. .

۶. السجود على الأرض

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لماذا يسجد الشيعه الإماميّه فى صلاتهم على التربه؟

الجواب : السجود وفق حكم الشريعه الإسلاميّه لا يصحّ إلّا لله تعالى، وهذا ما اتّفق عليه جميع الفقهاء المسلمين.

وإذا كان ثمّه اختلاف فى هذا المجال، فهو يتعلّق بما يجب السجود عليه. ويعتقد الشيعه بوجوب السجود على شيئين:

۱. الأرض. من قبيل التراب والأحجار، وما شابههما.

۲. ما أنبتْهُ الأرض، ممّا لا يُؤكل ولا يُلبس.

وخالف فقهاء السنّه ذلك، حيث أجازوا السجود على ما يلبس من قبيل القطن والكتان، والشعر والصوف، وغير ذلك، ما عدا الشافعى، حيث قال: «لا يجوز السجود على شيءٍ هو حاملٌ له ككور العمامه، وطرف الرداء، وكم القميص» . (۱)

وما يهمّنا هنا، هو معرفه سيره الرسول (ص) فى هذا المجال؛ لأنّ الرسول (ص) هو الأسوه والقدوه لنا فى معرفه ما أراد الله منّا فى العباده، ولايحقّ لأحد أن يقدّم قوله على قول النبىّ (ص) .

وإذا دقّقنا النظر فى الأحاديث الش-ريفه الوارده فى الصحاح والسنن، سنلاحظ أنّ النبىّ (ص) بيّن ما يصحّ السجود عليه فى ثلاث مراحل هى:

المرحله الأولى: السجود على الأرض

كان الواجب على المسلمين فى هذه المرحله السجود على الأرض بما فيها

۱- انظر: الخلاف للشيخ الطوسى، ج ۱، صص ۳۵۷ - ۳۵۸. .

من تراب ورمل وحصى وطين، ولم تكن هناك أيّه رخصه لغيرها.

وقد اشتكى فى هذه المرحله بعض الصحابه من شدّه حرّ الحصى، فكانوا يقومون بتبريدها قبل الصلاه. فلوكان السجود على الثوب جائزاً لكان ذلك أسهل من تبريد الحصى بالكف ووضعها للسجود.

المرحله الثانيه: الترخيص فى السجود على الخُمر والحُصر

هناک نصوص تذکر ترخیص النبیّ (ص) بأمر من الله تعالی السجود علی ما أنبت الأرض، فسهل للصحابه بذلک أمر السجود.

المرحله الثالثه: الترخیص فی السجود علی الثیاب لعذر وضروره، مثل شدّه الحرّ، ولایجوز ذلک عند عدم الضروره

اشاره

ومن هنا یظهر بوضوح أنّ ما إلتزمت به الشیعه هو عین ما جاءت به السنّه النبویّه.

الحکمه من السجود علی التراب فی الأحادیث النبویّه

أکّد رسول الله (ص) علی أنّ علّه السجود علی التربه هو إظهارٌ للخضوع إلی الله تعالی وإرغامٌ للنفس أمامه. (۱)

ورُوی أنّ هشام بن الحکم سأل الإمام الصادق (ع) عن علّه السجود علی الأرض؛ فقال (ع) :

لانّ السجود خضوع لله عزّوجلّ، فلا ینبغی أن یکون علی ما یؤکل ویلبس؛ لأنّ أبناء الدنیا عبید ما یأکلون ویلبسون، والساجد فی سجوده، فی

۱- راجع: النهایه، ص ۲، ماده: رغم. .

عباده الله عزّوجلّ، فلا ینبغی أن یضع جبهته فی سجوده علی معبود أبناء الدنیا الذین اغترّوا بغرورها. (۱)

ورَوی ابن حجر فی شرح صحیح البخاری: «کان عمر بن عبدالعزیز الخلیفه الأموی لا یکتفی بالخمره، بل کان یضع علیها التراب ویسجد علیه. (۲)کما أنّ عروه بن الزبیر أیضاً کان لا یسجد إلّا علی الأرض» . (۳)

وکان مسروق - وهو من التابعین - إذا سافر حمل معه فی السفینه لبنه یسجد علیها. (۴)

وقال ابن أبی شیبه - وهو شیخ البخاری -: «الصلاه علی الطنفسه محدث» .

والطنفسه هی السجاده، أو أیّ بساط له حمل وسماکه، ومُحدَث یعنی: لم یکن علی عهد رسول الله (ص) . (۵)

السجود علی تربه الإمام الحسین (ع)

إنّ السرّ فی التزام الشیعه استحباباً بالسجود علی التربه الحسینیّه، هو أن یتذکّر المصلّی حین یضع جبهته علی تلک التربه، تضحیّه ذلک الإمام بنفسه وأهل بیته (ع) ، والصفوه من أصحابه فی سبیل العقیده والمبدأ، ومقارعهً للجور والفساد.

ولمّا کان السجود من أعظم أرکان الصلاه، وفی الحدیث: «أقرب ما یکون

۱- وسائل الشیعه، ج ۳، ب ۱ من أبواب ما یسجد علیه، ح ۱.

۲- فتح الباری، ج ۱، ص ۴۱۰؛ شرح الاحوذی، ج ۱، ص ۲۷۲.

۳- انظر: المصدر نفسه.

۴- انظر: الطبقات الکبری، ج ۶، ص ۷۹.

۵- المصنّف، ج ۱، ص ۴۳۸. .

ص: ۱۷۸

العبد إلی ربّه حال سجوده» فعند ما یضع العبد جبهته علی تلک التربه الزاکیه، یجدر به أن یتذکّر أُولئک الذین ضحّوا بأنفسهم فی سبیل الحقّ.

ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود التربه الحسینیه یخرق الحجب السبع کما فی الخبر. فیکون حینئذ فی السجود سر الصعود والعروج من التراب إلی ربّ الأرباب. (۱)

وقال العلّامه الأمینی: «نحن نتّخذ من تربه کربلاء قطعاً لبناً وأقراصاً نسجد علیها، کما کان فقیه السلف مسروق بن الأجدع یحمل معه لبنه من تربه المدینه المنوّره یسجد علیها، والرجل تلمیذ الخلافه الراشده، فقیه المدینه ومعلّم السنّه بها، وحاشاه من البدعه» .

فلیس فی ذلک أیّ تعسّف أو مخالفه لنداء القرآن الکریم أو لسنّه رسول الله (ص) وهو لیس خروج من حکم العقل.

واتّخاذ تربه کربلاء مسجداً لدی الشیعه لیس واجباً ولا یعتبر من ضروریّات المذهب، ولا فرق بین التربه الحسینیه وغیرها ممّا یصحّ علیه السجود فی صحه الصلاه، خلاف ما یزعمه الجاهل بهم وبآرائهم.

فالسجود علی تربه الإمام الحسین (ع) لا یعنی الخروج عن مبدأ التوحید مطلقاً، بل إنّه یزرع فی نفس الانسان الإخلاص لله تعالی والتضحیه فی سبیل الحقّ؛ والذین یدّعون أنّ السجود علی تربه کربلاء شرکٌ، فإنّهم لایعرفون من هو المسجود له وما هو المسجود علیه! فسجود الشیعه فی جمیع الأحوال هو لله تعالی فحسب، سواءٌ أکان علی التراب أم الحصیر أم تربه کربلاء أم تربه المدینه المنوّره أم علی حجرٍ من أحجار الصفا والمروه.

۱- الأرض و التربه الحسینیّه، ص ۲۴. .

ص: ۱۷۹

ورُوی عن علی بن عبدالله بن عبّاس، وهو من التابعین، أنّه کتب إلی (مرزین) أن أبعث إلیّ بلوح من أحجار المروه أسجد علیه. (۱)

فإذا کان حجر من جبل مروه شاهداً لتضحیات أمرأه مؤمنه، فکربلاء شهدت تضحیّات آل الرسول (ص) .

وورد بإسناده عن معاويه بن عمّار قال: «كان لأبى عبدالله (ع) خريطه ديباج صفراء فيها تربه أبى عبدالله، فكان إذا حض-رته الصلاه صبّه على سجادته وسجد عليه» . (۲)

۷. الجمع بين الصلاتين فى زمانٍ واحدٍ

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لماذا يصلّى الشيعه الصلوات الخمس فى ثلاثه أوقات؟

الجواب : مسأله (الجمع بين الصلاتين) تعتبر من المسائل الفقهيّه المهمّه والحسّاسه، وقد بحثها محقّقى الشيعه بدقّه، ومن الأمور التى ينبغى الالتفات إليها فى هذا الصدد، هى: (۳)

۱. اتّفقت كلمه الفقهاء على رجحان الجمع بين الصلاتين فى عرفه والمزدلفه جمعاً حقيقيّاً دون فاصلهٍ زمانيّهٍ فأجمعوا على أنّ الجمع بين الظهر والعصر فى وقت الظهر بعرفه، وبين المغرب والعشاء بالمزدلفه فى وقت

۱- أخبار مكّه، الأزرقى، ج۳، ص ۱۵۱.

۲- وسائل الشيعه، ج ۵، ص ۳۶۶.

۳- أُلفت كتب قيمه حول الجمع بين الصلاتين منها: رسائل فقهيه تأليف: العلّامه شرف الدين العاملى؛ الجمع بين الصلاتين تأليف نجم الدين العسكرى؛ و الانصاف فى مسائل دام فيها الخلاف لمؤّلف هذا الكتاب. و ما نذكره هنا موجد لبحث قام به السيّد رضا حسينى نسب فى كتابه الشيعه تجيب. .

العشاء سنّه.

۲. ذهب معظم فقهاء أهل السنّه إلى جواز الجمع بين الصلاتين فى السفر، ولكن أتباع المذهب الحنفىّ قالوا: لا يجوز الجمع الا فى العرفه والمزدلفه.

۳. اتّفق الشيعه على جواز الجمع بين الصلاتين فى الحضر اختياراً، ولكلّ من صلاه الظهر والعص-ر، وصلاه المغرب والعشاء وقت خاصّ ووقت مشترك.

فإذا زالت الشمس دخل الوقتان - أى: وقت الظهر والعص-ر - إلّا أنّ صلاه الظهر يؤتى بها قبل العصر، وعلى هذا فالوقت بين الظهر والمغرب هو وقت مشترك بين الصلاتين، غير أنّه يختص بالظهر بمقدار أربع ركعات من بدايه الزوال، وبالعصر بمقدار أربع ركعات الى حين المغرب، وما بينهما هو وقت مشترك.

فلوصلّى الظهر والعصر فى أىّ وقتٍ بين الزوال والمغرب، فقد أتى بهما فى وقتهما؛ وذلك؛ لأنّ هذا الوقت مشتركٌ بينهما، غير أنّه يختص بالعصر بمقدار أربع ركعات فى آخر الوقت ولا يصحّ إتيان الظهر فيه أداءاً.

وبما أنّ لأهل السنّه رأى خاصّ فى تقسيم الوقت -من الزوال حتّى الغروب- فإنّهم لا يعتقدون بالوقت المشترك بين الظهر والعص-ر؛ لأنّهم يذهبون إلى أن الوقت فى أوّل الزوال إلى بلوغ ظلّ الشاخص بمقدار طوله خاصٌّ بصلاه الظهر، ولا يصح أداء صلاه العصر فيه، وبعد هذه الوقت يبدأ وقت صلاه العصر حتّى المغرب.

وعلى ضوء هذه العقيده فلا يمكن الجمع بين الصلاتين، ويعتقد الشيعه بأنّ هذا التقسيم يرتبط بوقت الفضيله لا وقت الأداء أىّ: الأفضل أداء صلاه

ص: ۱۸۱

العصر بعد بلوغ ظلّ الشاخص بمقدار طوله، ولكن إذا صلّى الإنسان صلاه العصر قبل ذلك فإنّه مُجزئ.

ومن جهه أخرى توجد أحاديث كثيره تبيّن بأنّ الرسول (ص) جمع بين الصلاتين فى السفر، وأحياناً فى الحضر، ومن دون أىّ عذر، وقد اضطرّ أهل السنّه إلى التكلّف فى تفسير هذه الأحاديث. وإليك فيما يلى تفسير الشيعه وأهل السنّه لهذه الأحاديث:

أ) يعتقد الشيعه بأنّ هذه الأحاديث تدلّ على جواز أداء صلاه العصر بعد صلاه الظهر، وأيضاً تدلّ على جواز أداء صلاه العشاء بعد صلاه المغرب، وليس لها صلهٌ بزمانٍ أو مكانٍ خاصٍّ، بل يجوز الجمع بين الصلاتين فى كلّ مكان وفى أىّ زمانٍ كان.

ب) وهناك من لا يعتقد بالوقت المشترك، ويف-سّر هذه الأحاديث بأنّها تدلّ على أداء صلاه الظهر فى آخر وقتها وأداء صلاه الع-صر فى أوّل وقتها.

والتأمل فى حكمه الجمع بين الصلاتين يكشف بأنّ تفسير أهل السنّه لهذه الأحاديث لا صحّه له؛ لأنّ الحكمه من جواز الجمع بين الصلاتين هو تسهيل الأمر لأبناء الأمّه الإسلاميّه، ليمكنهم الجمع بين الصلاتين فى الوقت المشترك.

وإذا قلنا بأنّ النبىّ (ص) جمع بين الصلاتين، بحيث صلّى الظهر فى آخر وقتها، وصلّى الع-صر فى أوّل وقتها، فهذا الأمر لا يكون لتيسير الأمر للمسلمين؛ إذ إنّ معرفه آخر الوقت لصلاه الظهر بدقّهٍ، ثمّ أداء صلاه الع-صر مباشره بعد صلاه الظهر فى أوّل وقتها، يعتبر أمراً شاقّاً ومعقّداً ولايتسير فيه.

ص: ۱۸۲

۸. الخمس فى غير الغنائم الحربيّه

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : يوجب فقهاء أهل السّنه الخمس فى الغنائم الحربيّه فقط، فلماذا وسّع فقهاء الشيعه نطاق الخمس، وقالوا بوجوبه فى غير الغنائم الحربيّه؟

الجواب : كما أنّ الخمس واجب فى الغنائم الحربيّه، فهو أيضاً واجب فى الغنائم الأخرى؛ وذلك وِفْق الشروط التى بيّنها الفقهاء

فی مبحث الخمس، وسنبحث هذه المسأله فی القرآن والسنّه:

قال تعالی: (واعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وِلِلرَّسُولِ ولِذِی الْقُرْبی والْیَتامی والْمَساکِینِ وابْنِ السَّبِیلِ إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وما أَنْزَلْنا عَلی عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ واللهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ) (الأنفال: ۴۱) .

هل تحدّثت هذه الآیه حول الغنائم الحربیه فقط، أم أنّ مدلولها أوسع من ذلک؟

للإجابه علی هذا السؤال یجب علینا أوّلاً معرفه معنی غنم فی اللغه.

المتعارف من استخدام لفظ الغنیمه فی الکتب الفقهیّه هو الغنائم الحربیّه، ولکنّ هذا الاستخدام لا یدلّ علی حصر دلاله الآیه فی الغنائم الحربیّه فقط، بل إطلاق الآیه یشمل کلّ شیء یغنمه الإنسان.

وقد ذکر علماء اللّغه العربیه عدّه معانٍ لمفرده (الغنیمه) ولم یقیدّوها بالغنیمه الحربیّه: ونذکر فیما یلی بعض أقوالهم:

۱. قال الخلیل بن أحمد الفراهیدی المولود سنه ۱۷۰ه: «الغنم: الفوز بالشیء فی غیر مشقه» . (۱)

۱- کتاب العین، ج ۴، ص ۴۲۶، ماده: غنم. .

۲. قال الأزهری: «غنم، تعنی الحصول علی شیء، والاغتنام عباره عن الانتفاع من الغنیمه» . (۱)

۳. قال ابن فارس: «لغنم اشتقاق واحد یحکی عن الفوز بالش-یء، وهو یستخدم فی الغنائم الحربیه» . (۲)

ونکتفی فی هذا المقام بهذا المقدار من کلام رجال اللّغه العربیه، وما یهمّنا من هذه الأقوال هو أنّ (غنم) تعنی مطلق ما یحصل علیه الإنسان من ممتلکات. (۳)

وقد ورد هذا اللفظ فی القرآن بمعنی النفع، حیث قال تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِی سَبِیلِ اللهِ فَتَبَیَّنُوا ولا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقی إِلَیْکُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَیاهِ الدُّنْیا فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ کَثِیرَهٌ) (النساء: ۹۴) .

فعباره: (فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ) فی هذه الآیه تدلّ علی أجری الدنیا والآخره، دون تقید ذلک بالمغانم الحربیّه، بل یمکن القول بأنّ المقصود منه الأجر الأخروی فی مقابل عَرض الحیاه الدنیا.

ونقل ابن ماجه فی سننه عن رسول الله (ص) أنّه قال عند استلامه الزکاه:

«اللّهمّ، اجعلها مَغنماً ولا تجعلها مَغرماً» . (۴)

ونقل أحمد بن حنبل عن رسول الله (ص) أنّه قال:

«غنیمه مجالس الذکر، الجنّه» . (۵)

۱- انظر: تهذیب اللغه، ماده: غنم.

۲- انظر: مقاییس اللغه: ماده: غنم.

۳- انظر: النهایه لابن الاثیر؛ و القاموس للفیروزآبادی؛ تاج العروس للزبیدی: ماده: غنم.

۴- سنن ابن ماجه، کتاب الزکاه، باب ما یقال عند إخراج الزکاه، ح ۱۷۹۷.

۵- مسند أحمد، ج ۲، صص ۳۳۰، ۳۷۴، ۵۲۴. .

وقد وصف الرسول (ص) شهر رمضان بأنّه:

«غنم للجنّه» . (۱)

وأفضل دلیل علی أنّ المقصود من الغنائم فی هذه الآیه لا ینحص-ر فی الغنائم الحربیّه؛ وذلک أنّ الآیه وعلی الرغم من نزولها فی الغنائم الحربیّه، لکن حکمها غیر مختصّ بشأن النزول. ولهذا ذهب جمیع فقهاء المذاهب الأربعه ألی أنّ الإنسان لوحصل علی مغنم فی غیر حرب، فعلیه أن یدفع خمس ذلک المال، واستدلّوا بهذه الآیه.

الخمس فی المعادن

الخمس فی المعادن هو جزءٌ من الضرائب التی تجبیها الحکومه الإسلامیّه وهو من الأحکام التی أوجبها الإسلام، ویستدلّ فقهاء المذهب الحنفی علی وجوب الخمس فی المعادن بدلیلین، هما:

۱. آیه الغنیمه التی ذکرناها آنفاً.

۲. حدیث الرسول (ص) :

«وفی الرکاز الخمس» . (۲)

والتتبع فی کتب الحدیث یکشف بأنّ هذه العباره للرسول (ص) وردت فی العدید من الأحادیث الأخری.

الخمس فی المکاسب

اشاره

یعتقد فقهاء الشیعه بوجوب الخمس فیما یکسبه الفرد بعد استخراج مؤونه سنته منه، وفی هذه المسأله شروط أخری لا یسعنا المقام بیانها؛ لأنّ

۱- مسند أحمد، ج ۲، ص ۳۷۷.

۲- الفقه الاسلامی و أدلّته، ج ۲، ص ۷۷۶؛ مسند أحمد، ج ۱، ص ۳۱۴؛ سنن ابن ماجه، ج ۲، ص۸۳۹. .

ص: ۱۸۵

هدفنا هنا هو إثبات رأی الإمامیّه لنلاحظ مدی تطابقه مع الأحادیث الشریفه المرویّه عن رسول الله (ص) فی مصادر أهل السنّه، وبما أنّ منهجنا فی هذا الکتاب هو الاختصار، فلهذا نکتفی بنقل بعض هذه الأحادیث فیما یلی:

۱. وفد (عبد القیس)

فی شرق الحجاز، کان موطناً لقبیله عبدالقیس والیوم یقطنه أبناء القطیف والأحساء، وأهالی البحرین فی یومنا هذا ینتسبون إلی هذه القبیله.

رئیس هذه القبیله (عبدالقیس) جاء إلی رسول الله (ص) ، وأخبره بأنه لایستطیع المجیء إلیه إلّا فی الأشهر الحرام؛ وذلک لوجود قبائل تعیش فی طریق المدینه ولا تسمح لقبیله قیس المجیء إلی المدینه إلّا فی هذه الأشهر، وطلب (عبدالقیس) من الرسول (ص) أن یعلّمه الاحکام الإسلامیّه اللّازمه لینشرها بین قومه، وجاء فی الحدیث:

فامرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، قال أمرهم بالإیمان بالله وحده، وقال هل تدرون ما الإیمان بالله. . . ؟ شهاده أن لاإله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاه وإیتاء الزکاه، وصوم رمضان وأن تؤدّوا خمساً من المغنم. (۱)

وعلینا التأمّل بدقّه فی هذا الحدیث، فما المقصود من المغنم؟ یوجد احتمالان فی معنی النصّ:

۱. الغنائم الحربیّه.

۲. المکاسب.

ولا شکّ فی انتفاء الاحتمال الأوّل، لأنّ وفد بنی عبدالقیس صرّح بعدم

۱- صحیح البخاری، ج ۴، ص ۲۵۰؛ صحیح مسلم، ج ۱، صص ۳۵ و ۳۶. .

ص: ۱۸۶

تمکّنه من المجیء إلی المدینه إلّا فی الأشهر الحُرُم، کما أنّ الجهاد مع العدو لایجوز إلّا بإذن الرسول (ص) . وقد یظنّ البعض بأنّ المقصود من الغنائم هی الغنائم التی یحصلون علیها من خلال غارتهم علی الآخرین، ولکن هذا الاحتمال غیر صحیح؛ لأنّ النبیّ (ص) نهی عن السلب والنهب. (۱)

إذن، نستنتج أنّ الخمس لا يجب فى هذا المقام إلّا على الأرباح والمكاسب.

۲. ارسال النبى عمرو بن حزم إلى اليمن

عندما أرسل النبىّ (ص) عمرو بن حزم إلى اليمن، بعث إليه كتاباً تضمّن مايلى:

أمره بتقوى الله فى أمره كلّه، وأن يأخذ من المغانم خمس الله وما كتب على المؤمنين من الصدقه من العقار عشرما سقى البعل وسقت السماء، ونصف العشر ممّا سقى الغرب. (۲)

ونشير أوّلاً الى معنى بعض المصطلحات الوارده فى هذا الحديث:

ألف) العقار: وهى الأرض، والمقصود هنا الأراضى الزراعيّه.

ب) البعل: وهى الأشجار التى لا تحتاج إلى السقى لأنّ جذورها ممتده إلى الأنهار المجاوره.

ج) الغرب: ويعنى الدلوالكبير، والمقصود هو الأشجار التى تُسقى بالدلو.

وقد أشار الرسول (ص) فى هذا الحديث - بعد الأمر بتقوى الله- إلى نوعين من الضرائب فى الاسلام، وهما:

۱- انظر: التاج الجامع للأصول، ج ۴، ص ۳۳۴، نقلاً عن صحيح البخارى.
۲- فتوح البلدان، ج ۱، ص ۸۱؛ سيره ابن هشام، ج ۴، ص ۲۶۵. .

۱. خمس الغنائم

۲. زكاه الأرض. تاره عُشر، وتاره نصف العُشر للأراضى التى تُسقى عن طريق المطر، أو عن طريق المياه المجاوره.

وقد بعث الرسول (ص) عمرو بن حزم إلى اليمن ليتولى إمارتها، ولم يبعثه كرجل عسكرى ليجاهد المشركين، لأنّ أهل اليمن دخلوا فى الإسلام، ومن هنا نفهم بأنّ المقصود من قوله (ص) :

«وأن يأخذ من المغانم خمس الله» أنّ المقصود هو الأرباح والمكاسب.

وتوجد رسائل أُخرى عديده لرسول الله (ص) بعثها إلى أطراف الحجاز، وكلّها تتضمّن أخذ الخمس من المغانم، ولم يكن من بعثهم الرسول (ص) بهذه الرسائل قادةً عسكريّين، بل كانوا مجرّد أمراء فى مناطقهم، وهذا يدلّ على أنّ أخذ خمس المغانم لا يشمل مغانم الحرب فقط.

۳. أجاز رسول الله فى رساله إلى جهينه بن زيد بأن ينتفع قومه من الأراضى التى عندهم وأن يستخدم المياه المتوفّره لديهم،

ولكن بش-رط دفع خمسها. (۱)

أضف إلى ذلك، فقد أكّد أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) ، وهم عِدل القرآن، على دفع أنّ الخمس من الأرباح واجبٌ، وكلّ من يؤمن بحديث الثقلين يجب عليه أن يتّبع القرآن والعتره (ع) .

وقد بيّنا حكم القرآن والعتره بالنسبه إلى الخمس فى الأرباح والمكاسب.

۱- راجع: الوثائق السياسيه، ص ۲۶۵. .

ص: ۱۸۸

ص: ۱۸۹

الفصل الثامن: أحداث تأريخيه

اشاره

هناك اسئلهٌ تُطرح حول بعض الأحداث التأريخيّه، سوف نجيب عليها فى الأبحاث التاليه:

۱. صلح الإمام الحسن (ع)

السؤال الذى يطرح هنا، هو : هل يمكن اعتبار صلح الإمام الحسن (ع) مع معاويه دليلاً على حسن علاقه أهل البيت (عليهم السلام) بمعاويه؟

الجواب : صلح الإمام الحسن (ع) يعتبر من الحوادث التأريخيّه المرتبطه بعصر صدر الإسلام التى تناولها الكثير من الباحثين بالبحث والتحليل وتحدّث عنها الكثير من الخطباء.

وقد توصّل الجميع إلى هذه النتيجه وهى أنّ الإمام الحسن (ع) هيّأ نفسه من اليوم الأوّل بعد استلامه للخلافه لأن يجاهد أهل الشام، ولم يفكّر بالصلح أبداً، ولهذا عندما بلغه خبر حركه معاويه من الشام نحوالكوفه، جمع الناس فى المسجد، ثمّ ألقى خطبه أمرهم فيها بالجهاد ضدّ معاويه، ودعاهم إلى مواجهه الباطل والصبر والتضحيه، وتحمّل المصاعب.

ص: ۱۹۰

وكان الإمام (ع) من خلال معرفته للناس قلقاً من عدم استجابتهم لدعوته وكان الامر كذلك، فقد سكت الجميع إزاء دعوه الإمام (ع) ولم يؤيّده أحد.

فلمّا رأى الإمام الحسن (ع) ذلك قال: ما اقبح هذا المقام؟ الا تجيبون امامكم وابن بنت نبيكم، أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخوّاضون من اهل المصر الذين السنتهم كالمخاريق فى الدعه، فاذا جدّ الجِدّ فَروّاغون كالثعالب، امّا تخافون

مقت الله ولا عيبها وعارها. (۱)

وتكشف هذه الوثيقه التأريخيّه مدى إنهيار نفوس أهل الكوفه ومدى ضعفهم أمام القتال.

ثمّ حاول أصحاب الإمام الحسن (ع) تعبئه الناس، وبعد جهودٍ مضنيهٍ بذلها الإمام، خرج معه عدد قليل واستقرّوا قرب الكوفه فى منطقه تدعى (النُخيله) ، وبعد إقامتهم هناك مدّه عشره أيّام لم يلتحق به إلّا أربعه آلآف شخص، لهذا اضطرّ الإمام لأن يعود إلى الكوفه ليستنفر الناس.

ولم يقبل الإمام الحسن (ع) الصلح مع معاويه إلّا بعد أن وجد نفسه وحيداً بلا ناصرٍ ولا معينٍ، وقد تفرّق عنه أهل الكوفه لأنّهم ملّوا القتال بعد حروب الجمل وصفين والنهروان. كما كان فى جيش الإمام عناصر مزّقها الاختلاف، فضلاً عن خيانه بعض قاده الجيش، وهذا ما أجبر الإمام إلى قبول الصلح مع معاويه.

فخطب (ع) قائلاً: «والله، ما سلّمت الأمر إليه إلّا أنّى لم أجدُ أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلى ونهارى حتّى يحكم الله بينى وبينه، ولكنّى عرفت

۱- مقاتل الطالبين، ص ۳۹؛ انساب الاشراف، ص ۶۰. .

أهل الكوفه وبلوتهم، ولا يصلح لى منهم ما كان فاسداً، إنّهم لا وفاء لهم، ولاذمّه فى قول ولا فعل، إنّهم لمختلفون ويقولون لنا إنّ قلوبهم معنا، وإنّ سيوفهم لمشهوره علينا» . (۱)

وقال (ع) فى خطبهٍ أُخرى:

يا عجباً من قوم لا حياء لهم، ولا دين مرّه بعد مرّه، ولو سلّمت إلى معاويه الأمر، فأيم الله، لا ترون فرجاً أبداً مع بنى أميّه، والله ليسومنكم سوء العذاب حتّى تتمنون أن عليكم حبشيّاً، ولو وجدت أعواناً ما سلمت له الأمر؛ لأنّه محرّم على بنى أميّه؛ فأفٍ وترحاً يا عبيد الدنيا! (۲)

نلاحظ ممّا ذكر أنّ الامام الحسن (ع) لم يوافق على الصلح مع معاويه طوعاً، وإنّما رأى ضعف أصحابه، فلم يجد بُدّاً من ذلك ولهذا لا يصحّ اعتبار هذا الصلح دليلاً على حسن العلاقه بين الإمام الحسن (ع) ومعاويه.

۲. زواج أم كلثوم

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : هل فى زواج عمر مع أمّ كلثوم بنت الإمام على (ع) دلاله على حسن العلاقه بينهما؟

الجواب : هذا السؤال لا يعدّ سؤالاً تأريخيّاً فحسب، بل له صله مباشره بعقيده الشيعه حول الخلفاء، وقد اثبت الشيعه الاماميه بأنّ بيت الزهراء (س) تعرّض للهجوم من الخليفه الأوّل بعد وفاه الرسول (ص) ، وجاء الخليفه الثانى بالحطب لإحراقه، لدرجه أنّ الخليفه الأوّل ندم على ذلك فى آخر أيّام حياته.

١- بحارالانوار، ج ۴۴، ص ۱۴۷؛ الاحتجاج، ص ۱۵۷.

٢- بحارالأنوار، ج ۴۴، ص ۴۴. .

فمع هذه الحوادث، كيف يمكن تصديق زواج الخليفه الثانى من بنت الزهراء؟ ! ولا يعقل قبول الإمام على (ع) على هذا الأمر.

وقد تمّ بحث هذه المسأله على مرّ التأريخ، حيث كانت مطروحه على طاوله البحث الأكثر من ألف سنه، وبما أنّ منهج هذا الكتاب هو الاختصار، لذلك نكتفى ببيان الأقوال المختلفه المطروحه فى علم الكلام وعلم الحديث عند الشيعه حول هذه المسأله:

١. رأى الشيخ المفيد (٣٣۶- ۴١٣ه)

شكّك الشيخ المفيد فى صحّه وقوع هذا الزواج فى الرساله الخاصّه التى ألفها فى هذا الصدد، وذكر بأنّ خبر هذا الزواج منقول عن طريق الزبير بن بكّار، وهو ممّن لا يعتمد عليه، بل كان الزبير من أعداء الإمام على (ع) ؛ ولهذا لا يمكن الوثوق بما ينقله عن بنى هاشم.

وما أدّى إلى انتشار هذا الخبر هو أبومحمّد الحسن بن يحيى العلوى، حيث نقله فى كتابه (النسب) ؛ ولهذا قبلها البعض.

وأشار الشيخ المفيد إلى وجود بعض المفارقات العجيبه فى نقل هذه الواقعه التأريخيّه، منها ما يلى:

١. إنّ الإمام على (ع) هو الذى قرأ صيغه هذا العقد.

٢. وقع هذا الزواج بوساطهٍ من العبّاس عمّ الإمام على (ع) .

٣. وقع هذا الزواج إثر التهديد.

۴. تحقّق الزواج، وكان ثمرته ولداً باسم زيد.

۵. قُتل عمر قبل وقوع هذا الزواج.

۶. كان لزيد بن عمر أيضاً ذريّه.

۷. قُتل زيد بن عمر، ولم يكن له وارث.

۸. قُتل زيد وأمّه فی يومٍ واحدٍ.

۹. عاشت أمّ كلثوم بعد مقتل ولدها زيد.

۱۰. كان صداق أمّ كلثوم أربعين ألف درهماً.

۱۱. كان صداق أم كلثوم أربعه آلاف درهم.

۱۲. كان صداق أم كلثوم خمسمائه درهم.

وهذا الاختلاف الكبير فی النقل يثير الشكّ والترديد فی النفوس حول أساس القضيّه.

۲. ام كلثوم هی ربيبه الإمام علی (ع)

يعتقد بعض المؤلّفين بأنّ أم كلثوم التی تزوّجت بعمر كانت ربيبه الإمام علی (ع) ، ولم تكن ابنته من صلبه؛ لأنّ أسماء بنت عميس تزوجت من أبی بكر بعد رحيل جعفر بن أبی طالب، وولد لها من هذا الزواج ابنه سمّيت أمّ كلثوم، وبعد وفاه أبی بكر تزوجت أسماء مع الإمام علی (ع) وعاشت ابنتها كربيبه فی بيت الإمام علی (ع) ، وهذه الربيبه هی التی تزوّجها عمر بن الخطّاب.

وهذا القول ضعيف؛ لأنّ أبا بكر كانت له بنت تدعی أمّ كلثوم، ولكن أمّها هی حبيبه إبنه أحد الأنصار، وهو زيد بن خارجه، وأمّ كلثوم بنت أبی بكر تزوّجت بطلحه بن عبيدالله وأنجبت له أولاداً باسم محمّد وزكريا وعائشه.

وبعد مقتل طلحه تزوجت أمّ كلثوم بعبدالرحمن بن عبدالله.

وأمّا أسماء بنت عميس، فإنّها تزوّجت بأبی بكر ولم تنجب له سوی طفلاً واحداً يدعی محمّد. ولهذا لا يصحّ القول بأنّ أمّ كلثوم التی تزوّجها عمر هی بنت أسماء بنت عميس. وأساساً لم يكن لأسماء بنت من أبی بكر.

وأمّا أم كلثوم بنت أبی بكر، فأمّها (قتيله) ، وهی تزوّجت بطلحه بن عبيدالله ولم تتزوّج بعمر بن الخطّاب. (۱)

۳. ردود الفعل المختلفه إزاء خطبه عمر

قال عمر بن الخطاب إنّ السبب الذی دفعه للزواج بأمّ كلثوم هو قول النبی (ص) : «

كلّ نسب وسبب منقطع يوم القيامه إلّا نسبی وسببی » ، فقال: «كنت قد صحبته فأحببت أن يكون هذا أيضاً» . (۲)

ولكن الدافع الأساسى لم يكن سوى أنّه أراد بهذا الزواج أن يتستّر على ما فعله تجاه الإمام على (ع) وفاطمه الزهراء (س) .

وعندما تقدّم عمر بن الخطّاب إلى خطبه أمّ كلثوم، حاول الإمام على (ع) رفض طلبه، وبرّر ذلك بتبريرات مختلفه منها:

أ) قال الإمام على (ع) : إنّها صبيّه.

وكان جواب الخليفه: إنّك -والله- ما بك ذلك، ولكن قد علمنا ما بك. (۳)

ب) أصرّ عمر مرّه أخرى على هذا الزواج، فواجهه الإمام (ع) باعذار أخرى.

وقد ذكرت بعض مصادر الفريقين أنّ هذا الزواج قد تحقّق، وكان المتصدّى لهذا الأمر هو العبّاس بن عبدالمطلب، ولكن هل تحقّق هذا الزواج بطيب خاطرٍ أو أنّه كان نتيجه الضغوط الداخليّه والخارجيّه؟

وكلّ من له المام بتأريخ ما جرى بين الإمام على (ع) وعمر بن الخطّاب،

۱- راجع: أسد الغابه، ج ۵، ص ۳۹۵.
۲- الطبقات الكبرى، ج ۸، ص ۴۶۳.
۳- المصدر نفسه، ص ۴۶۴؛ الذرّيه الطاهره لابى بشر دولابى، ص ۱۵۵. .

يقطع بأنّ هذا الزواج لم يتحقّق بطيب خاطر الإمام على (ع) .

والدليل على ذلك مايلى:

۱. لا شكّ فى أنّ صله أهل البيت (ع) لم تكن وثيقهً مع الخليفه عمر بن الخطّاب، وهجوم عمر على بيت الزهراء (س) وهتكه لحرمه بنت الرسول هو أمرٌ لا يكن أمراً يمكن إنكاره، والشواهد على وقوع هذا الهجوم كثيره.

۲. عمر بن الخطّاب كان فظّاً غليظاً وحادّ المزاج، بحيث عندما اختاره أبوبكر للخلافه اعترض البعض على ذلك، وأشاروا إلى غلظه عمر وسوء خلقه.

۳. خطب عمر بن الخطّاب أمّ كلثوم ابنه أبى بكر، فقالت أمّ كلثوم:

«لا حاجه لى فيه، إنّه خشن العيش شديد على النساء» . (۱)

إذن، لا يمكن اعتبار هذا الزواج دليلًا على حسن العلاقه بين الطرفين.

وما ورد فى مصادر الشيعه أنّه لم يتحقّق فى هذا الصعيد سوى إيقاع العقد فقط.

وأمّا تحقّق الزواج فإنّه لم يثبت، وورد فى الحديث عن الإمام الصادق (ع) : «

إنّ عليّاً لمّا توفّى عمر أتى أم كلثوم، فانطلق بها إلى بيته » . (۲)

وقال المسعودى: «بأنّه لم ينتج من هذا الزواج مولود» . (۳)

وقد ذكر فى هذا الصعيد بعض المؤرّخين وعلماء الرجال قضايا تتنافى مع كرامه أهل البيت (ع) وعفّتهم، كما أنّ جميع أسانيد هذه الروايات مرفوضه، لذلك لم نذكرها.

۱- راجع: تاريخ الطبرى، ج ۵، ص ۵۸.
۲- الكافى، ج ۶، ص ۱۱۵.
۳- راجع: مروج الذهب، ج ۲، ص ۳۲۱. .

الفصل التاسع: الصحابه

۱- روايات الصحابه

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لماذا لا يقبل الشيعه روايات الصحابه؟

الجواب : تنقسم الأخبار المرويّه عن رسول الله (ص) إلى ثلاثه أقسام:

۱. الخبر المتواتر.

۲. الخبر المقرون بالقرائن المفيده للعلم.

۳. خبر الواحد.

وجميع عقلاء العالم يعتمدون على القسمين الأوّل والثانى فقط، ولايهمّهم من يكون الراوى فى هذا المجال؛ لأنّ الخبر يبلغ من القوّه، بحيث يوجب العلم، ولا يوجد أىّ مجال للشكّ والترديد.

ولكن ما هو الخبر المتواتر؟ وما هى شروطه؟ أو ما هو الخبر المقرون بالقرائن المفيده للعلم؟

إنّ كتب علم الأصول - ولا سيّما كتب علم الدرايه- بيّنت هذه القضايا كلّها والشيعه أيضاً يعملون بهاذين القسمين من الأخبار.

والنقاش يدور حول القسم الثالث من الأخبار، ونذكر جانباً من ذلك فيما يلى:

بما أنّ الغايه المنشوده من القضايا العقائديّه هى الإيمان والاعتقاد، لذا فإن

ص: ۱۹۸

خبر الواحد لا اعتبار له؛ لأنّه لا يودّى الغرض، ولكن إذا كان خبر الواحد مرتبطاً بالأحكام الشرعيه والمسائل العمليّه، وكان رجال السلسله السنديّه جميعهم ثقات ولا قدح فى عدالتهم، فالشيعه يعملون به، ولا يوجد فرق فى هذا المجال بين الصحابه والتابعين.

ولكن إذا كان رواه هـذا الحـديث مقـدوحاً فيهم وضـعفاء، فلا يكون لهذا الخبر حجّيه، ولا يمكن الاحتجاج بمثل هذا الحديث، وهذا المعيار أيضاً حاكم على الأحاديث المروّيه عن أئمّه أهل البيت (ع) .

ومن حسن الحظّ فإنّ بعض أحاديث الرسول (ص) وصـلت إلينا عن طرق صحيحه، فمنها ما وصل إلينا عن طريق أئمّه أهل البيت (ع) ، ومنها عن طريق الرواه الثقاه، والشيعه يعتمدون على جميع هذه الأحاديث.

إذن، مـا ورد فى السؤال المـذكور فى هـذا البحث لاـ أسـاس له من الصـحّه، وفقهاء الشـيعه يعتمـدون على الأحاديث الصـحيحه الموجوده فى كتب البخارى ومسلم وغيرهما من مصادر الحديث لأهل السنّه.

ومـا يهمّ الشـيعه هو صـحّه السـند ووثـاقه الرواه. ونودّ فى الختام أن نلفت انتباهكم إلى أنّ الفقه الشـيعى لا يعتمـد على الروايات المرويّه عن طريق النواصب ومبغضـى أهـل البيت (ع) ، ولكنّ بعض كتب الحـديث تعتمـد على هؤلاـء وتنقـل ما ذكروه، ومنهم على سبيـل المثال، عمران بن حطّان الـذى وكان رأس الخوارج، وهو فى سلسـله أسانيـد بعض أحاديث صـحيح البخارى وغيره، فنحن لا نعتمد على روايات هؤلاء.

۲. نقد الصحابه

السؤال الذى يطرح هنا، هو : تضعيف الصحابه هو تضعيف للدين؛ لأنّ

ص: ۱۹۹

الدين بلغنا عن طريق الصحابه، فهل يجوز انتقادهم؟

الجواب : هـذا الكلام لا يسـتند الى قاعدهٍ صـحيحهٍ حيث لا يصحّ القول بأنّ روايات جميع الصـحابه غير صـحيحه، بل يوجد بين الصـحابه صـلحاء ويوجد غير صـلحاء، ويوجد من يمكن الاعتماد عليهم فى معرفه ما جاء به الرسول (ص) ، ويوجد من لا يمكن الاعتماد عليهم.

أضف إلى ذلـك، فـإن الامـام على بن أبى طالب وأهل البيت (ع) حفظوا لنا ما جاء به الرسول (ص) ، ولهـذا فإنّ رفض روايات من لاـ يمكن الاعتماد عليهم من الصـحابه لا يؤدّى إلى تضـعيف الـدين؛ لأنّ الرسول (ص) ترك لأمّته الثقلين: كتاب الله والعتره

الطاهره، وبما أنّ العتره حفظت لنا ما جاء به الرسول (ص) ، فلا يؤدّى عدم الأخذ من غيرهم إلى تضعيف الدين، بل إنّ الكتاب والعتره هما المرجع لمعرفه التشريع، وقد أكّد رسول الله (ص) على أنّ من يتمسّك بهما لن يضلّ أبداً.

والحقيقه أنّ هذا السؤال غريبٌ، إذ يجب للسائل أوّلا السؤال أن يسأل: هل يؤدّى نقد الصحابه إلى تضعيف الدين؟ فنجيب على سؤاله: لا، بل الاعتماد على الصحابه الذين لا يمكن الوثوق بهم بنفسه تضعيف للدين، وعلى كلّ مسلم الاعتماد على المصادر الموثوقه لمعرفه الدين.

فالدين الذى أرسى دعائمه الله ورسوله لا يتزلزل بانتقاد بعض الاشخاص، والله تعالى قد وعد ببقائه حتّى يوم القيامه.

٣. الامام على (ع) وتأييده للخلفاء

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لقد أيّد الإمام علىّ (ع) الخلفاء، فلماذا لايعترف الشيعه بخلافتهم؟

ص: ٢٠٠

الجواب : لم يكن موقف الإمام علىّ (ع) من الخلفاء من منطلق الاعتراف بشرعيّه خلافتهم، بل كان من منطلق التعاون معهم لحلّ المشاكل الدينيّه والسياسيّه. والدليل على ذلك:

أوّلاً: إنّ الرسول (ص) عيّن الإمام علىّ (ع) إماماً للأمّه من بعده. وقال تعالى: (وما كانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضـَى اللهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (الأحزاب: ٣۶) .

فكيف يمكن للإمام علىّ (ع) أن يعترف بخلافه غيره، فى حين أنّه قد نُصِّب خليفهً للمسلمين بأمرٍ من الله تعالى وفى مناسباتٍ عديدهٍ، لا سيّما فى يوم الغدير. إنّ ولايه الامام علىّ (ع) هى حكمٌ سماويٌّ ولا أحد قادرٌ على نسخه إلا الله تبارك وتعالى.

إذن، إمامه الإمام علىّ (ع) هى ليست حقّاً شخصيّاً له كى يمكنه غضّ النظر عنه أو التنازل عنه لغيره، بل هى أمرٌ ربّانيٌّ لا تبديل له؛ وإن اقتضت المصلحه العامّه سكوته عنه، فذلك لايعنى استحقاق غيره لهذا المنصب الخطير.

ثانياً: تأريخ السقيفه وسيره الإمام علىّ (ع) بعد رحيل الرسول (ص) يثبتان لنا أنّ الامام على (ع) ، ورغم كلّ ما تعرّض له من ضغوطٍ، لم يمدّ يد البيعه للخلفاء.

وقد كتب معاويه فى إحدى رسائله إلى الإمام على (ع) وذكّره بكيفيّه بيعته لأبى بكر، فأجابه الإمام على (ع) :

وقلت: إنّى كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع ولعمر الله، لقد أردت أن تذمَّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضهٍ فى أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً فى دينه، ولا مرتاباً بيقينه. (١)

١- نهج البلاغه، الرساله ٢٨. .

ثالثاً: إنّ البخارى الذى ألّف صحيحه وفق مصالح السياسه الحاكمه فى زمانه، نقل كتاب (المغازى) بسنده عن عائشه:

إنّ فاطمه (س) ، بنت النبى (ص) أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله ممّا أفاء الله عليه بالمدينه وفدك، وما بقى من خمس خيبر.

فقال أبوبكر: إنّ رسول الله قال: «لا نورث، ما تركنا صدقه، انّما يأكل آل محمّد فى هذا المال» وإنّى -والله- لا أُغير شيئاً من صدقه رسول الله. . . .

فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمه منها شيئاً، فوجدت فاطمه على أبى بكر فى ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبىّ ستّه أشهر.

فلما توفّيت دفنها زوجها على ليلاً، ولم يؤذن بها أبابكر. (۱)

فهذا الحديث يثبت أنّ الإمام على (ع) لم يبايع أبى بكر بمدّه سته أشهر، فلوكانت خلافه أبى بكر مشروعه فكيف تخلّف عنها الإمام على (ع) ؟

ولماذا رحلت فاطمه الزهراء (س) عن هذه الدنيا، وهى غاضبه على خليفه زمانها؟

كيف يفسّر أهل السنّه هذه المواقف؟

إذن، هناك تناقضٌ فى مواقف أهل السنّه، لأنّ مؤرّخيهم قد أكّدوا على أنّ فاطمه الزهراء (س) لم تبايع أبا بكر ولم تكلّمه حتى فاضت روحها الطاهره. كما أنّهم أذعنوا بعدم مبايعه الإمام على (ع) لأبى بكرٍ أيام كانت فاطمه (س) حيّةً، لأنّه - حسب زعمهم - قد بايعه بعد ستّه أشهرٍ من حادثه السقيفه. (۲)

۱- صحيح البخارى، كتاب المغازى، باب غزوه خيبر، ح ۴۲۴۱.
۲- المصدر نفسه، كتاب فرض الخمس، ح ۳۰۹۳. .

ويعتقد أهل السنّه -كما ورد فى مصادر أحاديثهم، ومنها صحيح مسلم - أنّ الرسول (ص) قال:

«مَن مات، وليس فى عنقه بيعه مات مِيته جاهليّه؟» . (۱)

ونقل أحمد بن حنبل فى مسنده عن رسول الله (ص) :

«مَن مات بغير إمام مات ميته جاهليه» . (۲)

ومن جهه أخرى نقلوا عن الرسول (ص) تأكيده على أنّ الله يرضى لرضا فاطمه (س) ويغضب لغضبها، وأنّها (س) سيّده نساء العالمين. (۳)

فما هو جواب أهل السنّه، والزهراء (س) بنت رسول الله (ص) وسيده نساء العالمين، وهى من يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها ماتت وليس فى عنقها بيعه لأبى بكر؟

فهل يعتقد أهل السنّه - والعياذ بالله - بأنّ فاطمه الزهراء (س) ماتت ميته جاهليّه؟ أم يعتقدون بعدم شرعيّه خلافه أبى بكر وأنّه لم يكن الإمام الذى يرتضيه الله؟

يترتّب على ذلك أنّ الإمام هو الذى نصّ به الرسول فى غدير خمّ، وهو الذى تبعته الزهراء بعد وفاه الرسول (ص) ، وهو الإمام على (ع) .

رابعاً: أقوال الإمام على (ع) تدلّ على الخلافه قد غصبت منه، وأنّها حقّ له، وخطبته المعروف ب- (الشقشقيه) خير دليلٍ على ذلك.

وقال فى إحدى خطبه:

۱- صحيح مسلم، باب الأماره، ۵۸، ح ۸۸.
۲- مسند أحمد، ج ۲، ص ۹۶.
۳- راجع: مستدرك الحاكم، ج ۳، ص۱۵۶. .

«فوالله، ما زلت مدفوعاً عن حقّى، مستأثراً علىّ منذ قبض الله نبيّه صلّى الله عليه وآله حتّى يوم الناس هذا» . (۱)

ومن كلام له (ع) :

وقد قال لى قائل إنّك على هذا الأمر يابن أبى طالب لحريص! ! فقلت: بل أنتم -والله أحرص- وأبعد، وأنا أخصّ وأقرب، وإنّما طلبت حقّاً لى، وأنتم تحولون بينى وبينه، وتضربون وجهى دونه.

فلمّا قرعته بالحجّه فى الملأ الحاضرين هبَّ كأنّه بُهِتَ لا يدرى ما يجيبنى به. (۲)

وقال ابن أبى الحديد: «والذى قال له: إنّك على هذا الأمر لحريص! هو سعد بن أبى وقّاص» .

وقالت الإماميّه: هذا الكلام كان يوم السقيفه، والقائل هو أبوعبيده بن الجرّاح.

وقال (ع) أيضاً: «

اللّهمّ، إنّی أستعدیک علی قریش ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمی، وصغروا عظیم منزلتی، وأجمعوا علی منازعتی » . (۳)

إذن، اتّضح لنا أنّ الإمام علی (ع) لم یؤیّد الخلفاء فی مسأله الخلافه والإمامه، وکان (ع) دائماً یذکر مظلومیّته فی هذا المجال لتتضح الحقائق للأجیال القادمه.

وبالتالی فإنّ الإمام علیاً (ع) إنّما تعاون مع الخلفاء فی بعض المسائل الدینیّه والسیاسیّه، وقد ذکر سبب هذا التعاون بقوله:

۱- نهج البلاغه، خطبه ۶.

۲- المصدر نفسه، خطبه ۱۷۲.

۳- بحارالأنوار، ج ۲۹، ص ۶۰۵. .

ص: ۲۰۴

فوالله، ما کان یُلقی فی روعی، ولا یخطر ببالی، أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده (ص) عن أهل بیته، ولا أنّهم منحوه عنّی من بعده فما راعنی، إلّا انثیال الناس علی فلان یبایعونه، فأمسکت یدی حتّی رأیت راجعه رجعت عن الإسلام، یدعون إلی محقّ دین محمّد (ص) ، فخشیت إن لم أنص-ر الإسلام وأهله أن أری فیه ثلماً أو هدماً. (۱)

۱- نهج البلاغه، رساله ۶۲.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹